



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية التربية

قسم أصول التربية

الفكر التربوي عند ابن باجة وتطبيقاته التربوية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم أصول التربية

اعداد الطالبة:

اسراء يوسف المذيب

اشراف الدكتور

ابراهيم المصري

الأستاذ المساعد في قسم أصول التربية

2021 /2022

شكر وتقدير

لنور الكونين، من تجلى لجماله البدر فانشقّ، ولمن جاء الخلق بالعلم فأشرق

للمعلم الأول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

للروح الطاهرة، من رعاني، من طوى بيديه صفحةً تعبى، لسيد الرجال، أبي

لنسمة الصيف وعليل الربيع، شمسي التي لا تنطفئ ولو غبت عنها ما تاهت

عني.. أُمي

لمن شاطرتني ألماً، فرحاً، تعباً، حباً، ودعاءً جميلةً الروح شقيقةً الدرب... أريج

لعطايا الله الخفية... ألاء، علاء، علا، غفران، محمد خير، عبد الرحمن

لنصفي المكتمل المنير لعتمتي المباغثة... معاذ

لمن تعب معي وصبر وسار خطوة بخطوة لمشرفي السيد الدكتور إبراهيم

المصري

لرواد التعليم في كل مكان... فليكتب الله لنا منارة علمٍ تعادل ما كانت لأسلافنا

لروح العالم ابن باجة وجميع فلاسفة وعلماء المسلمين، ممن بانوا وممن فقدوا..

فليقدر الله لخلفكم أن يستمر على ما وصلتم..

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	عنوان المحتوى
1-15	الفصل الأول: المدخل المنهجي
1	مقدمة
2	أولاً- مشكلة البحث.
3	ثانياً- أهمية البحث.
4	ثالثاً- أهداف البحث.
4	رابعاً- أسئلة البحث.
4	خامساً- حدود البحث
5	سادساً- منهج البحث.
6	سابعاً- مصطلحات البحث.
7	ثامناً- الدراسات السابقة.
16-42	الفصل الثاني: محددات الإنتاج الفكري عند ابن باجة:
17	أولاً- المحددات الشخصية:

17	١- اسمه
18	٢- أسرته
18	٣- عصره
20	٤- وفاته وأعداؤه
21	ثانياً - المحددات التاريخية:
21	١-سياسيا
22	٢- علميا وأدبيا
24	٣-اجتماعيا
24	ثالثاً- المحددات المعرفية:
25	١- الظروف المؤثرة بالنتاج المعرفي
26	٢- النتاج المعرفي:
26	1-2- مؤلفات ابن باجة .
29	2-2- أسلوب ابن باجة.
30	2-3- منابع فلسفته.
32	2-4- مجالات العلوم التي أتقنها
35	2-5- ثناء الآخرين على ابن باجة(مكانته)
37	2-6- تلاميذ ابن باجة
39	2-7- موقفه من الغزالي والصوفية

40	2-8- منهج فكره
43-62	الفصل الثالث: فلسفة ابن باجة
44	أولاً- نظرية الوجود
44	1-الإنسان
45	2-1- طبيعة النفس.
47	2-2- مراتب النفوس.
48	2-3- خلود النفس.
48	3- معنى الواحد.
49	4- الطبيعة
51	5-الوجود
51	6-الكون
53	7-الأزلية والعالم
54	ثانياً- نظرية المعرفة:
54	1-النوابت.
55	2-مراتب الناس حسب المعرفة.
56	3-الاتصال.
56	ثالثاً- نظرية القيم

57	(١) الجمال
57	(٢) الخير
58	(٣) اللذات
59	(٤) المدينة الفاضلة والمدينة الناقصة
60	(٥) الثواب والعقاب
61	(٦) السياسة عند ابن باجة
61	(٧) الدين عند ابن باجة
63-85	الفصل الرابع: الأسس التربوية
64	أولاً - الأساس المعرفي:
64	(١) المعرفة
64	(٢) أنواع المعرفة
69	(٣) قيم التعلم المعرفي.
72	(٤) العلم عند ابن باجة
74	(٥) أنواع العلوم.
75	(٦) مركزية العقل.
76	(٧) أركان الموجودات (عقله)
77	ثانياً - الأساس الأخلاقي:
77	(١) الأفعال الإنسانية

79	٢) الفضيلة
80	٣) الفعل الفاضل
82	٤) ١- الغايات
82	٤-2- مراتب الناس حسب الغايات
83	٥) السعادة القصوى
83	ثالثاً- الأساس الاجتماعي والسياسي
86-122	الفصل الخامس: التطبيقات التربوية
87	أولاً- معنى التربية
89	ثانياً - مبادئ التربية
91	ثالثاً - أهداف التربية
94	رابعاً - دوافع التعلم
95	خامساً - شروط التعليم
96	سادساً- الغايات الأخيرة للتربية
98	سابعاً- كمالات الإنسان
102	ثامناً- مراتب العلوم(المناهج)
106	تاسعاً- طرائق التربية
109	عاشراً- المتعلم

111	الحادي عشر - المعلم
111	الثاني عشر - التقويم
113	الثالث عشر - اسقاط المضامين التربوية على الأركان الحديثة للتربية من خلال تجربة ابن باجة
115	الرابع عشر - استمرارية فكر ابن باجة
117	الخامس عشر - التقاطعات بين ابن باجة وآخرين
120	السادس عشر - نقد تحليلي لفكر ابن باجة التربوي
123	- نتائج الدراسة
126	- مقترحات الدراسة
128	قائمة مراجع البحث
1-2	Summary

ملخص الدراسة:

بحثت الدراسة الحالية في الفكر التربوي عند ابن باجة وتطبيقاته التربوية، منطلقة مما تم بيّانه في فصل الدراسات

السابقة، معتمدةً على مؤلف تدبير المتوحد حيث طرحت الباحثة الإشكال التالي:

ما المضامين التربوية لفكر ابن باجة في كتابه تدبير المتوحد وما أهم تطبيقاتها؟

وللإجابة عن هذا السؤال، استخدم منهج التحليل الفلسفي الكيفي، حيث تم عرض المحددات التي أحاطت بفكر

ابن باجة التربوي، وعليها تم تحليل كتاب تدبير المتوحد، إذ تدرّجت الدراسة على خمس فصول، بدأت بمنهجية

البحث، ثم الفصل الثاني ويتضمن التعريف بابن باجة والأحداث السياسية والعلمية في حياته، ثم الانتقال إلى

الفصل الثالث ويتضمن المضامين الفلسفية لفكر ابن باجة.

ثم تم الانتقال للإجابة عن مشكلة البحث ضمن الفصلين الرابع والخامس، إذ يتضمن الفصل الرابع:

المضامين التربوية (أسس التربية)، والخامس: التطبيقات التربوية الممكنة لفكر ابن باجة من وجهة نظر الباحثة،

ويستكمل البحث بتقاطعات بين ابن باجة وآخرين ونقد تحليلي، ثم النتائج والمقترحات.

ما توصلت له الدراسة أن : ابن باجة عاش في وحدة فكرية مع نفسه وفرض على الإنسان الناجح أن

يعيش مثل هذه الوحدة، لأن الناجح أو بلفظ المتوحد هو وليد المدن الناقصة بالتالي هو القادر على تحقيق الكمال

لها انطلاقاً من كماله أولاً، فالعلاقة جدلية بينهما بالتوافق مع دراسة مروفل، هذه الوحدة الفكرية أنتجت اهتمام

ابن باجة بالعقل بالدرجة الأولى، لذا فإن تسميته حسب المؤرخين بفيلسوف العقل هي حقيقة تماماً. ولخصت

الباحثة ما توصلت له الدراسة عبر محاورها (حياته، فلسفته، التربية عنده)

حياته: لخصت الباحثة هذا الفصل بالنقاط التالية:

- عاش ابن باجة وحدة عقلية لم يجد من يشاطره بها من أقران ومجموعات مؤيدة له في ظل حياة متقلبة،

بين الترف وتوليّ الوزارات والبلاط الملكي من جهة، وبين النفي والتهجير من جهة أخرى.

- تجرأ ابن باجة على الكشف عن أركان فلسفته الخاصة في زمن كان المشتغل به بالفلسفة يُقتل، بل ويعتبر أول من درس كتب الفلسفة المشرقية التي استجلبت قبله بمئة عام تقريباً.
- تنوعت منابع فلسفة ابن باجة بين الإرث اليوناني حيث ذكر محاورات أفلاطون وشرح وعلق على كتب أرسطو وبين فلسفة المشرق كالفارابي والصوفية، وأخيراً الإرث الإسلامي.
- تولى ابن باجة في المجتمعين الاندلسي والمغربي العديد من الوزارات وكان له مكانة مرموقة، وله الكثير من التلاميذ والتابعين كما برع في الرياضيات والفلكيات وعلم الجغرافيا والأنساب.
- مع التشابه الكبير بين الزاهد الصوفي ومتوحد ابن باجة من حيث رفضه للمجتمع الفاسد والتزامه بالأخلاق، إلا أن ابن باجة رفض الصوفية وانتقدها بما سماه هو أوهام، وحارب هذا التيار على الرغم من شيوعه، ودعاهم إلى المحاكمات العقلية.
- اعتمد ابن باجة المنهج الصوفي العقلاني، أو التأمل المبني على الحجج العقلية بعيداً عن نهج الثورة، أو التقليد الأعمى أو الانعزال المطلق، كما استخدم المنطق في تفسيراته للطبيعة وغيرها.
- كما اعتمد البراهين العقلية في اثبات أي قضية وبرع في عدة علوم مختلفة. حدد على نهج الفارابي المدينة الفاضلة، ولكن بخلاف مع الأخير جعل النوابت علة وجود هذه المدن . كما عاش في وحدة عقلية مع نفسه فتحت له آفاق جديدة من العلم والمعرفة.

فلسفته: وقد تم تلخيص فلسفة ابن باجة بالنقاط التالية: - (الوجود):

- اتسمت فلسفة ابن باجة بالنظرة الثنائية حيث للإنسان طبيعتان سرمدية وفانية، وللكون فلكان فوق القمر وتحت القمر، وللعمل قطبان الخير والشر، حتى النفس جوهر وصورة، وكمالها كمالين قوة وفعل وانعكست هذه النظرة التحليلية في كثير من مناحي فكره، بالتالي عكس ابن باجة النظرة الثنائية.
- النفس الإنسانية خالدة والجسم هو الفاني، أما كمالها فكمالين قوة وفعل وما يحقق التربية هو كمال الفعل، أي ما تطلبه النفس العليا وليس الفردية.

- اعتمدَ مبدأ الحركة في الطّبيعة المكونة من أجسامٍ صناعية وطبيعية.
 - أثبتَ قَدَمَ العالم وصرّح به، وأعطى حجة الحركة والأسباب لإثبات رأيه.
- (المعرفة):

- تبنى الاتجاه الواقعي في المعرفة، متأثراً بأرسطو، كما جعلَ الحسّ المصدر الأول لها، وحاملين المعرفة هم المتوحّدون، كما رتّب الناس حسب معرفتهم إلى الجمهور ومعقولاتهم فاسدة، ثم المرتبة النظرية ومعقولاتهم تصبح بواسطة، وأخيراً مرتبة السعداء حيث المتوحد يصلُ ليرى الأشياء بعينها، ويستمدُ معرفته من العقلِ الفعّال حيث تنتقل معرفته من الكثرة للوحدة.
- (القيم):

- لم يؤمن ابن باجة بالجمال الخارجي بل مقتَ مظاهر الترف والتلذذ بلا سببٍ عقلي، كما رأى الخير في الفضيلة، بينما تقترنُ السعادة باللذة عنده بشرط أن لا تكون الغاية هي اللذة، بل تأتي كنتيجةٍ طبيعيةٍ للفضيلة.
- تركز فلسفة ابن باجة الأخلاقية على المحبة في المدينة الفاضلة، فلا تشاكس ولا أمراضٍ فيها وليست تحتاج إلى القضاء، وكلما ابتعد أهلها عن الفضيلة والمحبة أصبحت مدن ناقصة.
- بين القانون السياسي والأخلاقي اختارَ ابن باجة الخيار الأخلاقي فليس يتدخل في السياسة أو بأنظمة الحكم، وبالمقابل لا يذكر الدين إلا من باب الروى الصادقة، كما سكت تماماً عن قضية النبوة، واعتمدَ العقل في كلامه دوماً.

• التربية عنده:

أولاً: أسس التربية، وتلخّصت بالنقاط التالية:

- تقوم التربية على أسسٍ متعددة، الأول هو المعرفي، والثاني الأخلاقي، والثالث الأساس الاجتماعي والسياسي، ويرتكز جميعها على العقل لذا هي متكاملة تحدد منهج تربية وحياة المتوحد، كما أكد ابن باجة

على مركزيّة العقل، منذ الطفولة حيث النزوعيّة بالخيال إلى المتوسطة حيث الصنائع، وأخيراً النفس الناطقة حيث التعلّم والتعليم لذا توسم التربية بالسمة العقلية عند ابن باجة.

- وضع ابن باجة نظرية في المعرفة، حيث تنتقل من الحسّ إلى المحسوس، صاعدةً إلى العقل عبر مراحل تتلخّص عبرها من العلائق المادية.
- قسم المعرفة إلى قسمين حسية وعقلية، حيث تعتمد الحسية على أدوات الحسّ خارجياً، وهي الحواس الخمس، والقوى الداخلية حيث الذاكرة، والحس المشترك، والخيال وجعل المعرفة تنتج من تكامل هذه العناصر مع بعضها، ثم تصل هذه المعرفة الحسية إلى العقل، لتخضع للتجريد بعد استخدام العمليات العقلية العليا من منطق واستدلال وربط وتحليل، فهي إذن في مرحلة الإدراك العقلي.
- تدرك المعرفة العقلية المعاني المحسوسة، وتُركّب بعضها ببعض وتحكّم بعضها ببعض، والتركيب هو التصوّر، والحكم هو التصديق، حيث تقوم النفس الناطقة (الأدراك العقلي)، بفعلين الأول: وجود المعاني مفردة والثاني تأليف معنيين من هذه المعاني في قضية ما، والأول التصور والثاني هو التصديق.
- يعتمد الوصول إلى المعرفة على قيم أبرزها: مصاحبة أهل العلوم، وتراكم المعارف ثم تطويرها ومحاولة الابتكار، ثم تمرير هذه المعرفة وعدم احتكارها، حتى تتولّد الفضيحة بين الجميع.
- يرافق الحصول على العلم لذة تعتبر كمنحةٍ لصاحبها، يحصل عليها المتعلم بعد الوصول، وبحسب هذه اللذات يتشوق الناس للعلم، فمنهم ما يسعى لكسب نوع واحد ولذته بأخذ شيء ما من هذا العلم، أما الثاني يطلب شيء أعلى من المنفعة، ربما اشباع العقل بالعلوم، والأخير حصل على لذة الوصول للعقل الفعّال.
- قسم العلوم إلى أنواع: إلهي، إرادي حيث الفضائل والرذائل، الرياضي، المنطق، والعلم الطبيعي.
- يحلل ابن باجة أي شيء إلى عناصره الأولية لمحاولة معرفته، فكل شيء له أربعة علل: المادية والصورية والغائية والفاعلة حيث المحرك أو الصانع.

- الكمالات التي يجب أن يصل إليها المتعلم هي فضائل، إما شكلية تلقائية يُولدُ بها الإنسان أو فكرية مكتسبة وتقسم إلى نظرية أو عملية، وفي كل الأحوال تحتاج هذه الفضائل للمران والتعود بدايةً، ثم للتعلم والمحاكمات العقلية.
- تنحصر عملية التربية بالأفعال الاختيارية، حيث يكون الباعث فيها هو العقل وتُقسم إلى أعمال التلذذ الماديّ ويجب أن يتخلص المتعلم من إثارها الجانبية، وأفعال لا منفعة مادية منها بل محاولة الوصول إلى الكمال
- يصل المتعلم للسعادة القصوى عن طريق العلم والفلسفة حيث تتجرد الصور العقلية، والنادرون هم من يحصلون عليها حيث يصلون إلى درجة عالية من الإبصار.

ثانياً: التطبيقات التربوية:

- توصف التربية بوصف التدبير نفسه على أنها ترتيب أحوال الإنسان حتى ينال أفضل وجوداته بالتالي توجيه مجموعة القوى التي ينصف بها الإنسان للوصول إلى مرتبة الاتصال، وارتكاز هذه التربية هو العقل في كسب المعرفة، تعلم المهن، حتى الفضائل الأخلاقية تابعة للعقل
- تقوم التربية على مبادئ أهمها: التراكمية، الموضوعية، مراعاة الفروق الفردية، الحث على العمل، تكافؤ الفرص التعليمية، الحداثة والتجديد، التكيف، الشك العلمي
- يمكن للقاري لفلسفة ابن باجة تسجيل أهداف التربية كالتالي: المحافظة على الصحة البدنية كي تخدم العقل، الحرص على مصاحبة أهل العلوم، ارتقاء العلوم النظرية، عدم استعمال اللغز، الاهتمام بالإرادة والاختيار الحر، إعداد الشخص للعيش بمجتمع فاضل ، تأكيد وعي الذاتي للإنسان.
- تتحرك عملية التربية عند ابن باجة بدافعين الأول هو الخيال والثاني هو الفكر وبحسب اختيار المتعلم، تنتج أفعال كل منهما، ولكن يجب عليه اختيار محرك الفكر كي لا يقع في الخطأ.

- لا يكتسب العلم إلا بالتعليم الذي يحتاج الاستعداد الجسمي والنفسي، وإلى دافعية حيث تنتج من التشوق واللذة، أو اكتمال القوة الفكرية، أو التربية التطبيقية.
- غايات التربية تكمن في بلوغ التوازن بين الأساس الاجتماعي وهو الارتقاء بالمجتمع، والأساس الفردي وهو تحقيق سعادة المفرد، كما تعتبر السمعة الطيبة والذكر إحدى غايات التربية، وأخيرا بلوغ الكمالات الخلقية والسلوكية والفكرية.
- حيث تشكل الكمالات الخلقية والسلوكية مراحل التربية، وخواصها في كل مرحلة عمرية، بينما الكمالات الفكرية تأتي بعد نضوج القوة الناطقة، وحدد العلاقة بين هذه المراحل أنها متتالية، لا تداخل بينها، متكاملة.
- نوع ابن باجة المادة المتعلمة حيث شمل تقريبا كل مناحي الحياة، وربما يعزى ذلك لتنوع علومه.
- اعتمدت طرائق التربية عند ابن باجة على التعلم الذاتي، وكل الطرق المستنبطة إنما تعتمد على المتعلم بالدرجة الأولى، حيث يهتم بتكوين المدركات الحسية للوصول إلى المعقولات العقلية بترج
- اعتمد طريقة المناقشة للوصول إلى الصواب والخطأ، كما قال بالتربية الفردية ولم يتطرق لعمل المجموعات أو الفرق، ابتعد عن المحاكاة ووضع بدلها المحاكمة العقلية، كما قال بطرق البحث العلمي حيث الاستدلال والروية والاستنباط، وأكد على تحليل الموجودات إلى العلل ثم استخدام التركيب للوصول معاني جديدة، وأخيرا رفع من علم المنطق.
- ركز على المتعلم وخصائصه كونه محور عملية التربية، ومن أبرز خصائصه الاغتراب الفكري، قدرته عل الاختيار، فاضل بالفضائل الشكلية، له عدة قوى أعلاها الناطقة
- لم يشر ابن باجة للمعلم كشخص أو لصفاته أو لوجوده، ربما بسبب تركيزه على التعلم الذاتي ووحدته العقلية، ولكن بشكل آخر لم يأت المتعلم إلى الحياة وهو عارف بكل شيء، إنما احتك بالمجتمع وناقش الآخرين، حتى استطاع الوصول للمعرفة، لذا فإن المعلم هنا مبهم متمثل في شخوص المدن الفاسدة الذي يعايشها المتعلم.

- التقويم: ارتكز على علاقة النتيجة بالغاية، إذا كانت النتيجة تمثل الغاية كان هذا الفعل صحيحاً، وبشكل آخر قال بالقياس في محمل شيء على شيء آخر فقد يجعل من البراهين صحيحة، أخيراً فإسالة العرب بحيث يكتشف ذكاء المتعلم وفهمه، من خلال حركات الأعين ولطافة تحديقاتها.
- يمكن القول أن ما يميز فكر ابن باجة هو نظريته للتعلم الذاتي، وربطه بنجاح الفرد اجتماعياً، أي إن الإنسان لا يحتفظ بالمعرفة لوحده، إنما يعتمد على نفسه بكثبتها، وما أن اكتسبها سيحاول إصلاح فساد المدن بها.

المدخل المنهجي للبحث

مقدمة:

من المؤكد أنّ كلّ تربية تستندُ إلى فلسفةٍ خاصة، بالتالي تتبثقُ منها جذورُ هذه التربية وفروعها ، وهذا ما دعا إلى تحليل الفلسفة العربية عبر أعلامها المعروفين، بغرض عرض الأساس الفلسفي الذي قامت عليه التربية العربية في عصورها الذهبية، وربما يعد هذا العمل ضرورياً في هذه الفترة من الحياة المعاصرة، لسببين أولهما ما تشهده الفلسفة العربية وخصوصاً الإسلامية من محاولات متكررة لطمس هويتها وجعلها تابعة للأمم الأخرى عبر أساليب العولمة وغيرها ، وثانيهما ما يمرّ به المجتمع الحالي من مشكلات تربوية واختلافات اجتماعية، مما يدعو إلى محاولة إيجاد حلول لهذه المشكلات.

وإنّ من الحلول المقترحة هي توجيهُ جهود الباحثين التربويين إلى إيجاد الأساليب الفاعلة الكفيلة بمدّ المجتمع بالحلول العلمية التي تأتي في أحد اتجاهاتها من العودة إلى المصادر الأصيلة ومحاولة تحليلها وتحديد القواعد السلوكية العقلية والمعرفية والاجتماعية والخلقية وإعادة عرضها وفق منهج تربوي معاصر يسهل العودة إليها وتطبيقها، وعند الرجوع إلى العصور الإسلامية التي برزت فيها الاختلافات المذهبية وكثرت الفرق الدينية بطريقة مشابهة للوضع العربي الراهن، يبرزُ عصر الطوائف خصوصاً في منطقة المغرب العربي ، إذ يظهر مؤلف "تدبير المتوحد" لصاحبه ابن باجة.

وبحسب جمعة ظهرت في هذا المؤلف غاية ابن باجة في إثبات قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بحسنات الحياة والبعيد عن مفسدها، على الاتصال بالعقل الفعال بمجرد نمو قواه الفكرية، لذلك أطلق على مؤلفه فيلسوف السعادة، حيث قسم الناس إلى منازل أعلاهم منزلة السعداء وهم الذين يرون الشيء بنفسه وبالتالي حاول تأسيس

فلسفة إسلامية تخلو من الباطنية. (جمعة، ٢٠١٢، ٢١٣)

ففي هذه الرسالة تحاول الباحثة عرض معالم الفكر التربوي لابن باجة ضمن خطته المتضمنة في مؤلفه تدبير المتوحد حيث تكمن دلالاته في أن المتوحد غريب ونابت، ويقصد بكونه غريب، أنه لا يستطيع التأقلم مع أقرانه الغير مهتمين بالوصول للعقل الفعال واكتشاف مكامن الحياة، فحياته العقلية تختلف عن حياته الواقعية، وكلمة نابت تدل على أنه مولد للأفكار قادر على اكتشاف الحلول بروية كونه يعمل على إعمار عقله دوماً، أيضاً هذا المتوحد هو نتيجة مدن فاسدة، بحسب ابن باجة لولا وجود الفساد في هذه المدن، ما كان قد نتج هذا الغريب صاحب الوحدة العقلية (المتوحد)، وكان فرداً طبيعياً من أفراد المدينة، فهو صاحب رأي صادق كما أنه اجتماعي بالطبع ولكن تدبير ذاته شرطاً لا بد منه لينال أفضل وجود له.

أولاً – مشكلة البحث:

تتطلب معالجة القضايا التربوية في المجتمع النظر في أصولها الفلسفية، لهذا اختارت الباحثة الأصل الفلسفي العربي، متمثلاً بأحد رواه أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة في كتابه تدبير المتوحد، حيث بدا من خلال قراءة أولية لتدبير المتوحد أنه يحاول وضع خطة لقيادة الإنسان لنفسه، ويزيد الأمر أهمية ما صرح به ابن رشد بقوله "أراد أبو بكر بن الصائغ أن يختط خطة لتدبير المتوحد في هذه الأمة لكنه لم ينجزها، وسنحاول لاحقاً شرح غاية المؤلف من هذه الرسالة، لأنه أول من سار في هذا المضمار ولم يسبقه أحد فيه" (زيناتي، ٢٠٠٢، ٥١). هذه الشهادة من ابن رشد تدل على أن ابن باجة أول من أسس لخطة متكاملة مبنية على العقل ولم يسبقه أحد إليها ينشأ بها الإنسان بالشكل الأمثل. لذا ينطلق هذه البحث للبحث في الفكر التربوي لفيلسوف لم تناقش الدراسات السابقة المضامين التربوية لفلسفته إلا ما ندر، ومحاولة الاستفادة من نتائجه لاحقاً، وللنظر في تدبير المتوحد ومحاولة تحليله وبيان أشكال وخطوط التربية فيه.

تشكل الأسئلة التالية مشكلة البحث الأساسية:

١- ما مضمون الفكر التربوي عند ابن باجة في كتابه تدبير المتوحد؟

٢- ما التطبيقات الممكنة لهذا الفكر تربوياً؟

ثانياً - أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من أن:

- ١- الاشتغال بمنابع الفلسفة في عصر ابن باجة كان يتطلب جرأةً وشجاعةً بسبب معاداة الجمهور والفُقهاء للمشتغلين بالفلسفة وخصوصاً المقرونة بالبراهين العقلية والرياضيات، لذلك يسلط هذا البحث النظر على أول محاولة فلسفية مناهضة للتقليد معتمدة على العقلانية والتفسير المنطقي، ولا بد من الاستفادة منه في التربية.
- ٢- ابن باجة كتب في تدبير المتوحد وفي رسالة الوداع وفي غير ذلك من رسائله، وخاصةً في كتاب النفس، ما يفيد في استجلاء فهمه لطبيعة الحياة الصالحة وطبيعة الإنسان والمجتمع والمعرفة، وغير ذلك مما يعتبر إسهاماً في فهم الإنسان وسيرته الفاضلة بالتالي تربيته.
- ٣- تكشف فلسفة ابن باجة وما توصل إليه في العصور الوسطى، إذ سبق الكثير من الفلاسفة باكتشافاته، ثم تسقط هذه الفلسفة على التربية، مما يجعل هذه الدراسة إثراء للمكتبة العربية.
- ٤- تم دراسة فكر ابن باجة الفلّسفي ومن زوايا متعددة بحسب الدراسات السابقة، لكنّ هذا البحث يتناول الفكر التربوي عند ابن باجة من منظور تكاملي تحليلي شامل.
- ٥- الإفادة من نتائج الدارسة الحالية في تسليط الضوء على بعض التطبيقات التربوية التي يمكن اعتمادها في المؤسسات التربوية (أسرة- مدرسة- مركز تعليمي)
- ٦- الاستفادة من البحث الحالي في إجراء بحوث لاحقة مهتمة بجذور فلسفة التربية الإسلامية وما نتج عنها.

ثالثاً - أهداف البحث: يستهدف البحث:

- ١- تعريف الأسس التربوية الرئيسية في فكر ابن باجة.
- ٢- الكشف عن الأصول التي بني عليها هذا الفكر وملابساته الاجتماعية ومحاولة تحليلها.
- ٣- إسقاط المضامين التربوية على الأركان الحديثة للتربية من خلال تحليل تجربة ابن باجة.
- ٤- تحليل تدبير المتوحد بوصفه أول مؤلف مشروع في الفكر التربوي الاندلسي لحق به الكثير من التابعين.
- ٥- الكشف عن التقاطعات التربوية بين ابن باجة والآخرين.

رابعاً- أسئلة البحث:

- ١- من هو ابن باجة؟ وما سيرة حياته؟
- ٢- ما أهم سمات الفترة الزمنية التي عاش بها ابن باجة أدبياً وسياسياً؟
- ٣- ما أهم أركان فلسفته؟
- ٤- ما الأسس التي قام عليها الفكر التربوي عند ابن باجة؟
- ٥- ما التطبيقات التربوية الممكنة لفكر ابن باجة؟
- ٦- ما التقاطعات التربوية بين ابن باجة وغيره من الفلاسفة؟

خامساً - حدود البحث:

الحدود الزمانية: تجرى هذه الدراسة عام 2020- 2022

الحدود المكانية: تجري هذه الدراسة أولاً: في مدن الاندلس (سرقسطة- أشبيلية- غرناطة)، ثانياً: في مدن المغرب (فاس) حيث تنقل ابن باجة بينها.

حدود الموضوعية: الفكر التربوي في فلسفة ابن باجة وتطبيقاته التربوية الممكنة حيث تمتد حياته ما بين نهايات القرن الخامس الهجري إلى بدايات القرن السادس الهجري (475-533) هـ ، حيث بدايات عصر الطوائف أي في بدايات القرن الثاني عشر ميلادي (1072-1139) تقريباً.

سادساً - منهج البحث:

وقد تم اعتماد منهج التحليل الفلسفيّ الكيفيّ، إذ يعتمدُ على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات محل الدراسة ومن ثمّ دراستها بأسلوبٍ متعمقٍ وفي ضوء ذلك تُستنبطُ قواعد وأحكام كَيْفِيَّة في الغالب بحكم أن مواضيع الفلسفة معنويّة، يمكن عن طريقها إجراء تعميمات تساعدُ في حل المشاكل المقصودة من الدراسة.

ويقوم منهج التحليل الفلسفيّ الكيفيّ على خطوات عديدة كما يلي:

١. التعريف بالكاتب أو الفيلسوف والتحدث عن كتبه ونزعتّه ودوافعه وأوضاعه.
٢. قراءة النصّ الفلسفيّ وفهمه، وتقسيمه إلى عبارات ومحاولة أخذ أفكار متفرقة ثم يخرج الباحث فكرة أو حجة عامة أو أساسية
٣. تحديد الإشكالية والبنية في تحليل النصّ الفلسفي عن طريق نقاط أو تقرير، تكون متمحورة حول موضوع معين مثل القيم أو السياسة أو الاقتصاد أو غيرها
٤. صياغة إشكالية نصّ فلسفي عن طريق تحديد العبارات والأفكار الخاصة بالمشكلة وإعادة صياغة النصّ الفلسفي بطريقة تدل على المشكلة ذاتها.
٥. الكشف عن الحجج والأدلة: حيث تستخرج من النصوص الفلسفية للفيلسوف تدل على المشكلة المطروحة، وتثبت رأيه منها، أو قد تكون تاريخية أو نقلية أو غيرها.
٦. التحقق في الحجج والآلة عن طريق آراء كتاب آخرين في نفس المجال، قد يزيد ذلك من قوة النص وصحته وقد يحوي على كثير من المعارضات.
٧. النتيجة المحصلة من تحليل نصّ فلسفي: لا بد من الخروج بنتائج وتوصيات من هذا النص بحيث يوضع رأي الكاتب، والرأي العام من القضية، والحجج والدلالات المؤيدة والمعارضة له. (العبادي، ٢٠١٩، ٢)

بإسقاط ما ورد على البحث الحالي ستقوم الباحثة:

- (١) برصد حياة ابن باجة والأحداث المحيطة والأساسية في عصره.
- (٢) بيان النقاط الأساسية في فلسفته ومحاولة إسقاطها على العُلل التربوية لاحقاً
- (٣) محاولة استنباط الأسس التربوية من خلال نظراته للمعرفة والقيم والأخلاق من جهة، ثم بيان الأساس الاجتماعي والسياسي بحسب ما أورده ابن باجة في ثنايا كلامه وسيرة حياته.
- (٤) استخراج التطبيقات التربوية من خلال تحليل كتاب تدبير المتوحد ثم محاولة تحليله، ثم استخلاص الأبعاد التربوية في فكر ابن باجة.
- (٥) إجراء مقارنات بين ما تم الوصول إليه وبين آراء وأفكار فلاسفة وناقدين آخرين لبيان قيمة هذه الأفكار.
- (٦) الخروج بتعميمات وملخصات تربوية وتوصيات مفيدة لمحاولة تطبيق هذه التعميمات في دراسات وبرامج لاحقة.

سابعاً - مصطلحات البحث:

الفكر التربوي (Educational thought): جزء من فكر إنساني مبدع يتسم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته وصفاته وحاجاته (مصطفى، ١٩٩٢، ٩)

التطبيق التربوي (Educational application): يُعرف اجرائياً: إعادة طرح الأفكار الفلسفية في ميدان التربية، عن طريق تحليلها واستنتاج النسق التربوي الخاص بابن باجة، ومن ثم ترتيب هذه الأفكار على الأركان الحديثة للتربية (أهداف، غايات، معلم، متعلم، طرائق، منهاج، تقويم)

تدبير المتوحد: أحد كتب ابن باجة المتبقية، والتي يشرح بها كيفية قيادة الإنسان لحياته، على اعتبار كلمة التدبير هي الإجراءات التي يتخذها العاقل للعيش الكريم، والمتوحد هو الإنسان النابت أي القادر على إعمار العقل بما

ينفعه في حياته ليصل إلى حسناتها، كما أنه قادر على إنبات أفكار جديدة لكل المشاكل التي تصادفه، بالتدريبات العقلية التي يمارسها ليصل للعقل الفعال.

ثامنا - الدراسات السابقة:

- مصطفى، علي خليل، (١٩٩٢) *ابن باجة وأفكاره التربوية، مصر.*

هدف البحث هو الكشف عما في فكر ابن باجة من رؤى تربوية وما لهذا الفكر من مضامين.

ومشكلتها إبراز الاهتمامات التربوية وأصولها في مؤلفات ابن باجة.

وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي الفلسفي.

وقد توصل إلى أن اتجاه ابن باجة في التربية يذهب إلى الديمومة فحركة الفكر التربوي الفاصرة على الدوران في مجال الجزئيات البسيطة ستكون بلا شك طبقاً لتحليل ابن باجة الفكري هي حركة فاسدة لأنها غير دائمة، ومعنى هذا لابد من الانتقال إلى مرحلة أعلى تستدعي الحركة الدائمة المستمرة المبتكرة، والعمل التربوي والفكر الموجه لها يجب ألا يقف عند الجزئيات البسيطة، لذلك يُراعى التدرج من الجزئي إلى الكلي. اهتمام ابن باجة بالصورة الفكرية حيث يعتبر المادة فاسدة إذا لم تتصل بالصورة الفكرية المكونة لها. كان تأثير ابن باجة جلياً واضحاً في تابعيه منهم ابن طفيل وابن رشد وقد ظهر متوحده جلياً في مؤلفاته.

- العبادي، عبد الله، (١٩٩٥)، *الفكر الاجتماعي عند ابن باجة.*

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على إسهامات العلماء المسلمين الرواد في مجال الفكر الاجتماعي.

وتناولت المشكلة ملامح الفكر الاجتماعي لدى ابن باجة.

وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد خلصت الدراسة في إحدى نتائجها لما يلي: أن ما يميز ابن باجة هو مفهومه للدولة الفاضلة وهو ليس مفهوماً قبلياً وليس محاولة لقلب نظام الحكم بل وسيلة لإصلاح العادات والأخلاق في المجتمع الذي يعيش فيه المتوحد وأن هذه الدولة قبل كل شيء لتحقيق الوجود الإنساني على أكمل صورة لكل فرد.

- الشيخاني، ندوى، (٢٠٠٣)، الفكر التربوي في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

هدفت الدراسة إلى تعرف الفكر التربوي في الأندلس عن طريق مقارنة الفكر لدى (ابن بر، ابن حزم، ابن باجة). ومشكلتها هي إثبات وجود فلسفة تربوية عربية.

كما اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التاريخي معتمدة التحليل كونه أداة الدراسة الأساسية.

وخلصت النتائج إلى جملة المبادئ التربوية التي اتفق عليها الفلاسفة الثلاث وهي كالتالي:

مبدأ الإيمان: العبودية لله والاعتقاد بوحدانيته ١ مبدأ الأخلاق: بناء قيم خلقية لدى المتعلمين

مبدأ التربية المتكاملة: تعنى بكافة جوانب الشخصية ١ المبدأ العلمي: الأمانة والنشك العلمي

مبدأ التفكير الناقد ١ مبدأ الابداع

مبدأ العمل ١ مبدأ الديمقراطية

مبدأ التربية المستمرة ١ مبدأ الإنسانية

مبدأ الارشاد والتوجيه ١ مبدأ التدرج من الجزئيات إلى الكليات

- مصطفى، عرفات، (٢٠١٠)، ظاهرة الاغتراب الفكري.

وقد هدفت الدراسة لتبيان مفهوم الاغتراب الفكري وأبعاده.

ومشكلتها تناول ظاهرة الاغتراب الفكري من المنطلق الإسلامي.

وقد كان المنهج وصفيّاً تحليلياً.

وخلصت إلى أن ابن باجة وابن طفيل أكثر فلاسفة الإسلام الذين تطرّقوا إلى ظاهرة الاغتراب الفكريّ وإن ابن باجة حاول ربط الاغتراب الفكريّ بفكرة المدينة الفاضلة أو الكاملة حسب استخدامه، كما اتسم أسلوب ابن باجة في إيصال الأفكار عن طريق تحكيم العقل وربطه بأفعال الإنسان متميزاً بنزعتة العقلية التي ظهرت جلياً في كتابه تدبير المتوحد.

– الحكيم، سعاد، (٢٠١٢)، قيم المعرفة والسعادة عند ابن باجة وابن طفيل، سلطنة عمان

وقد هدفت الدراسة إلى تحديد قيم المعرفة والسعادة لدى الفيلسوفين.

وكانت المشكلة هي فكر ابن باجة وابن طفيل حول السعادة والمعرفة.

وقد استخدمت المنهج التحليلي الوصفي.

وقد توصلت إلى الجانب الإيجابي في هذه الفلسفة يتمثل في إصرار كل من الفيلسوفين على بناء السعادة على العقل وفضيلة الروحانية، والسلبى ينحصر في نقطتين: حصر السعادة فقط عند الفلاسفة، وفي هذا الفعل تحقيق السعادة التي يحصل عليها المؤمن بالرضا والتسليم وخصوصاً عند ابن باجة، والأخرى حصر السعادة في غياب الشريك بالتالي تحقيق السعادة التي تتم في عالم مفارق أفقد السعادة قيمة التشارك.

– الطنطاوي، فراج الجالي، (٢٠١٥)، المعرفة بين فلاسفة المشرق والمغرب، مصر.

هدفت الدراسة إلى تبين مفهوم المعرفة لدى الفلاسفة المسلمين في المشرق والمغرب.

ومشكلاتها الوقوف على آراء الإسلاميين حول المعرفة (الكندي، الفارابي ابن سينا، ابن طفيل، ابن باجة، ابن رشد).

منهج الدراسة المنهج الموضوعي المقارن.

وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

- أن ابن باجة قد طبع نظرية المعرفة بطابع جديد يختلف عن الطابع لدى الغزالي.

- المعرفة لدى ابن باجة تبدأ بالحواس إلا أنها تأتي يقينيةً عن طريق العقل وحده مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المعرفة العقلية لا تنهياً إلا لنفر قليل من الناس وهم المتوحدون ولا شك أن ما قاله كان له أهمية في ذلك الوقت، إذ أنه يعد أحد مراحل التطور في تاريخ الفلسفة الإسلامية خاصة بعد هجوم الغزالي على العقل وتصريحه بعدم الثقة في العقل وحده على أنه طريق موصل للمعرفة.

– عبد العال، شعبان عبد الرحيم ، (٢٠١٥)، النفس عند ابن باجة، مصر

وقد هدف البحث إلى التعرف على النفس عند ابن باجة.

وكانت المشكلة تحليل أصول النفس وأنواعها.

وقد استخدم المنهج التاريخي والتحليلي.

وقد توصل البحث لما يلي:

- كان اهتمام ابن باجة بالنفس اهتماماً بالغاً وقد تحدث عنها في جملة كتبه المتبقية ورسائله، وقد كان الاستناد الرئيس في تحليل النفس مصادر الفكر الإسلامي والفكر اليوناني كالبرهان الطبيعي الذي عرضه ابن باجة وبرهان السايكولوجي وبرهان الاستمرار.
- مع تأثر الفلاسفة بتعريف أرسطو للنفس إلا أن ابن باجة كان أعم منه، ولم يحصر النفس فقط في الصورة بل رأى الكمال في نوعين، أول وأخير، الأول بالقوة والثاني بالفعل، وبالتالي جمع بين أفلاطون بجوهرية النفس وأرسطو بصورتها.
- لم يقدم ابن باجة دليلاً على قدم النفس أو حداتها.
- مع أنه لا خلاف مع أرسطو حول الحواس الخمس وتقسيمها إلى ظاهرة وباطنة ، وفي اشتراط وجود وسط لأداء وظائفها، إلا أن الشم عند ابن باجة لا يفتح إلا بحاجز الاستنشاق فإذا انفتح وصلت الرائحة للأنف

- على الرغم من تأثر ابن باجة بالفارابي حول خلود النفس الإنسانية وبقائها، يميل للمتصفح لموقف ابن باجة من خلود النفس أنه يقرأ للفارابي، إلا أن ابن باجة زاد عنه، وجعل اللقاء للسعداء ليس بعد الموت بل أيضا في الحياة حيث يلتقي الحكماء.

- زرواق، أسية، (٢٠١٧)، *الإنسان في فلسفة ابن باجة، الجزائر*

وقد هدفت الدراسة إلى عرض مشروع ابن باجة الفلسفي حول الإنسان

وكانت مشكلتها الوصول إلى الإنسان الذي يريده ابن باجة

وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي

وخلصت الدراسة في أحد نتائجها لما يلي:

- للمتوحد سعادتان، الأولى دنيوية حيث قيامه بالإصلاح في مجتمعه بطريقة صحيحة على أساس عقلي، والثاني هي الوصول إلى الخلود (العقل) من خلال تخليد الناس ذكراه بعد موته.
- العقل هو القوة الحاسمة في الإنسان.
- إصلاح الذات لا يكون إلا عن طريق العقل.
- لكي يعيش المتوحد كإنسان فاضل داخل المجتمع عليه أن يمر بسلم الارتقاء من النقص إلى الكمال.
- صفة التلازم بين الإنسان والبيئة لا غنى عنها، لذلك على الإنسان الحفاظ على هذا التلازم من خلال انتسابه للمجتمع مع الحفاظ على الجانب الفكري من جهة أخرى.

- مروفل، كلثوم، (٢٠١٩)، *the pegime of happiness in the thought of Ibn Baja* ، تدبير السعادة

في فكر ابن باجة، الجزائر

هدفت الدراسة إلى البحث في قيم سعادة المتوحد.

وكانت المشكلة تحليل أهداف وأسس السعادة لدى ابن باجة.

وقد استخدم المنهج التحليلي والتاريخي.

وقد توصلت إلى أن الغاية من الوجود الإنساني في نظر ابن باجة، هي بلوغ السعادة القصوى المرتبطة أساسا بعملية التدبير، هذه العملية مشروطة بنوع من الجدل بين الطرفين (المتوحد- المدينة)، فالطرف الأول: المدينة حيث منحت المتوحد فرصة الوعي والتحسس العالي بمشكلاتها، فصعدها على مستوى الفكر، لتكون الهم الرئيسي له، بهذه الحالة كانت المدينة هي السبب في ولادة المتوحد ليمارس التغيير.

أما الطرف الثاني فهو المتوحد، الذي يجسد التمرد على المدينة في عاداتها، فهو يعتزل بنفسه عن العامة، ويتوجه إلى تأسيس ذاته بغرض بناء نموذج (مدينة الواحد)، للمدينة الكاملة بالتالي يقوم المتوحد بتدبير ذاته، فيسعى لتغيير طباعه السيئة، ليحصل على سعادة المفرد من جهة، ثم يسعى لقلب أوضاع المدينة من جهة أخرى، ليجسد مشروع السعادة على المجتمع كافة لكن بطرق سلمية مترفعة عن كل سبل القوة والعنف.

ـ بلعالم ، عبد القادر، (٢٠٢٠) *السكوت عن قضية النبوة في فلسفة ابن باجة*، الجزائر

هدفت الدراسة إلى بيان موقف ابن باجة من النبوة.

ومشكلاتها تحليل موقف ابن باجة على قضية النبوة .

واستخدم المنهج التحليلي .

وقد توصلت إلى أن ابن باجة قد أثار قضية النبوة عن طريق السكوت فيها، وإزاحتها وإخراجها من دائرة التفكير الفلسفي، والتحجج بقدرة العقل البرهاني على أداء الوظيفة المعرفية المنوطة به، وبلوغ الأفق نفسه هي الغاية الانطولوجية التي يسعى إليه، ولذلك يتجه إلى إعطاء الأولوية للعقل على الوحي، وتفضيل الفلاسفة على الأنبياء حيث إن الفيلسوف يحقق بوعيه وعقله الفلسفي مستلزمات النبوة، بالتالي يمتنع عن الافراد موقع وحيز النبوة في مدينته الفاضلة.

- عبد العال ،سامية، (٢٠٢١)، *مكانة العقل عند فلاسفة المغرب: ابن باجة وابن طفيل ،مصر*

هدف البحث دراسة مكانة العقل في نواحي متعددة عند فلاسفة المغرب.

ومشكلتها دراسة أسس النفس والسعادة. وقد استخدمت المنهج التحليلي والمقارن.

وقد توصلت إلى أن كلاً من الفيلسوفين أشادا بالعقل، ورفعاً من قيمته، وقدرته في الوصول إلى اليقين، فقد جعله ابن باجة العنصر الحاسم في فلسفته، ويجعل النفس العاقلة أشرف أنواع النفوس، والأخلاق مبنية على أساس عقلي، ومصدر الإلزام الخلقي عنده مصدر عقلي، والمعرفة الصحيحة تأتي عن طريق العقل، والسعادة والذات الحقيقية هي عقلية بالطبع، والاتصال يكون بالتدرج من المحسوسات إلى المعقولات.

التعقيب على الدراسات السابقة:

- تناولت الدراسات السابقة ابن باجة من زوايا متعددة ، معتمدة بشكل أساسي على مؤلفه تدبير المتوحد، وقد انفتحت في جميعها على منهج الدراسة، وهو الوصفي التحليلي باستثناء دراسة الطنطاوي وسامية، حيث استخدمنا المنهج الوصفي المقارن، مع اعتماد بعضها على المنهج التاريخي، ويعتمد البحث الحالي منهج التحليل الفلسفي.

- هذه الدراسات أجريت في القرن الحادي والعشرين، باستثناء دراستي خليل ١٩٩٢، العبادي ١٩٩٥،

ويجري هذا البحث في عام ٢٠٢٢

- توصلت دراسة خليل إلى شرط الديمومة المرافق للأشياء والأفعال وفق فكر ابن باجة، فمن دونها تبقى الجزئيات فاسدة، لذا يهتم ابن باجة بالانتقال إلى الحركة الدائمة في الأشياء، كما يرى الأشياء في الكليات ومنها يخرج إلى الجزئيات، موافقا الطريقة الاستنتاجية، هذا ما يتوافق مع دراسة الشихاني في جملة مبادئها التي توصلت إليها، ويتقاطع مع البحث الحالي في مراحل المعرفة الصاعدة والوصول إلى مرحلة التصور والتصديق.

- أشارت دراسة الشبخاني (٢٠٠٣) إلى جملة المبادئ التربوية المستخلصة من الفكر الاندلسي متمثلاً بابن باجة في أحد أركانه، وهذا ما ستحاول الدراسة الحالية مقارنة نتائجها معه.
- توصل الطنطاوي (٢٠١٥) إلى أن المعرفة يتوصل إليها بالحواس لدى ابن باجة، وهي يقينية عندما تكون عن طريق العقل، وهي خاصة بالمتوحدين، وهو بذلك يتفق مع دراسة عبد العال (٢٠٢١) في نقطة المعرفة، حيث تتدرج المعرفة من المحسوسات إلى المعقولات، ويتقاطع مع البحث الحالي حيث تستقبل المعرفة عن طريق وسائل الحس الخارجية التي تسقط محسوساتها داخل منطقة الحس المشترك ثم تعمل وسائل الحس الداخلية، كما أن بلوغ المعرفة لا يكون إلا لمن أعمر عقله وعمل على تدريبه وهو المتوحد.
- أما عن العقل فتتفق زرواق (٢٠١٧) التي توصلت إلى أن العقل هو القوة الحاسمة في الإنسان لدى ابن باجة، مع دراسة عبد العال (٢٠٢١) في إعلاء قيمة العقل عند ابن باجة، وأن اللذات والسعادة وحتى الاتصال كله عقلي، وبالنظر لدراسة بلعالم (٢٠٢٠) فقد أراح ابن باجة النبوة، وحل محلها قدرة العقل البرهاني على أداء الوظيفة المعرفية لذلك تعطى الأولوية للعقل على الروح، وهذا ما وصل إليه البحث الحالي من خلال عرض موقف ابن باجة من النبوة فقد فضّل التكلم عن العقل وقيّمته، مع اعترافه بوجود الأنبياء والوحي، أي أنه لم يسكت تماماً عن النبوة، لكنه اعتبر إن الإنسان قادر على الوصول للعقل الفعّال بنفسه أيضاً.
- كما اتفقت دراسة العبادي (١٩٩٥) مع دراسة زرواق (٢٠١٧) في أن حياة المتوحد المنشودة والإصلاح، ليس في محاولة قلب الحكم إنما في التلازم مع المجتمع، مع محاولة الإصلاح فيه فكرياً أي الاعتماد على العقل، وهذا قريب من دراسة مروفل (٢٠١٩) في تدبير السعادة، حيث تبنى على طرفين وهما المتوحد والمدينة حيث كل منهما هو سبب لكمال الآخر، بالمقارنة مع البحث الحالي هناك تقارب في النتيجة إذ أن المتوحد النابت للأفكار المهمم بالقدرات العقلية والفضائل، لن يكون غريباً إلّا إذا كانت المدن التي يعيش فيها فاسدة، بالتالي هو خرج منها ليعيدها إلى ماكانت عليه من فضائل، ليس بالثورة إنّما بالبدء بنفسه أولاً ثم إصلاح ما يكمن إصلاحه من خلال تأثيره بالآخرين.

- أما حول السعادة فقد تناولتها كلتا الدراستين، الحكيم (٢٠١٢)، ومروفل (٢٠١٩)، حيث اتفق كلاهما على أن السعادة القصوى هي سعادة المفرد، فلدى الأول السعادة هي العقل وحده لذا حتى المؤمن هناك تحقيق لسعادته حسب ابن باجة، وهذه السعادة ليست مع الآخرين إنما في عالم مفارق، وفي هذا خلاف مع البحث الحالي، حيث يستطيع الإنسان العاقل أن يحصل على السعادة بالتشارك، ولكن مع الآخرين الذين يشاطرونه في مستواه العقلي، إذ أنه سيحصل على التعاسة مع مجتمع يعج بالجهال، بينما عند مروفل مبنية على طرفين الأول المتوحد المتمرد المعتزل عن الآخرين، والثاني المدينة الناقصة التي تعطي المتوحد العمق الفكري الذي يحتاجه، وهنا تقاطع مع قيم التعلم المعرفي في البحث الحالي والتي ناقشت فكرة التأمل والتفكير بالواقع بكل أبعاده للوصول لأبعاد جديدة
- كل من الدراسات السابقة تناول فكر ابن باجة وحده من زاوية معينة، باستثناء دراسة الشихاني (٢٠٠٣)، وعبد العال (٢٠٢١) حيث كان في كل من الدراستين مقارنات بين فكر ابن باجة وآخرين.
- تتشابه الدراسة الحالية مع دراسة مصطفى في تناول الفكر التربوي عند ابن باجة، إلا أن هذا البحث يتوسّع في تبيان فلسفته والجذور التاريخية لها أدبياً وسياسياً وفكرياً، ثم محاولة تحليل تدبير المتوحد ككتاب تربوي وليس فلسفي واستنباط التطبيقات التربوية منه، كما أنها تتميز بإسقاط المضامين التربوية للأركان الحديثة للتربية، ثم محاولة إجراء مقارنات بين البحث الحالي وما وصل له الآخرون.

الفصل الثاني: مُحددات الإنتاج الفكري عند ابن باجة

يتناول هذا الفصل معالم ابن باجة والحياة المحيطة فيه، حتى يتسنى للقارئ فهم أكبر للعصر المؤثر بفكر ابن باجة، ومحيط الأفكار التي نتجت عن فكره، يبدأ الفصل بالمحددات الشخصية ثم التاريخية وينتهي بالمعرفة.

فهرس الفصل الثاني:

المحتوى	رقم الصفحة
أولاً- المحددات الشخصية: ١- ١ - اسمه	١٧
١-٢- أسرته	١٧
١- ٣- عصره	١٨
١- ٤- وفاته وأعداؤه	١٨
ثانياً- المحددات التاريخية: ٢- ١- سياسياً	٢١
٢-٢- علمياً وأدبياً	٢٢
٢-٣- اجتماعياً	٢٤
ثالثاً- المحددات المعرفية: ٣- ١- الشروط المؤثرة في نتاج ابن باجة المعرفي	٢٥
٣- ٢- النتاج المعرفي:	٢٦
٣-٢-١- مؤلفات ابن باجة	٢٦
٣-٢-٢- أسلوب ابن باجة	٢٩
٣-٢-٣- منابع فلسفته	٣٠
٣-٢-٤- مجالات العلوم التي أتقنها ابن باجة	٣٢

٣٥	٣-٢-٥- ثناء الآخرين على ابن باجة (مكانته)
٣٧	٣-٢-٦- تلاميذ ابن باجة
٣٩	٣-٢-٧- موقفه من الغزالي والصوفية
٤٠	٣-٢-٨- منهج فكره

أولاً- المحددات الشخصية:

اتفقت جملة المصادر على أنّ الأمور الشخصية لابن باجة بقيت مبهمة، وليست مطروحة كثيراً بدءاً من ولادته غير المحددة بدقة ثم نشأته ثم شبابه، بالتالي ليس لدى الباحثة فرصة كبيرة في تحديد ظروف حياته بدقة، وما كان يعيشه ومن أساتذته في الفترات الأولى من حياته، وما سيتم ذكره في الفصل التالي مبني على ما ذكره ابن أبي أصيبعة ونقلت عنه باقي المراجع، وتتضمن المحددات الشخصية (اسمه - أسرته - عصره - وفاته وأعداؤه

١-١- إسمه:

هو أبو بكر محمد بن يحيى التجيبي السرقسطي الملقب بابن الصائغ أو ابن باجة، والباجة بلغة الفرنجة الفضة^١. ويطلق عليه رجال المدرسة اللاتينية في أوروبا العصور الوسطى اسم أفينباس AVENNEPES، ولا يعرف من حياة ابن باجة في نشأته وتطورها أشياء كثيرة من شأنها، إن تعطي عنه ترجمة كاملة أو تعين على تأليف سيرة كاملة^٢ (عبدالعال، ٢٠١٥، ٦).

نسبه من حيث كلمة السرقسطي نسبة إلى سرقسطة^٣ مسقط رأسه.

^١ وإذا كانت كلمة باجة بالإسبانية هي الفضة فقد علق على ذلك المستشرق مونك نقلاً عن عفيفي بأنه لو صحت هذه الدعوة من المحتمل أن تكون كلمة باجة قد حرفت عن باتشا وهي الفضة في اللاتينية وهنا تقع الصلة بينها وبين كلمة الصائغ (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٨)

^٢ وانظر أيضاً إلى المصدر الأصلي لأغلب المراجع وهو ابن أبي أصيبعة (١٨٨٢)، ص: ٦٢
^٣ إحدى المدن الاندلسية، وهي بلدة مشهورة تقع على ضفاف نهر إبرة، بأقليم "ارتيط" وهو أحد الأقاليم الكثيرة التي تتكون منها جزيرة الأندلس، تشكل الثغر الأعلى من ناحية الشمال الشرقي بضخامة رقعتها وموقعها الدقيق الخطر بين الدول الإسبانية النصرانية، وكانت من أقدم المدن الاندلسية المستقلة حكمتها بنو تجيب، ثم أسرة بنو هود في أيام الصائغ قبيل دخول المرابطين (تدمري، ١٩٨٧، ٢٧)

أما كلمة التجيبي كما يقول ابن خلكان^٤، تعود إلى أم كل من عدي وسعد بن أشرس بن سبيب بن السكون، نسب ولداها إليها وهي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذبح ويبدو أن ابن باجة يعود نسبه إلى هذه المرأة من ولديها، حيث أطلق على كل أولادهم لقب التجيبين، وربما كان إهمال ذكر نسبه في سيرته يرجع إلى تغير الظروف السياسية وإبعاد التجيبين^٥ عن الحكم بعد أن تولت أسرة بني هود السلطة في سرقسطة^٦ (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٩)

١-٢- أسرته:

لا تمثّلنا المصادر بأي معلومات حول ابن باجة قبل الشباب، أو حول أسرته ويكتفي ببحث الدكتورة عفيفي حول ذلك، حيث إن كل ما يعرف عن أسرته أنها كانت تعمل بالصياغة لذلك كانت تتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، وبما أنها تجيبية فهي تتبع لسلالة الملوك حيث يعود نسل الملك المعتصم بالله إلى نفس المرأة، وهي تجيب بن ثوبان كما سلف (المرجع نفسه، ٢٠٠٩، ٣٢)، بالتالي كان مختلطاً بأهل البلاط الذين يمثلون الطبقة الحاكمة وهذا فسر ما عليه ابن باجة من إتقان لعلوم الطب والفلسفة اليونانية وكتب الفلسفة الشرقية، حيث إن التعرف على مضامين هذه الكتب لم يكن شائعاً بين العوام إنما مقتصر على مكتبات القصور. وعلى الرغم من التجارة الراحلة لصنع الصياغة، إلا أن والد ابن باجة وجهه إلى تحصيل العلوم من فلسفة وطب وهندسة وفلك، وإشباع كامل اهتماماته العلمية في قصور الامراء، كما الخوض في المناظرات وجلسات العلم، ولم يرد في المراجع اقتراب ابن باجة من حياة المجون أو اللهو. (ابن الخطيب، ١٩٥٥، ٤١٢)

١-٣- عصره:

^٤ مؤرخ أندلسي عرف بكتابه لسيرة الاعلام له عدة كتب معروفة، منها وفيات الأعيان
^٥ بحسب كتب الانساب هي أم لكل من عدي وسعد وكل من ولد لهما كان يقال له من بني تجيب، أما الجواهري يقول أن تجيب هو أب وليس أمّاً وهو من بني كندة، وكان لهم ملك الاندلس أيام ملوك الطوائف، أما ابن حزم فيذكر أن دار بن تجيب في الاندلس هي سرقسطة ودورقة وقلعة أيوب، ويبدو أن ابن باجة له صلة قوية بهذه المرأة حيث حكمت اسرتها سرقسطة في الفترة (٣٧٩ هـ ٩٨٩ م) إلى (١٠٣٩ م) ويذكر أن السلطان المعتصم بالله كان ينسب إلى ذات المرأة وهي تجيب، بالتالي هي الأسرة السابقة في الحكم لأسرة بني هود (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٩)
^٦ استطاع بنو هود حيث تنتمي هذه الأسرة لبيت عريق في الاندلس، جدهم الأكبر يسمى هود ومؤسسها هو أبو أيوب سليمان محمد بن هود الجذامي، استطاعوا انتزاع الحكم من التجيبين بزعامة سليمان بن محمد بن هود، الذي اتخذ من الألقاب السلطانية المستعين بالله واستطاع حكم سرقسطة لثمانية أعوام وقيل وفاته قسم مملكته بين أولاده الخمسة مما أدى إلى نشوب حرب أهلية واسعة استعان فيها وريث سرقسطة المقتدر بالحاكم نافار ووطد بنيانه لخمس وثلاثين عام ورثه المؤتمن ثم أحمد الذي وجد نفسه أمام الخطر النصراني الذي يريد الإطاحة به وبالاسلام، فاستعان بالمرايطين، وهذا كان سبب دخول المرايطين إلى سرقسطة (ثليبي، ١٩٦٥)

تجمع المصادر القديمة والحديثة على أننا لا نعرف الكثير عن حياة ابن باجة قبل سن الثلاثين وتذكر تاريخا تقريبا لولادته في مدينة سرقسطة في أواخر حكم ممالك الطوائف حوالي عام (١٠٧٢م / ٥٤٧٩هـ).
(عفيفي، ٢٠٠٧، ٢٩)

دخل يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين^٧ بلاد الاندلس عام (١٠٨٦م / ٥٤٧٩هـ)، وبعد عشرين سنة، احتل ابن يوسف بن تاشفين (علي بن يوسف) مدينة سرقسطة عام (١١١٠م / ٥٥٠٣هـ) وولى عليها صهره ابن تفلويت المقلب بالصحراوي، وفي هذا الوقت يبرز ابن باجة وتذكر المراجع أن ابن تفلويت قربه وولاه الوزارة طوال سبع سنوات، وهي مدة حكمه، وفي أثناء وزارته كان ابن باجة الفيلسوف والفلكي والطبيب وعالم النبات والرياضي والشاعر والموسيقي (الحكيم، ٢٠١٢، ١٢٤).

هذا وكان ابن تفلويت قد أرسل وزيره ابن باجة في أول مهمة دبلوماسية له، مبعوثا لدى المستعين ابن هود حاكم سرقسطة السابق، إلا أن الحظ لم يحالف ابن باجة إذ ألقى به ابن هود في غياهب السجن شهورا عديدة، وحين خرج كانت المعطيات كلها قد تبدلت والأحوال تغيرت، فالصحراوي كان قد توفي، وهكذا فقد الفيلسوف حاميه وصديقه ليبدأ مرحلة جديدة مختلفة. (زيناتي، ٢٠١٩، ١٥)

وبعد فترة وجيزة استولى الاسبان على سرقسطة بشكل دائم ونهائي، وذلك في عام ٥٥٨٢/١١١٨م، فحرم ابن باجة العيش في مسقط رأسه وانتقل إلى شاطبة وهناك سجنه إبراهيم بن يوسف بن تاشفين من جديد بتهمة الزندقة على ما يذكر ابن خاقان (ابن خاقان، ١٩٦٤، ٣٠٧)^٨، ولكن مع ولاية يحيى بن يوسف بن تاشفين نال ابن باجة حظوة لدى الحاكم، فعين وزيرا من جديد ولقي رضا المرابطين واستحسان الناس بوزارته، يقول المقرئ في كتابه نقلا عن الأمير ركن الدين بيبرس في (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة)، أن وزارة ابن باجة هذه دامت عشرين سنة. في هذه الفترة توطدت معرفته وصداقته بوزير آخر كان من أشد المعجبين به وبعلمه،

^٧ المرابطون كلمة مشتقة من الرباط، وتعني ملازمة الثغور، وأصل المرابطين هي قبيلة لمتونة الصنهاجية وهي اعظم القبائل البربرية التي كانت تسكن قلب الصحراء في جنوبي المغرب والسودان (موريتانيا) وكان شعارهم اللثام، كانت تدين المجوسية إلى أن جاء الإسلام وأسلمت في القرن الثاني الهجري، بزعامة عبد الله بن تيفات، توالى فتوحات هذه القبيلة واتسعت رقعتها لتشمل كامل المغرب العربي تقريبا، وعندما استنجد بهم المستعين بالله في الاندلس لبوا الدعوة فوراً وذهبوا لنجدته، كان قائد المرابطين يوسف بن تاشفين وفعلا قد هزم الجيوش النصرانية، ولكنه بالمقابل طمع بالاندلس وسعى إلى السيطرة عليها وفعلا نجح بذلك، وحولها لولاية مغربية قرابة القرن ونصف (عنان، ١٩٦٠، ٣١٢)

^٨ ولكن في هذه الرواية شك بسبب الخلاف والعداوة التي كانت بينهما بحسب ما سيذكر لاحقا

وإليه يعود الفضل في حفظ مؤلفات ابن باجة، وهو الوزير أبو الحسن بن الإمام وترافق الاثنان في جولة في غرناطة واشبيلية ووهران (عناية). (المقري، ١٩٦٨، ٢٨)

١-٤- وفاته وأعداؤه:

وإن صحت هذه الروايات فقد امتدت وزارة ابن باجة حتى وفاته. ولكن من المؤكد أنه تركها الفترة الأخيرة من حياته، وانصرف لكتابة الفلسفة وهذا ما انعكس في تدبير المتوحد، حيث شعر ابن باجة بالحاجة إلى القيام بسفر طويل يقوده إلى منابع المعرفة في المشرق، وكان يحلم بأن يصل مصر فبدأ رحلته وكتب إلى صديقه وتلميذه، الوزير ابن الإمام "رسالة الوداع" و"رسالة الاتصال"، إلا أن سفره آخر كان ينتظره فوافته المنية في رمضان ٥٣٣ هـ / ١١٣٩ م وهو في مدينة فاس في المغرب بعد أن سمه حاسديه. (بن خلكان، ١٩٥٦، ١١)

وتؤكد بعض الروايات، أن الطبيب أبا العلاء بن زهر هو من كان وراء هذا الفعل الشنيع، لأنه كان من أعدائه، وكان سبب عداؤه معه اختلافهما في بعض الأمور الطبية كما يذكر ذلك فوضع له السم كي يتخلص منه (عفيفي، ٢٠٠٩، ٥٥)، والمقري^٩ يروي في "نفخ الطيب" قصة العدا بينهما ويذكر أن معيوباً وهو أحد خدام أبي العلاء نفذ الأمر فيقول "يزعم الناس أنه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر في باذنجان وقد حملت هذه الواقعة الوزير ابن الامام على هجاء مراکش في بيتين شعر:

يا حضرة الملك ما أشهاك لي وطنا
لولا ضروب بلاء فيك مصبوب

ماء زعاق وجد كله كدر
وأكلة من بذنجان ابن معيوب (المقري، ١٩٦٨، ٤٣٣)،

ويذكر ابن أبي أصيبعة^{١٠} "توفي ابن باجة شاباً بمدينة فاس ودفن بها، وأخبرني القاضي أبو مروان الاشبيلي أنه رأى قبر ابن باجة قريباً من قبر أبي بكر بن العربي الفقيه صاحب التصانيف" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٤)^{١١}

^٩ وهو شهاب الدين أبو العباس التلمساني وولد في تلمسان، عام ١٥٧٨ م وهو مؤرخ مسلم من أشهر كتبه نفخ الطيب الذي يعد من المراجع المعروفة لتاريخ الأندلس

^{١٠} وهو العباس ابن أبي أصيبعة، طبيب ومؤرخ مسلم، ولد في دمشق عام ١٢٠٣ م، صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقة الأطباء، والذي يحتوي عدد من المجلدات، تحوي سيرة عن حياة العلماء السابقين، ويوجد فصل حياة ابن باجة في المجلد الثاني في الصفحات (٦٤-٦٥-٦٦)

^{١١} الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، ابن عبد الله القيسي، ولد في اشبيلية عام ١٠٨٧ م، كاتب ومؤرخ صاحب كتاب قلاند العقيان، مات ذبيحاً في مراکش في المغرب، وقد عاصر ابن باجة وعاداه.

ومن أعدائه المؤرخ المعروف الفتح بن خاقان، فقد كتب الفتح بن خاقان في فلائد العميان: "إن الأديب أبو بكر بن الصائغ هو قذى في عين الدين وعذاب لأهل الهدى وقد أشتهر بين أهل عصره بهوسه ومجوه واشتغاله بسفائف الأمور ولم يشتغل في غير الرياضيات وعلم النجوم واحتقر كتاب الله العظيم وأعرض عنه وكان يقول بأن الدهر في تغير مستمر وإن لا شيء يدوم على حاله وأن الإنسان كبعض الحيوان أو النبات وأن الموت نهاية كل شيء" (بن خاقان، ١٩٦٤، ٣٠٦)، وقد ذكر جمعة نقلا عن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" سبب العداء الذي استحكم بين ابن باجة وابن خاقان فقال: أن الفتح يوما افتخر في مجلس بما ناله من رضى الأمراء في الأندلس فحقره ابن باجة وكذبه (جمعة، ٢٠١٢، ٩٨)

ثانياً- المحددات التاريخية :

انطلاقاً من أساليب البحث الفلسفي والتربوي في معرفة الخلفية التي عاش بها المفكر، تعرض هذه الرسالة سمات العصر الذي عاش به ابن باجة (سياسيا - علميا - اجتماعيا) لكي يتسنى فهم المسوغات الطبيعية لفكره

٢-١- سياسيا:

عزل هشام الثالث آخر خليفة أموي في الأندلس في عام ١٠٣١م، وانتهت بذلك الخلافة الأموية في قرطبة وتمزقت البلاد إلى دويلات صغيرة وعديدة، بلغت نحو العشرين وسميت هذه الدويلات ملوك الطوائف، وفي أواخر حكم هذه الممالك ولد ابن باجة إلا أن هذا التمزق لم يدم أكثر من نصف قرن، أنهاها تأسيس يوسف بن تاشفين دولة المرابطين، ودخوله اسبانيا في عام ١٠٨٦م، ثم وقوع سرقسطة (وكانت دار ملك بن هود) في حوزة المرابطين في عام ١١٠٥م، ويذكر أن المرابطين جاؤوا إلى سرقسطة، بعد استجداد الأمير الأموي المستعين بالله، إثر حروب طاحنة مع أخيه من جهة، ثم مع الفرنج من جهة أخرى، حيث ولي عليها أبو بكر بن

الصحراوي المعروف بابن تيفلويت وكان صهر علي بن يوسف بن تاشفين ودامت ولاية أبو بكر الصحراوي بن تيفلويت سبعة أعوام من عام ٥٠٣/١١٠٩م إلى حين وفاته في عام ٥١٠/١١١٦م.

قامت صداقة قوية بين الأمير والفيلسوف ابن باجة، الذي كان على الأرجح في عهده الثالث، ولم تنتهِ إلا بوفاة الحاكم (زيناتي، ٢٠١٥، ١٤)، كان الأمير غاية في الكرم مع ابن باجة الأمر الذي أتاح له أن يعرف حياة الترف والبذخ منذ مطلع شبابه، أحسن الوزارة التي ولاها إياها الحاكم، وأدار الدولة بكفاية وقدرة فانعكس لقاء الحكيم والحاكم، والتفاهم الذي ساد بينهما إيجاباً على كل البلاد ولم ينسَ ابن باجة ولي نعمته فرثاه بأكثر من قصيدة،

بعد وفاة الأمير الصحراوي سيطر الإسبان بقيادة الفونس ملك الارغوان ٥١٢/١١١٨م على سرقسطة، فما لبثت إلا أن أصبحت عاصمة له، وذكر ابن خلكان^{١٢} أنه بعد أن استولى عليها الفرنج سنة ٥١٢ خرج منها جماعة العلماء، ويبدو أن بينهم ابن باجة، حيث استقر فيما بعد في المغرب (ابن خلكان، ١٩٦٤، ٩)،

أما الأندلس فقد سيطر عليها الإفرنج مدينة تلو الأخرى، حتى سقطت كلها بيدهم حيث لم تستمر قوة المرابطين كثيراً في الأندلس، بعد وفاة ابن تاشفين ٥٠٠ هـ إذ تولى ابنه تنظيم إمارة الأندلس، وعرف بتعصبه للدين والتشدد بمذهب مالك، مما جعله ألة بيد الفقهاء آنذاك، فساد التعصب وعم الإرهاب والوشايات، وقامت الثورات والحروب ف وقعت الأندلس من جديد بيد الإسبان بشكل كامل، وانحصرت رقعة الإسلام في غرناطة (المرجع نفسه، ١٩٦٤، ١٠).

٢-٢-٢-٢-٢ علمياً وأدبياً:

كان بلاط سرقسطة مركزاً للعلوم الرياضية والفلسفية، كما كانت مركزاً لحركة أدبية قوية، وقد لعبت دوراً كبيراً في التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس والدول الإسبانية المجاورة، وقد هيأ لها موقعها ذلك،

^{١٢} شمس الدين بن خلكان وهو أحمد بن محمد ويكنى أبا العباس، ولد ١٢١١م في أربيل في العراق، مؤرخ وقاضي وأديب من أعلام دمشق، صاحب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وهي أشهر كتب التراجم العربية

حيث كان فرسان النصارى يجدون في بلاط بني هود الباذخ ساحة رحبة، وكانت مركزاً لأشعار الفروسية والشعر الغنائي والموشحات الأندلسية (عفيفي، ٢٠٠٩، ٦٣).

وبشكل عام استجلب حكام الأندلس الكثير من الآثار الأدبية والعلمية من المشرق، منذ حكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ)، وكانت الأندلس سوقاً أدبية عظيمة تبعث بطلب الكتب والعلم من كل مكان، بسبب طبيعة الاختلاط بين العرب والبربر والسكان الأصليين من جهة، فقد فرضت نفسها، مما أدى إلى تفاوت وامتزاج بالتقافات، و نهوة حكام الأندلس في جلب العلم من جهة أخرى، جعل من الأندلس منارة علمية حتى حين دخول المرابطين إليها،

لدرجة أن يوسف بن تاشفين أبدى امتعاضه لمظاهر الترف الأندلسي في إشبيلية، فما لبث أن شجع شعراء الأندلس والأدباء وأهل العلوم فيها إلى الوفود إليه (زيناتي، ٢٠١٥، ٧٣). ويؤكد دي بور^{١٣} على حبهم للعلم واستجلابه إليهم بقوله "لهم ولع بتشرب ثقافة الأمم التي يخضعونها" (ديبور، ١٩٥٧، ٢٤١)

وعلى الرغم من هذه النهضة الحضارية إلا أن الفلسفة كانت ممقوتة من العوام، ويقول المقرئ في ذلك : "فكما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وفيدت عليه أنفاسه وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إن وجدت" (المقرئ، ١٩٦٨، ١٠٣)، وحتى مع انتقال ابن باجة إلى المغرب العربي، وجد نفس الوضع، حيث كانت مركز سيادة المرابطين، يصف المقرئ الحركة العلمية هناك، حيث كان الحكام هم عائلة تاشفين : " وكل العلوم لها عندهم حظ إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لها حظاً عند خواصهم ولا يتظاهرون بها خوفاً من العامة " (المرجع نفسه، ١٩٦٨، ١٠٢)،

^{١٣} شاعر وكاتب فرنسي ولد ١٩٢٨، له كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام

كذلك امتد هذا التعنت لعلم المنطق لأنه من علوم الفلسفة، يقول ابن طملوس^{١٤} "رأيت صناعة المنطق مرفوضة عندهم، مطروحة لديهم ولا يحظى بها ولا يلتفت إليها، وزيادة على هذا فإن أهل زماننا ينفرون منها، ويرمون العالم بها بالبدعة والزندقة" (ابن طملوس، ١٩٢٦، ٨).

أما الدراسات الفلكية والجغرافية فقد ازدهرت الأندلس منذ منتصف القرن العاشر وبرزوا فيها وكان لابن باجة أثر في الفلك سيتم بيانه لاحقا.

٢-٣- اجتماعيا:

انتشرت الدعوة الإسلامية في الأندلس عام ٩٢ هـ ، وأخذت تنتشر بين الاسبان والنصارى، فمنهم من استجاب ومنهم من بقي على دينه، وأقامت الدولة الاموية بشكل مستقل عن العباسيين ، إذن حدث تمازج كبير في تلك الفترة بين سكان الأندلس الأصليين الصقاليين، والمسلمين القادمين من المغرب، وهذا الاختلاط حدث نتيجة التزاوج بين هذه الفئات، فلم يقتصر التوالد على العرب والبربر، إنما أيضا الصقاليين والاسبانيات، ووجود البربر والاسبان والعرب معا، بطبيعة الحال أدى إلى تنوع وغنى المجتمع المحلي بالثقافات.

أما اجتماعيا فالحركة التي سادت في ذلك الوقت وخصوصا بعد انتقاله إلى المغرب، هي الحركة الصوفية، التي اتخذ ابن باجة موقفه منها كما سيتم بيانه لاحقا، دينيا ساد المذهب المالكي وكان لهم مكانة مرموقة بالمجتمع الأندلسي ولاحقا المغربي.(زبناتي، ٢٠١٩، ٦٥)

ثالثا- المحددات المعرفية:

ويقصد بها الظروف الشروط التي أدت إلى نتاج ابن الصائغ المعرفي، التي أثرت بمؤلفاته وبتفكيره. بعد صياغة المحددات التاريخية يتناول هذا القسم جانبين، الاول الشروط المؤثرة في نتاج ابن باجة المعرفي بناء على ما سبق، والثاني نتاج ابن باجة المعرفي، ولنبدأ بالأول:

^{١٤} أبو الحجاج، يوسف بن محمد بن طملوس ولد في الأندلس عام ١١٦٤م، يشتهر بعمله في المنطق والفلسفة والنحو له كتاب المختصر في المنطق

٣-١- الشروط المؤثرة في نتاج ابن باجة المعرفي:

- العلوم: على الرغم من الضيق الفلسفي إلا أن العلوم قد ازدهرت في أوجها، وبرع عدد كبير من الأطباء والفلكيين والعلماء والقضاة والشعراء وشتى المجالات، مما هيا لابن باجة الاطلاع على كتب المؤلفين ومصنفات المشاركة في مختلف العلوم والفنون، سواء كان في الأندلس أو حتى بعد انتقاله إلى المغرب. (بن الخطيب، ١٩٥٥، ١٢٢)

وبحسب ما ورد في عصره فقد عاش في البلاط الملكي فترة طويلة من حياته، فاطلع على هذه المعارف بكل يسر. إلا أن كلا المجتمعين اللذين عاش بهما ابن باجة، كان يمقت الفلسفة وعلم المنطق بالعموم، وكان ذلك محصورا في إطارات ضيقة جدا إلا بتشجيع بعض الامراء مثل أبو بكر بن إبراهيم (زيناتي، ٢٠٠٢، ٦٥)

حيث اتخذ الأخير من ابن باجة جليسا ووزيرا، وقد كان ابن باجة أكبر فلاسفة عصره كما اشتهر عنه ذلك، ولكن لم تشفع له مكانته السياسية، حيث لم يسلم الفلاسفة من كيد الفقهاء وثورة العوام وخير دليل على ذلك قتل ابن باجة على الرغم مما ناله من حظوة في بلاط سرقسطة، ولاحقا عند المرابطين وليس ببعيد أن يكون اشتغاله بالفلسفة هو ما قتله (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤٦).

- الدين: كان المذهب المالكي هو أكثر المذاهب الإسلامية انتشارا في ذلك الوقت، وقد تمكن الفقه المالكي من السيطرة على القضاء، والفتيا والعبارات والاحوال الشخصية، وأصبح لفقهاء المالكية مكانة عظيمة في دولة الاندلس، وحتى في المغرب بلغ التعصب للمالكي مبلغه، فيقول البغدادي: "شاهت وجوهكم يا أهل المغرب، تعارضون قول النبي بقول مالك" ^{١٥} (البغدادي، ١٩٥١، ٢١٢)، وهذا ألقى بظلاله على فكر ابن باجة العقلي والبرهاني.

- السياسة: كما مر سابقا تفاوتت حياة ابن باجة بين القسوة والرخاء، وهذا ما أثار فيه إحساس بوحشة ووحدة كبيرة، نتجت من الظروف القاسية التي تعرض لها في حياته الخاصة، التي جعلت من الاستقرار الفكري

^{١٥} الخشني، ويقول في روايته أن مغربيا جمعه الطريق بالحجاز برجل من اهل بغداد وكان إن ذاك يرى رأى مالك، فقال البغدادي: روي عن رسول الله كذا، فقال المغربي: فيما أذكر مالك لا يرى ذلك، فرد البغدادي: شاهت وجوهكم....

أمله المنشود، وبدا ذلك واضحاً في كتاباته التي اتسمت بالغموض، وجفوة اللفظ، وإن كان ذا طبيعة هادئة كما يبدو في كتاباته الشعرية في الغزل والعشق والمدح وفي موشحات الشجى (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤١).

٣-٢-النتائج المعرفية:

ويهتم هذا الجزء بمعرفة الرجل من خلال من عاصره ومن تبعه، والجذور التي انبثق منها فكره، ومنهج فكره، حيث يندرج ضمن العناوين التالية (مؤلفاته - أسلوبه - منابع فلسفته - مجالات العلوم التي اتقنها - ثناء الآخرين عليه - تلاميذه - موقفه من الصوفية - منهج فكره) وتظهر هذه الجوانب مجتمعة الجوانب المعرفية لهذا المفكر

٣-٢-١-مؤلفات ابن باجة:

يمكن القول أن الغالبية العظمى من مؤلفاته قد ضاعت^{١٦}، أو ربما قد أحرقت والقليل بقي منها على شكل نسخ مبعثرة في مكتبات العالم، وقد حاول بعض المستشرقين أن يحصروا هذه المؤلفات مثل مونك وليرك وكورز، إلا أنها لا تتسم بالشمول واعتمدوا على ما أورده القدامى مثل ابن الإمام الذي أخذ عنه ابن أبي أصيبعة، أما ما أورده ابن الإمام فهي هذه المؤلفات، وقد وصفها بمجموع أقاويل الشيخ الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي، وقد أوردها أيضاً ابن أبي أصيبعة ونقلها ماجد فخري:

- ١- شرحه لكتاب السماع الطبيعي.
- ٢- القول على بعض الآثار العلوية.
- ٣- كذلك على بعض كتاب الكون والفساد.
- ٤- القول في بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان.
- ٥- الكلام على بعض النبات .

^{١٦} وقد أخذت المراجع الحديثة عن القديمة ذاتها أمثال د عفيفي من مصر ود جورج زينات من لبنان، حيث يعتبر كل منهما باحثاً في فكر ابن باجة، كما وردت قائمة جمعها د ماجد فخري أيضاً وسيتم تصنيف كل منها ، أما مونك وليرك وكورز فهم مستشرقون بحثوا في الفكر الأندلسي والفلسفة المغاربية

- ٦- وقول ذكر فيه الشوق الطبيعي وماهيته، وابتدأ أن يعطي أسباب الزمان وحقيقته.
 - ٧- ورسالة الوداع إلى الشيخ الوزير ابن الإمام المذكور.
 - ٨- واتصال العقل بالإنسان كتبه به إليه أيضا.
 - ٩- القول على القوة النزوعية كتب به إليه ما بين الكتابين المذكورين.
 - ١٠- وفصول تتضمن القول على اتصال العقل بالإنسان.
 - ١١- كتاب تدبير المتوحد.
 - ١٢- كتاب النفس وينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير أنه سقط منه بعد وقوعه إليه.
 - ١٣- تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية وفصول قليلة في السياسة.
 - ١٤- المدنية وكيفية المدن وحال المتوحد فيها.
 - ١٥- نبذة يسيرة عن الهندسة والهيئة.
 - ١٦- كلامه في الغايات الإنسانية.
 - ١٧- كلامه في الأمور التي يمكن الوقوف على العقل الفعال بها.
 - ١٨- جملة من كلامه لا تتميز في العرض وغير ذلك من كل فن.
 - ١٩- كلامه في الألحان.
 - ٢٠- كلامه في النيلوفر (فخري، ١٩٦٨، ملحق الكتاب)
- هذا ما قدمته مجموعة ابن الإمام ولكن أيضا ابن أبي أصيبعة يضيف لها رسائل جديدة وقد أشار إليها الدكتور ماجد فخري أنها قد فقدت خلال الحرب العالمية الثانية، وليست موجودة في مجموع ما أورده ابن الإمام صديق ابن باجة، وأهمها:
- ٢١- رسالة كتب بها إلى صديقه أبي جعفر يوسف بن حسداي بن أحمد بن حسداي^{١٧} بعد قدومه إلى مصر.

^{١٧} وهو طبيب اشتهر وذاع صيته في مصر تبادل مع ابن باجة مجموعة رسائل في الطب

- ٢٢- تعاليق حكيمة وجدت متفرقة.
- ٢٣- تعاليق حكيمة عن هندسة بن سيد المهندسين وطرقه.
- ٢٤- جوابه لما سئل عن هندسة بن سيد وطرقه.
- ٢٥- كتاب التجريبتين على أدوية ابن واقد، واشترك في تأليف هذا الكتاب أبو بكر بن باجة مع أبو الحسن سفيان.
- ٢٦- كتاب اختصار الحاوي للرازي.
- ٢٧- كلام في الاسم والمسمى.
- ٢٨- كلام في البرهان .
- ٢٩- كلام على شيء في كتب الأدوية المفردة لجالينوس.
- ٣٠- كلام في الغاية الإنسانية .
- ٣١- كلام في الاسطقسات.
- ٣٢- كلام في النفس النزوعية وكيف هي ولم تنزع وبماذا تنزع.
- ٣٣- كلام في المزاج بما هو طبي. (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٤)،
ومن جهة أخرى يوجد مصنفات أشار إليها ابن باجة نفسه ولم يذكرها المصنفين:
- ٣٤- حين قال "وقد لخصت هذا في العلم المدني" في كتابه في النفس (بن باجة، ١٩٩٢، ١٠٨) وقد أشار إلى هذا الكتاب في تدبير المتوحد ولكنه غير موجود.
- ٣٥- وقوله "وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال الطبيعية" في رسالة الاتصال، وأيضاً مفقود (رسائل ابن باجة لمجد فخري، ١٩٦٨، ١٧٣)
- ٣٦- وقوله "وقد لخصت ذلك في انعكاس الأضواء فقد قلنا ما المستضيء وما المضيء" (المرجع نفسه ١٩٦٨، ١٧٢)، أيضاً غير موجود
- فيما يلي المصنفات التي بقيت :

١- تدبير المتوحد: جمع فيه أراءه، وهو يشبه المدينة الفاضلة للفارابي إلا أن الفارابي فصل بين الإلهيات والسياسة، واهتم بالدول بينما ابن باجة اهتم بالسياسة المدنية (حياة الفرد في المجتمع) ثم عرض أراءه الفلسفية في ذلك. ونعرف عن تدبير المتوحد مخطوطين: المخطوطة الأولى المخطوطة البودليانية، وهي مفصلة ولكنها ناقصة وقد نشرها ميغل بالاثيوس والمخطوطة الثانية في القاهرة وهي أتم لكنها موجزة. (زيادة، ١٩٧٨)

٢- كتاب النفس: حيث أراد ابن باجة أن يستوفي الكلام على النفس مما قاله فلاسفة اليونان خاصة حيث حرره محمد صغير المعصومي ، (ابن باجة، ١٩٩٢)

ومن الرسائل: رسالة الوداع ١ رسالة اتصال العقل بالإنسان^{١٨} ١ رسالة في الغاية الإنسانية ١ رسالة الوقوف على العقل الفعال ١ رسالة ارتياض في القوة المتخيلة والناطقة^{١٩}.

وكتب شروحات في:

كتاب الطبيعة لأرسطو، وبضع مقالات من الآثار العلوية، وكتاب الكون والفساد، والمقالات الأخيرة من كتاب الحيوان وثلاث رسائل فلسفية، وقد ذكر (كارادي فو) أنه يوجد لابن باجة أربع وعشرون رسالة محفوظة بمكتبة برلين (دوهيم، ١٩٨٩، ٢٧٣).

٣-٢-٢- أسلوب ابن باجة:

في صعوبة ذلك الأسلوب اعترف بصعوبته ابن باجة نفسه، وفي الحقيقة أن هناك نصوصا له مستغلفة لا يمكن لقارئها فهمها إلا إذا ركز فيها انتباهه إلى أقصى حدود التركيز، وعاود قراءتها من بعد جهد، وربطها

^{١٨} ونشرها أسين بلاثيوس في مجلة الاندلس (١٩٤٢)، وأعاد طبعها الدكتور أحمد فؤاد الاهواني ضمن مجموعة عنوانها "تلخيص كتاب النفس لابن رشد" سنة (١٩٥٠)

^{١٩} وموجودة في مجموعة ماجد فخري لرسائل ابن باجة حيث جمعها (١٩٦٨)، وماجد فخري عالم لبناني في الفلسفة الإسلامية، واستاذ فخري في الجامعة الأمريكية ولد عام ١٩٢٣م.

فيما سبقها أو يليها من المعاني والفكر، ولعل ما يزيد الأمر صعوبة، هو أن ابن باجة كثيرا ما كان يتحدث عن الفكرة ولا يتمها أو يشير إليها في مواضع أخرى من كتاباته، أو يعد بأنه سيذكرها وما إلى ذلك الأمر الذي يزيد من جهد القارئ معاناة في تفهم آرائه، وجعل هذه الأعمال وإدراكها شاقاً لمن عاصره أو جاء من بعده، وربما كان ذلك السبب في أن النسيان غلفه، فيما ذاعت شهرة من جاء بعده (عويضة، ١٩٩٣، ١٠٩).

وفي ذلك يذكر ابن طفيل في رسالته حي بن يقظان: "وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي كاملة ومجزومة من أواخرها ككتابه {في النفس}، وكتابه {تدبير المتوحد}، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة، وأما كتبه الكاملة فهي كتب وجيزة ورسائل مختلصة. وقد صرح هو بنفسه بذلك، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في {رسالة الاتصال} ليس يعطيه ذلك القول عطاءً بيناً إلا بعد عسر واستكراه شديد. وأن ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل، ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها، فهذا حال ما وصل إلينا من علم هذا الرجل ولم نلق شخصه" (ابن باجة، ١٩٩٤، الغلاف الأخير)، و(ابن طفيل، ١٩٥٩، ٦١).

وأيضا كلام ابن باجة نفسه فهو يقول " فلما قرأته رأيت فيه تقصيرا عن إفهام ما كنت أردت أفهامه، بأن المعنى المقصود برهانه ليس يعطيه هذا القول إعطاءً بيناً إلا بعد استكراه شديد" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٢)، وكان يعتمد على تلميذه ابن الإمام لكي يصحح له عباراته الفلسفية كما سيذكر لاحقا

٣-٢-٣- منابع فسلفته:

أما عن فلسفته الخاصة يمكن القول إنه استمد بعض عناصرها من فلسفة أرسطو وأفلاطون والفارابي، وقد اعترف ابن باجة بأمانة بأنه اعتمد على ما وصل إليه السابقون، إلا أنه قد انفرد بشيء له وحده، وأنه وجد في كتاب الأخلاقي لأرسطو شيئا يشبه أن يكون قريبا إلى ما هو اهتدى إليه. (عويضة، ١٩٩٣، ١١٧)

والمطلع على فلسفة ابن باجة يستطيع تمييز إرث واسع ومصادر متعددة، استقى ابن باجة منها فكره

وفي ما يلي عرض لهذه المصادر:

٣-٢-١- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

كان القرآن الكريم والسنة الشريفة هما الأساس الذي استند عليه ابن باجة أول دراسته، فعلى الرغم من موقفه الصامت تجاه الدين والنبوة، ولكنه من خلال تفسيراته حول النفس والوجود لم يخرج خارج النظرة الإسلامية، كما سيذكر في فصل فلسفته، وكثيرا ما يجد القارئ لتدبير المتوحد ورسالة الوداع وغيرها شواهد لتدعيم أفكاره الفلسفية على الرغم نزعتة العقلية (عفيفي، ٢٠٠٩، ٥٧)، ومن كلام ابن باجة في الأشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل ولا يضيع تذكرها قال: "حسن عملك تفز بخير من الله سبحانه" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٥)، وكذلك من أشعاره ما يدل على شدة تمسكه بدينه الحنيف وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام:

ماكان ساكنها بمخلد

حان الرحيل فودع الدار التي

عبد بباب الجود أصبح ينحني

وأضرع إلى الملك الجواد وقل له

دينا سوى دين النبي محمد

لم يرضى إلا بالله معبودا ولا

(المرجع نفسه، ١٨٨٢، ٦٦)

كما يوجد في كتاب تدبير المتوحد عدة شواهد اخذت من القرآن والسنة النبوية الشريفة، مثالا على ذلك عندما شبه الانسان البهيمي الذي لا شرف له بالكلب وقد ذكر قوله تعالى: "مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث"^{٢٠}.

٣-٢-٢- الفكر اليوناني:

تشير تعاليق ابن باجة وكتبه إلى اطلاع ابن باجة على قسم كبير من الإرث اليوناني، فهو يشير إلى ذلك صراحة، ويقدم كما أفرد ابن أبي أصيبعة شروحات واسعة لمؤلفات أرسطو (ما بعد الطبيعة، السماع، الطبيعي، الحس، والمحسوس، النفس، الأخلاق، الحيوان، النبات)، أما في تدبير المتوحد فقد استشهد بما جاء به أرسطو

^{٢٠} انظر في تدبير المتوحد (١٩٩٤) حيث استشهد بعدة أمثلة، وقد ذكر أكثر من حديث للرسول عليه الصلاة والسلام لدعم فكرته، كمثل في الصفحة ٤٤ أورد الحديث التالي في دعم فكرة الفضيلة "من كانت هجرته إلى الله فهجرتة إلى الله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرتة إلى ما هاجر إليه" وأيضاً ما ورد في الصفحة ٤٦ والأمثلة في هذا كثيرة

في كتابه الحس و المحسوس في تفاصيل المعرفة، فقد بدا متأثراً إلى حد كبير به، كما يشير إلى أفلاطون في بداية كتابه تدبير المتوحد " فأما تدبير المدن فقد بين امره أفلاطون في السياسة المدنية وبين ما معنى الصواب وكيف نلحق به" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٧).^{٢١}

٣-٢-٣- الفكر العربي:

ذكر ابن باجة الكثير من الشواهد التي تدل على غنى تنوعه بين الأدب والفلسفة والشعر والنثر العربي من المشرق إلى المغرب، ففي الفلسفة يبدو من ذكر واضحاً في تدبير المتوحد هو الفارابي ومدنه الأربعة، حيث ينقد ويحلل فكر الفارابي، والمدن التي رسمها ويحدد بالذات مؤلفات الفارابي السياسية والخلقية، فيذكر له (رسالة العقل، رسالة في المعنى الواحد، السياسة المدنية، المدينة الفاضلة، فصول المدني)، ثم يقوم بمقارنات بين المتوحد لديه والعشب النابت عند الفارابي أي أنه أخذ هذه اللفظة منه، بالإضافة إلى نقده كتب الغزالي وتحليل موقفه إزاء الصوفية، ونقد هذا الموقف بالحجج والبراهين، ويذكر من كتب الغزالي "المنقذ من الضلال" ولكنه ربما لم يطلع على كتاب تهافت الفلاسفة.

أما في الشعر والأدب فقد استشهد بكثير من مآثر العرب لدعم أفكاره كإيراد مطلع قصيدة لحاتم الطائي:

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر. (زبناتي، ٢٠١٩، ١٧٤).^{٢٢}

٣-٢-٤- مجالات العلوم التي أتقنها ابن باجة:

سيتم التفصيل في فلسفته ورؤيته الخاصة بالفلسفة لاحقاً، أما العلوم التي أتقنها ابن باجة فكانت اثني

عشر كما تزوي حكايته مع الفتيان^{٢٣}:

^{٢١} ويشير إلى نيقاخوس في الصفحة ٥٥ كل هذه دلائل على تنوع وغنى اطلاع ابن باجة في الفكر اليوناني
^{٢٢} وانظر في تدبير المتوحد أيضاً ذكره لقول الخنساء وهرم بن سنان وغيرهم (ص ٤٤-٥٠-٥٣) وغيرها، وأيضاً ما يذكره من قصص العرب كمثال قصة الأعشى في الصفحة ٤٦ وغيرها، كما ذكر عدد من الكتب الهزلية في تدعيم أفكاره ككتاب كليله ودمنة وألف ليلة وليلة والحيل لبني شاعر وغيرها.
^{٢٣} فيما يروى أن ابن باجة مر على فتيان، فقالوا له: ما يحمل العالم في جيبه؟ فقال: اثنا عشر جوهرة، وأخرج من جيبه ألماسات وجعل يسبهم على جهلهم، وكان يقصد بالجواهر علومه.

٣-٢-٤-١- أولها الطب وكان طبيباً نطاسياً^{٢٤} يخدم الأمراء بصناعته، وذاعت شهرته كطبيب في الأندلس، ويقول ابن أبي أصيبعة^{٢٥} ويعد من الأفاضل في صناعة الطب، كما كان بينه وبين الطبيب أبو جعفر بن حسداي^{٢٥} صداقة قوية، وكان دائماً يرأسه من القاهرة ويستشيريه في بعض الأمور الطبية (عفيفي، ٢٠٠٩، ١٢٣)،

وكما سلف قول ابن عربي الصوفي الكبير الأندلسي، والذي ولد بعد أقل من ثلاثين سنة على وفاة ابن باجة، فيذكره مرة واحدة في "الفتوحات المكية" في معرض الوزن العلمي مع الطبيب ابن زهر فيقول: بأن أبا بكرابا العلاء بن زهر كان أعلم الناس بالطب، ولا سيما بعلم الحشائش وأن أبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة كان دونه في معرفة الحشائش، إلا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي. (الحكيم، ٢٠١٢، ١٢٦)

٣-٢-٤-٢- أما في الرياضيات والهندسة، فقد وضع عدة مؤلفات توصل فيها إلى استخراج عدد من البراهين الهندسية، فيقول في أحد رسائله لابن الإمام: "وكنيت قد قلت أنه بلغك أن عبد الرحمن بن سيد مان، قد استخرج براهين في نوع هندسي لم يشعر به أحد قبله، مما بلغنا ذكره وأنه لم يثبتها في كتاب، وإنما لقنها عنه اثنان أحدهما أنا، والآخر تلف في حرب وقعت في الأرض التي كنا فيها، وبلغك مع ذلك أنني زدت عليه حين استخراجها، ويكون ذلك بالعزم على أن أكتب لك كتاباً يتضمنها، وأن أضيف إليها مسائل قد كنت ذكرت لك أنني صنعت براهينها" (عفيفي، ٢٠٠٩، ١٢٤)

٣-٢-٤-٣- أما في علم الهيئة (الفلك) له تعاليق تدل على براعته في هذا الفن بحسب ابن أبي أصيبعة، وفي حساب الكسوف والخسوف قبل وقوعهما، ويروى عنه حادثة أن الموت عدا على صاحب له فقضى ليلة كاملة عند قبره، وكان لمعرفته بالفلك أن القمر سيخسف تلك الليلة فنظم بضعة أبيات وقبل أن يستتر القمر أنشدها بحزن (بلانثيا، ١٩٥٥، ١٢٣).

^{٢٤} وتعرف كلمة نطاسي لغة: الطبيب العالم الحاذق وقد وصفته بهذه الصفة د عفيفي.
^{٢٥} هو من أفاضل الأطباء في الأندلس وممن توفروا على دراسة كتب أبقراط وجالينوس، وقد شرع في شرح بعض كتب أبقراط بدعوة من المأمون أبي عبد الله محمد بن نور الدولة، وقد سافر إلى مصر وله مؤلفات وشروح واسعة في الطب

ويعد ابن الصائغ أول من اقترح تبسيط نظام بطليموس ليتلاءم مع نظرية أرسطوطاليس بحسب المستشرقة هونكة، وكان لآرائه وفرضياته في محاربة نظام بطليموس أثر على ابن طفيل، وهو يعد بحق باعث الاتجاه الجديد في الفلك في المغرب، وتقول في ذلك المستشرقة زيغرد هونكة^{٢٦}: "إنه حتى في غضون القرن الثاني عشر للميلاد كان هناك نقد لأساس صورة العالم حسب نظرية بطليموس، فقامت في الشرق وخاصة في أسبانيا ومراكش أصوات تشك في نظريات بطليموس، متأثرة بأفكار أرسطو وانطلاقاً من ابن باجة السرقسطي، توارث المفكرون مدة ثلاثة أجيال روح النقد والرغبة في البحث عن أسباب طبيعية تشرح ظواهر السماء بشكل إقناعي" (هونكة، بلا تاريخ، ١٥٤). ويؤكد أبي أصيبعة ما سبق فيقول: "وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٦).

٣-٢-٤-٤- أما في الموسيقى والألحان، فقد كان ابن باجة ملحنًا بارعًا ووشاحًا مشهورًا، جيد اللعب على العود، وصفه ابن خلدون بصاحب التلاحين المعروفة، وأكد على ذلك ابن أبي أصيبعة: "كان ابن باجة متميزًا في اللغة حافظًا للقرآن أديبًا شاعرًا بارعًا في الغزل والثناء والمدح، متقنًا لصناعة الموسيقى، جيد الضرب على العود، ثم هو من الأفاضل في صناعة الطب، مع المقدرة في العلوم الفلسفية والرياضيات والفلك والطبيعات" كما كان يجاري الفارابي في الموسيقى كما ذكر المقري. (تدمري، ١٩٧٨، ٣٣٢)، و(عبد العال، ٢٠١٥، ٧).

٣-٢-٤-٥- كما كان عارفاً بالأنساب (البغدادي، ١٩٥١، ٨٧)، وكان شاعراً وأديباً له من نظم الشعر ملكة ممتازة وذوق مصقول من خلال ما ورد في شعره بما ورد عن المقري وابن خاقان وابن خلكان والصفدي، وتذكر هنا قصيدة لونت بفلسفته:

يا باكيا فرقة الأحباب عن شحط
هلا بكيت فراق الروح للبدن

نور تردد في طين إلى أجلٍ
فانحاز علوا وخلي الطين للكفن

^{٢٦} مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، حصلت على الدكتوراة في هذا المجال، ولدت عام ١٩١٣م في كيل الألمانية، صاحبة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب.

يا شد ما افترقا من بعد ما اعتلقا
أظنها هدنة كانت على دخن
أن لم يكن في رضا الله اجتماعهما
فيالها صفقة تمت على غبن

(ابن خاقان، ١٩٦٤، ٣١٩)

٣-٢-٤-٦- في العلم الألهي، يورد أبي أصيبعة " وأما العلم الإلهي فلم يوجد في تعاليقه مخصوص به اختصاصا تاما الا نزعات تستقرأ من قوله في رسالة الوداع واتصال الإنسان بالعقل الفعال، وإشارات مبددة في أثناء أقاويله، لكنها في غاية القوة والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف، الذي هو غاية العلوم ومنتهاهها، وكل ما قبله من المعارف فهو ممن أجله وتوطئة له، ومن المستحيل أن ينزع في التوطئات و تنفصل له أنواع الوجود على كمالها ويكون مقصرا في العلم الذي هو الغاية واليه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعة وذي موهبة الهية ترفيه عن أهل عصره وتخرجه من الظلمات إلى النور كما كان رحمه الله " (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٥) بالتالي درس العلم الإلهي كغاية للعلوم كلها.

٣-٢-٥- نشاء الآخرين على ابن باجة (مكانته):

المنتبع لاثر ابن باجة بمن عاصره وخلفه، سيجد الكثير من علامات المديح والذكر حوله، مع التأكيد على وصوله إلى مكان واسع في العلم بحسب بعض من أقوالهم فيما يلي:

٣-٢-٥-١- ابن عربي الصوفي الاندلسي، يصف ابن باجة، فيقول : بأن أبا بكرابا العلاء بن زهر كان أعلم الناس بالطب ولا سيما بعلم الحشائش وأن أبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة كان دونه في معرفة الحشائش إلا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي". (الحكيم، ٢٠١٢، ١٢٦)

٣-٢-٥-٢- ويقول المقري في ابن باجة: "يضرب فيه المثل لعلو الهمة في العلم والدنيا، وأما الموسيقى فكتاب ابي بكر بن باجة الغرناطي فيه كفاية، وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي في المشرق وإليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد" (المقري، ١٩٦٨، ١٨٥).

٣-٢-٥-٣- يشير ابن الامام وهو الوزير في دولة المرابطين وأحد تلاميذ ابن باجة وأصدقائه، إلى أن كتب الفلسفة الأولى التي دخلت إلى الاندلس في القرن الرابع الهجري_العاشر الميلادي_، أي قبل ميلاد ابن باجة بحوالي قرن من الزمان، لم تحرك الفكر للتفلسف إلى أن ظهر ابن باجة (زيادة، ١٩٧٨، ٧)، و(الحكيم، ٢٠١٢، ١٢٥).

وقد حصل ابن باجة على شهرة كبيرة باعتباره مفكراً بارزاً فيقول عنه ابن الإمام بأنه "أعجوبة دهره ونادرة الفلك في زمانه، وقال في معرض المقارنة بينه وبين كبار الفلاسفة: ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله، في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي، وهم اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ودونا فيها، بأن لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو والثلاثة أئمة دون ريب" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٤)، (عبد العال، ٢٠١٥، ٧).

٣-٢-٥-٤- كما لا ننسى الصداقة القوية بين ابن الصائغ والأمير الصحراوي ابن تفلويت، وكان بين الاثنين قصص وحكايات يتناقلها الناس، إذ كان ابن باجة شاعراً مجداً عارفاً بأسرار الموسيقى والطرب إلى جانب علمه الغزير، فجمع الجد واللغو في آن واحد ويروي ابن خلدون في مقدمته قصة شهيرة عنهما: "وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدمه ابن تفلويت صاحب سرقسطة فألقى على السامعين موشحته التي أولها:

جرر الذيل أيما جر وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله:

عقد الله راية النصر لأمير العلا أبي بكر

طرق ذلك التلاحين سمع ابن تفلويت وصاح: وأطرباه! وشق ثيابه، وقال: ما أحسن ما بدأت وما ختمت، وحلف بالإيمان المغلطة لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه" (ابن خلدون، ١٩٧٩، ١١٤٠)

٣-٢-٦- تلاميذ ابن باجة :

٣-٢-٦-١- كان من من تتلمذ على يديه مباشرة الوزير أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام، وهو الذي قدم مجموعة رسائل ابن باجة، وكان أبو الحسن كما قال ابن أبي أصيبعة: "وكان هذا أبو الحسن علي بن الإمام من غرناطة، وكان كاتباً فاضلاً متميزاً في العلوم، وصحب أبا بكر بن باجة مدة واشتغل عليه، وسافر ابن الإمام إلى الغرب وتوفي بقوص" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٤).

وكان ابن باجة يثق في قدرته الفلسفية وبراعته الأدبية، فكان يستشير في بعض الأمور الفلسفية كلما احتاج إلى ذلك، كما كان يطلب منه في بعض الأحيان ترتيب عباراته الفلسفية أو توضيحها، ويقول ابن باجة لابن الإمام " وكذلك وجدت ترتيب العبارة في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل، ولم يتسع الوقت لتبديلها واعتمدت عليك في ذلك، فقد شهدت منك هذا فغير ترتيب العبارة إلى الترتيب الأفصح، ونب عني في ذلك المناب الذي عهدته منك إن شاء الله" (ابن الخطيب، ١٩٥٥، ٤١٩)

٣-٢-٦-٢- ومن جملة تلامذته أو معاصريه ابن طفيل، وقد صرح الأخير بأنه لم يلق شخص ابن باجة، ويبدو أنه قرأ مؤلفات ابن باجة فأبهرته براعته في صياغة الأفكار، ومما يؤكد ذلك مدحه في رسالته "حي بن يقظان" من حيث شد ذكائه وأنه فاق أهل عصره، وهناك تراجم أخرى تؤكد أنه تتلمذ على يده، ولكن بالقياس بين حياة ابن طفيل (٥٨١/٥٠٠ هـ)، وابن باجة (أواخر القرن الخامس حتى ٥٣٣) ووجودهما في المغرب فأغلب الظن أنهما التقيا (عفيفي، ٢٠٠٩، ٦٥).

وعن أثر ابن باجة في ابن طفيل، يصفه المستشرق مونك فيما ينقله جمعة^{٢٧} بقوله: "سعى ابن طفيل على طريقته في حل المشكلة التي شغلت طائفة من فلاسفة الإسلام، أعني مشكلة الاتصال أو طريقة اتصال الإنسان بالعقل الفعال، والله فلم ترقه طريقة الغزالي القائمة على الهوس الصوفي، وأثر طريقة ابن باجة فاتبعها،

^{٢٧} محمد لطفي جمعة وهو كاتب ومترجم وروائي ولد في مصر عام ١٨٨٦م له كتاب تاريخ الفلاسفة الإسلامية.

وأوضح معه تطور معقولات العقل عند المتوحد الذي تحرر من مشاغل المجتمع وتأثيره وزاد على ذلك"
(جمعة، ٢٠١٢، ٢٣٣)

٣-٢-٦-٣- أما ابن رشد (٥٩٥-٥٢٠ هـ)، فقد كان من تلاميذ ابن باجة على ما يورد ابن أبي أصيبعة، ولكن هذا احتمال مشكوك فيه فيما أورد بيصار^{٢٨}، إذ أن ابن باجة مات ٥٣٣ هـ حيث كان ابن رشد في الثالثة عشر تقريبا، ولكنه قد تتلمذ على كتبه وفلسفته، حيث كتب ابن رشد جوامع ابن باجة بعد مجموعة ابن باجة التي أصدرها ابن الإمام، وقدمها تحت عنوان "مجموعة من كلام الشيخ الوزير أبي بكر محمد بن باجة" (بيصار، ١٩٦٢، ٦٤)، ولا ينسى هنا أن والد ابن رشد هو من سعى في إخراج ابن باجة من السجن وربما يكون ابن باجة صديق العائلة لذلك خالطه ابن رشد كثيرا في تلك الحقبة، وهذا ما أوجد أوجه الشبه بين مذهبيهما مما قد يدل على تسلسل من مذهب الأول إلى الثاني (ابن سعيد، ١٩٥٣، ١٢٠).

٣-٢-٦-٤- ومن جملة التلاميذ أيضا يذكر ابن سعيد^{٢٩} أن له تلميذا يدعى "أبو عامر محمد بن الحمارة الغرناطي" ويبدو أنه هو الذي وقف على قبر ابن الصائغ ورثاه بالشعر (ابن سعيد، ١٩٥٣، ١٩٠)، ويذكر فخري أيضا أن "أبو الحسن علي بن جودي من ولد سعيد" وهم من ملوك غرناطة، قد قرأ عن أبي بكر بن باجة فاشتهر بذلك (فخري، ١٩٦٨، ١٦).

٣-٢-٦-٥- ومن المفكرين الذين تأثروا بابن باجة أيضا الفيلسوف الصوفي ابن سبعين^{٣٠}، إذ يذكر التفتازاني^{٣١} أن ابن سبعين استمد مصادر معارفه الفلسفية من مذاهب فلاسفة المسلمين "كالفارابي" و "ابن سينا" و "ابن باجة" و "ابن رشد" (التفتازاني، ١٩٧٣، ٢٢١)

^{٢٨} شيخ الأزهر ومن أعلام الفلسفة الإسلامية، ولد في مصر ١٩١٠

^{٢٩} نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي، المعروف بابن سعيد مؤرخ وشاعر مغربي ولد ١٢١٣م.

^{٣٠} فيلسوف إسلامي متصوف أندلسي اشتهر برسائله المسائل الصقلية، والتي كانت عبارة عن أجوبة لأسئلة أرسلها الامبراطور فريديريك الثاني، انتشر صيته في أوروبا في عصره، ولد في الاندلس ١٢١٧م.

^{٣١} عالم مسلم وفقهه متلكم ولد في تفتاز عام ١٣٢٢م.

٣-٢-٦- وكان لابن باجة أثر فيمن عاصره كابن السيد البطلموسي^{٣٢}، وبحسب فروخ^{٣٣} قامت بينهما عدة مراسلات علمية، دارت حول مواضيع نحوية جدلية، وقد جمعها ابن السيد وراجعها في كتابه المسائل (فروخ ١٩٤٥، ١١٩).

٣-٢-٦-٧- كان لابن باجة أثر أيضا لدى الفرق المسيحية، فيقول جليسون^{٣٤} نقلا عن علي " لقد كان لآرائه في اتحاد النفوس التي أخذ بها ابن رشد، بعده من الأثر عند الفرق المسيحية، مما جعل القديسان توما وأبرت الأكبر يحدثون كتبا خاصة لأبطالها" (علي، ١٩٦٨، ٤١٤).

٣-٢-٦-٨- وممن تأثروا بفلسفته الفيلسوف اليهودي موسى بن يوشع المعروف في أوروبا "بموسى الزبوني"^{٣٥}، قام بنقل فلسفة ابن باجة أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، مما كان لها أثر على بعض مفكري أوروبا، ويضاف إليهم الفيلسوف "بوتيس داسيا"^{٣٦} الذي تأثر بتدبير المتوحد (عفيفي، ٢٠٠٧، ٩٠).

٣-٢-٧- موقفه من الغزالي والصوفية:

سبق ابن باجة في موقفه المعادي للصوفيين ابن رشد، إلا أن ابن رشد قد اختص الغزالي بكتاب مستقل رد فيه على كتاب تهافت الفلاسفة، ويبدو أن ذلك الكتاب لم يقع في يد ابن باجة، لأنه لا يذكر إلا كتاب المنقذ من الضلال، ورده محصورا على ذلك الكتاب، ويقول ردا على قول الغزالي في أنه شاهد عند اعتزاله الناس أمورا إلهية والتذاذا عظيما، ويقول ابن باجة تعقبا على ذلك:

^{٣٢} هو عبد الله بن محمد بن السيد البطلموسي، ولد في بطلموس عام ١٠٥٢م، له كتاب رسائل في اللغة.

^{٣٣} أديب ومعلم ومحقق لبناني اطلع على كتب التراث وكان من المدافعين عن اللغة الفصحى، ولد ١٩٠٤م

^{٣٤} فيلسوف ومؤرخ للفلسفة الفرنسية ولد ١٨٨٤م في باريس.

^{٣٥} فيلسوف يهودي ترجم تدبير المتوحد وبعض رسائل ابن باجة إلى العبرية، وقد تم إعادة ترجمتها إلى العربية لاحقا بسبب ضياع النسخ الأصلية.

^{٣٦} فيلسوف دنماركي عاش في القرن الثالث عشر

" وهذه كلها ظنون وأشياء يقيّمها مثالات الحق، وهذا الرجل يبين من أمره أنه لم ينقل عن هذا الصنف ولا عن مآله الأولى، وأنه غلط أو مغالط بخيالات الحق، فإنه يبين ذلك من أنه يجعل الغاية مشاهدة العالم العقلي، وزعم الالتذاف فيما يراه في هذا العلم من العجائب" (رسالة الوداع، ١٢١)،

وعلى هذا فإن ابن باجة يرى ادعاءات الغزالي في مشاهدة أمور إلهية وبلوغ السعادة خلال اعتزاله، ماهي إلا أوهام باطلة، ويرى أن الغزالي لم يرتفع في الواقع من المرتبة الخاصة بالروحانيين كما يدعي، وأن ما ذكره من مشاهدات للجواهر الروحانية مجرد ظن، ولقد ذكر ذلك في تدبير المتوحد، حيث جعل الغزالي مفكراً من الدرجة الثانية، ولا يمكن أن يصل للسعادة الحقيقية. (عويضة، ١٩٩٣، ١١٠-١١١).

وفي موقفه من الصوفية يضيف في تدبير المتوحد: "ولذلك زعم الصوفية أن إدراك السعادة في ذلك أجمعت القوى الثلاث وأمكن ذلك، وذلك كله ظن وفعل ما ظنوا أمراً خارجاً عن الطبع، وهذه الغاية التي ظنوها، إذن لو كانت صادقة وغاية للمتوحد، فإدراكها بالعرض لا بالذات ولو أدركت لما كان منها مدينة ولبقي أشرف أجزاء الإنسان فضلاً لا عمل له" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٣٠٠)

بالتالي فموقف ابن باجة من الصوفية واضح ومحدد فهو في عداؤهم، ولم يقتنع يوماً بما يقولون حول حضور نوع من السعادة تهبط على الإنسان من مجرد اعتزاله، ويعزى ذلك إلى نزعتة العقلية، كما سيتم بيانه لاحقاً.

ويوسع ذكر هذه الفقرة بشكل واسع، بسبب طبيعة المجتمع الاندلسي ومن ثم المغربي، حيث انتشر التيار الصوفي فيه بشكل كبير آنذاك، بحسب ما سبق، لذا تتفق هذه الدراسة مع الطنطاوي (٢٠١٥)، في أهمية موقف ابن باجة وقوله، إذ يعده الطنطاوي تطوراً في تاريخ الفلسفة الإسلامية خاصة بعد هجوم الغزالي على العقل وتصريحه بعدم الثقة فيه على أنه طريق موصل للمعرفة.

٣-٢-٨- منهج فكره:

تحتاج الدراسة إلى بيان المنهج الذي سار عليه ابن باجة خلال فكره، والمنهج هو طريقة التفكير والأساس المنطقي للوصول إلى الحقيقة.

وبالعودة لما سبق ذكره في المحددات الاجتماعية، أن الصوفية كان لها شأنها في ذاك الوقت، وأما عن تعريفها باختصار بحسب تعريف الحلاج " الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدًا " وقد بينه د عويضة أن الصوفي مؤمن بالله وحده ويرفض الثنائية رفضاً قاطعاً من جهة، ومن جهة أخرى يسلك سلوكاً خاصاً لا يقبله الناس، ولا داعي لذلك لأنه ينطق الحق ويتكلم بلسان السر الإلهي (عويضة، ١٩٩٣، ٣١)،

بحسب الفقرة السابقة ، فقد رفض ابن باجة منهج التفكير القائم على التأمل الأعمى من دون تفكير وإشغال العقل كما مثله بالغزالي من جهة، وكما ورد حسب فقرة موقفه من الصوفية من جهة أخرى، على الرغم من وجود نقطة التقاء واحدة وهي إنكار المجتمع للصوفي والمتوحد على حد سواء.

من جهة أخرى لم يدعُ ابن باجة قط متوحده للثورة على المجتمع أو محاولة إزالة الحكم والتفرد بشيء من السلطات، لذا لم يكن منهج فكره ثوري يعتمد على الإثارات النفسية كما عند ماكس مثلاً، بل لم يحمل المتوحد أيضاً إصلاح المجتمع والقارئ لتدبير المتوحد وكتاب النفس وشروحاته حسب أرسطو وأفلاطون يرى ان ابن باجة ينحدر من المدرسة الأرسطية، وأنه تأثر فيه تأثراً بالغاً بل قام أيضاً بالإضافة إلى ما توصل له أرسطو وتعديل بعض الأمور في منهج حياة الانسان لخلق مفهوم المتوحد.

لذلك منهج ابن باجة كان تأملياً عقلانياً، يضع فيه القدرة العقلية على التحليل أساس في الوصول إلى الحقائق، كما وضع نظرية واسعة في المعرفة وصنف الناس حسب العقل، وجعل المقاصد الإنسانية العقلية هي المثلى، ولعل هذه الطريقة الغريبة عن مجتمعه هي من أودت به إلى الوحدة. وبحسب دراسة عفيفي لابن باجة، فقد اعتمد ابن باجة التدرج في بحثه في الطبيعة مستخدماً الأسلوب المنطقي حيث وجد ابن الصائغ أن المنطق هو آلة العلوم إذ أنه ينبه على الأصول التي يحتاج إليها كل علم (عفيفي، ٢٠٠٩، ١١٩).

أخيراً جعل ابن باجة المتوحد علة المدن الناقصة، فهو يرى ضرورة وجود المتوحدين لإصلاح الوضع في تلك المدن، ولكن لم تكن طريقته جماعية مؤسسية، أو أحزاباً معينة، إنما اتجه فكره إلى وضع تدبير يستطيع فيه معالجة وحدته الفكرية ، وعلى ما تم بيانه لا يطلب منهم - المتوحدون - وهم الأقلية دوراً إصلاحياً في

المجتمع لأنه لا يريد أن ينتظر حتى إقامة المدينة المثالية حيث الجميع فيها من الحكماء الذين يسعون فعلاً للسعادة الحقيقية، فبرأيه هذا لن تتحقق (زيانتي، ٢٠٠٢، ٥٦).

لذلك يختار ابن باجة الخيار الفردي ولا يقصد عيش الإنسان وحده بين الناس بل أن يستشعر وحدة تكوينه الفكري، وربما يعود ذلك إلى الحقبة التي عاش بها، في حين يرى الفارابي ومن قبله أفلاطون أن دور الإنسان هو إصلاح المجتمع الذي يعيش به بالتالي اعتمد التأمل الذاتي (زيانتي، ٢٠١٩، ١٨٤).

اتضح فيما سبق صورة حياة ابن باجة وظروف بيئته المحيطة به والمؤثرة في فكره وشخصيته العلمية والفلسفية، كما كشف النقاب عن الأحوال المتقلبة التي عاشها، فأغلب حياته كانت في البلاط الحاكم، الذي هيا له معارف واسعة واطلاعاً كبيراً على الإرث العلمي الذي كان في الاندلس آنذاك، فلا معرفة تأتي من الصفر، بل من تنوع وغنى المصادر التي حصل عليها.

الفصل الثالث : فلسفة ابن باجة

مقدمة:

يذكر هذا الفصل الأصول الفلسفية لفكر ابن باجة، ففلسفة التربية لا تتطرق إلا من الجذور الفلسفية الخاصة بالمفكر، وعليه فسيتم ذكر أهم النقاط الفلسفية لديه من خلال ثلاث نظريات أساسية (الوجود - القيم - المعرفة)، حيث سيستطرد في نظريتي الوجود والقيم والتوقف قليلاً عند المعرفة، ليتم ذكرها في الباب الثاني بما أنها تشكل أحد أسس التربية. ولتوضيح معنى المتوحد في هذا الفصل فهو ما يقصد به الإنسان القادر على تدبير ذاته، أي قادر على استخدام العقل البشري والتعلم، كما سيذكر النظريات بشكل مختصر ضمن فقرات قصيرة بما يخدم البحث.

فهرس الفصل الثالث:

المحتوى	رقم الصفحة
أولاً- نظرية الوجود: ١- الإنسان	٤٤
٢-١- طبيعة النفس	٤٥
٢-٢- مراتب النفوس	٤٧
٢-٣- خلود النفس	٤٨
٣- معنى الواحد	٤٨
٤- الطبيعة	٤٩
٥- الوجود	٥١
٦- الكون	٥١
٧- الأزلية والعالم	٥٣

٥٤	ثانياً- نظرية المعرفة: ١- النوايت
٥٥	٢- مراتب الناس حسب المعرفة
٥٦	٣- الاتصال عند ابن باجة
٥٧	ثالثاً- نظرية القيم: ١- الجمال
٥٧	٢- الخير
٥٨	٣- الذات
٥٩	٤- المدينة الناقصة وللمدينة الفاضلة
٦٠	٥- الثواب والعقاب
٦١	٦- السياسة عند ابن باجة
٦١	٧- الدين عند ابن باجة

أولاً - نظرية الوجود: وتحديداً نظرتة للإنسان والنفس ومراتبها والوجود، وتصنيفاته والطبيعة ومكوناتها والأزلية والعالم، وسيعرض هذا الفصل هذه النظرية بشكل مختصر على الرغم من إسهاب ابن باجة في هذا الجانب.

١- الإنسان:

في هذا الموضع يؤمن ابن باجة بثنائية الإنسان حسب ما يلي :

- المادية: جسد منتهي متهالك ليس له وجود في الازلية المطلقة، وهي مطابقة للصور الجسمانية في المعرفة، وعمرها قصير يقابلها أفعال النفس البهيمية.

• العقلية: والقسم الآخر هو المعقول وهو الباقي، وكما وصفه ابن باجة بالعقل أو القوة الناطقة، ومراتبها من المعرفة هي الصور الروحانية الخاصة، إذ إنها أليق الوجودات في البقاء ويقابلها أفعال النفس الإنسانية (مصطفى، ١٩٩٢، ١٩).

والقارئ لتدبير المتوحد سيرى عن كثب أثر هذه الثنائية في كل زوايا المتوحد، وفي ما يلي بيان النص حول طبيعة الإنسان بحسب ابن باجة حيث يقول:

"وأما الصور الروحانية الخاصة تفيد الوجود الفكري، وأما الصور الجسمانية تفيد الوجود المشار إليه، وهي أقصر الوجودات وأليق الوجودات بالفناء، وهو الوجود الجسماني، وأليقها بالدوام هي الوجودات العقلية، وأما الروحانية فهي طويلة البقاء، بالإضافة إلى العقلية ولحق كل ذلك، فإنها مركبة من الطرفين: الجسماني والمعقول. فمن المعقول استفادت طول الوجود ودوام البقاء، ومن الجسماني استفادت تناهي البقاء وكل ما بقاءه متناه، طوله كقصره في نسبته إلى الأزلية، إذ لا نسبة إليها" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٦٠) وبحسب انتمائه للمدرسة الأرسطية فهو يتابع أرسطو وقبله أفلاطون في تقسيم النفس.

٢-١ - طبيعة النفس:

يقول ابن باجة في أهمية علم النفس: "وقد عدت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة، والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها، وأيضا فإن كل علم مضطر إلى علم النفس، فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس ونعلم ماهي... وإن من يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق ألا يوثق به في معرفة غيره، وأخلق بعلم النفس والعقل، وإلا كان معلوما بوجه أنقص، وأكمل الوجود التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس". (ابن باجة في كتابه النفس، ١٩٩٢،

(٢٩)

فعندما حاول تحديد طبيعة النفس كان تحديده غامضا وكل ما ذكره أنه قال "وإذا كان معين على القول، فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من اللواحق التي تنسب إليها كالغضب والرضا. فإنها إن لم تكن

مفارقة أصلاً، فكل الأفعال المنسوبة إليها مشتركة من الجسد، إلا أن بعضها من أجلها وبعضها من أجل الجسد أو به" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٤١)، هذا القول يعطينا دلالة واضحة على أن النفس مفارقة، لأنه إن كان هناك أفعال للنفس لا يتحقق وجودها إلا بوجود البدن، فإن هناك أفعالا أخرى لا تخص البدن، ولكن ابن باجة يعود في موضع آخر ويقول "واستقر الامر على ما هو بين أن النفس هي صورته لمثل هذا الجسم" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٣٤).

وبالعودة إلى تأثيره بأرسطو في تعريفه للنفس فقد عرفها على أنها: " فالنفس استكمال لجسم طبيعي آلي" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٢٢). وهذا التعريف يشبه إلى حد كبير تعريف أرسطو للنفس، بقوله " كمال لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة"، هنا أكمل ابن باجة تعريف أرسطو حيث رأى فيه قصورا تجلى في حصر أرسطو للكمال في الصورة فقط، قد رأى أرسطو أن النفس صورة للبدن، فهو مادتها تحيا بحياته وتفنئ بفنائها، وهو ما لا يتفق وعقيدة خلود النفس لدى المسلمين، وخصوصا الرئيس ابن سينا، الذي قرر أنه إذا كانت كل صورة كمالاً، فليس كل كمال صورة ، فإن كمال المدينة في ملكها، وكمال السفينة في ربانها مع أن الملك ليس صورة للمدينة، ولا الربان صورة للسفينة، فما كان من الكمال مفارق للذات لم يكن بالحقيقة صورة للمادة وفي المادة، فإن الصورة التي هي في المادة هي الصورة المنطبعة فيها القائمة بها (أرسطو، ١٩٧٩، ٢٣١)

وعلى هذا الدرب سار ابن باجة فتقاطعا في هذه النقطة حيث إن الاخير مع تعريف ارسطو للنفس إلا أنه خالف أرسطو في فهمه للكمال، فمفهوم الكمال عنده أعم من مفهوم الصورة عند أرسطو، فقد رأى ابن باجة أن الصورة صنفان: الأول: استكمال لجسم طبيعي لا يقتصر فيه المحرك بالذات، فلا يتحرك بآلة وإنما يتحرك بجملته، كما في سمو النار وهبوط الحجر، الثاني: استكمال لجسم طبيعي متحرك بآلات، كما في اغتذاء النبات، وحركة الحيوان، وصور أمثال هذه الأجسام يقال لها نفس . وبناء على ذلك رأى ابن باجة أن الكمال نوعان ، كمال أول وكمال أخير، والكمال الأول بالقوة، والأخير بالفعل، فهو إذن ليس على درجة واحدة، وقد يحدث أن تؤدي النفس وظائفها باستمرار، بل وقد تتوقف بعض وظائفها أحيانا كما في حالات النوم أو الغيبوبة،

فالاستكمال إذن له طرفان: قوة وفعل. فالاستكمال بالقوة يسميه ابن باجة أوليا، أما استكمال الفعل فيطلق عليه استكمالاً أخيراً، وهذا يلتقي مع ابن سينا الذي رأى أن الكمال كمالان كمال أول وهو الذي يصير به النوع نوعاً بالفعل كالشكل للسيف، وأما الثاني فهو أمر من الأمور التي تتبع نوع الشيء من أفعاله وانفعالاته كالقطع للسيف وكالتمييز والرؤية والإحساس بالنسبة للإنسان، ومن ثم كانت النفس كمالاً أول (عبد العال، ٢٠١٥، ٢٠). وبذلك حاول ابن باجة التوفيق بين وجهتي النظر الأفلاطونية والأرسطية، فهو قد نظر إلى النفس على أنها في آن واحد جوهر وصورة، فهي جوهر مفارق إذا نظرنا إليها في حد ذاتها، وصورة إذا أخذنا في اعتبارنا صلتها بالجسم، بالتالي النفس لدى ابن باجة نوعان من حيث الماهية، حيث هناك النفس الفردية التي توجد لكل فرد، والأخرى جزء من أجزاء النفس وهي النفس الناطقة أو العقل، فالأولى فانية بفناء الجسم والثانية خالدة لاتصالها بالعقل الفعال (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٠٤).

وبالطبع من هذا التقسيم يبين ابن باجة جوهر النفس العليا وهي الخاصة بالتربية وليس ما تطلبه النفس الفردية وفي هذا يرتب النفوس.

2-2- مراتب النفوس:

وهي ثلاث مراتب عند ابن باجة:

- النفس النباتية الغذائية: وهي أبسط أنواع النفوس، موجودة في جميع الأحياء، وتقتصر وظيفتها على التغذية والنمو وتوليد المثل، ويقول ابن باجة فيها "النبات أحد الموجودات الطبيعية والقول فيه جزء من العلم الطبيعي" (مجلة الأندلس رسالة النبات، ١٢)، ويضيف "إن كل نبات فهو متغذ فهو على ما كتباه في النفس يستعمل حرارة طبيعية وبها تغير الغذاء وغذاء النبات فبين نفسه" (المرجع نفسه، ٥١) بالتالي الجزء الأول من النفس وظيفته واحدة، مقصورة بالغذاء والتكاثر.
- النفس الحساسة (الحيوانية): ووظيفتها الاتصال بالعالم الخارجي، ونقل صورته إلى الداخل، فهي تدرك الصورة خالية من مادتها، على حين أن النفس الغذائية تقبل المادة وتدخلها في تكوين الجسم، ويقول فيها

ابن باجة: "وكل حيوان إذا قيل بالتقديم في الوجود، فله قنية طبيعية. إذ لا حيوان إلا هو ذو جسم مؤلف من جزئين: من جزئه الذي يحمل الشكل وهو آلة له يحوز مكانه الطبيعي، ومن الحار الغريزي الذي فيه حسب ما تبين في كتاب الحيوان" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ١٤٩)، والحيوان يضاف له إلى جانب القوى الغذائية القوة المولدة والنامية وله نفس مدركة تتمثل في الحس المشترك والتخيل "الحيوان أكمل كثيراً من النبات فإنه يزيد عليه بقوى كثيرة وهي الحس والتخيل والنطق" (مجلة الاندلس رسالة النبات، ١٢).

- النفس الإنسانية: وهي أكمل النفوس، إذ يوجد لها كل القوى وتتميز بالقوة المفكرة عن سائر الحيوان بحسب ابن باجة "إن الإنسان فيه أمور كثيرة وإنما هو إنسان بمجموعها: ففيه القوة الغذائية فليس هذه تعقل صورتها وفيه القوة الحساسة والخيالية والذاكرة وهذه كلها لا تعقل ذواتها فلا تلحقها وفيه القوة الناطقة وهذه الخاصة به" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٩٦)

2-3- خلود النفس: وموقف ابن باجة من ذلك واضحاً تمام الوضوح، فقد ميز بين النفس الفردية الفانية

بفناء الجسد لأن النفس هنا صورة للجسد، والعقل النوعي الإنساني، فإنه قديم وباقي وغير متغير شأنه شأن العقل الفعال، أو عقل الفلك العاشر فالعقل الإنساني أسمى مراتب الموجودات في العالم السماوي ويتحد بالعقل الفعال فيقول ابن باجة: "وأليق الوجودات بالفناء الوجود الجسماني وأليقها بالدوام الوجودات العقلية" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٧٧)، (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٣١)

٣- معنى الواحد:

يقول ابن باجة "الواحد في الصور الروحانية كالواحد في الصور الهيولانية، وكذلك يقال في المعقول إنه واحد، إذا دل عليه بلفظ واحد، وكأن معقولا لشيء واحد موجود ويقال إنه واحد إذا كان معقولا لشيء واحد، وإن دل عليه بشيء مركب كالحد والرسم وما أشبه بهما" (اتصال العقل بالإنسان، ١٩٦٨، ١٥٥)، ولكن ما يقصده ابن باجة من الواحد أن ينتهي إلى أمرين، الأول أن الجسم المركب من أجزاء أو أعضاء، يصبح على تعدده

واحدا كما نقول في الطبيعة أنها واحد، وفي الشخص أنه واحد، والامر الثاني أن المعقول واحد، ولو أنه يقال على كثير يسمى بالفكر ومنه النوع والجنس فإن أشخاص الخيل واحدة بالنوع (عويضة، ١٩٩٣، ٢١٤)

أيضا معنى الواحد فيما يخص الإنسان أو الشيء الواحد في الإنسان على الرغم من مظاهر التغيير التي يمر بها ومع ذلك يقال له واحد ويقول في ذلك ابن باجة "ولننزل شخص إنسان، فإن البحث في هذا القول هو فيما يخص الإنسان، فقد يوجد جنينا وذلك عند كونه في الرحم، ثم يوجد طفلا ذلك أثر وضعه، ثم يوجد بضعة ثم يوجد شابا، ثم يوجد كهلا، ثم يوجد شيخا ويوجد عالما وقد كان جاهلا وكاتباً، وقد كان أمياً، وهو واحد بالعدد الأمرية في ذلك، وإذا شاهدته الحس في حال من هذه الأحوال ثم شاهدته في حال أخرى بعيدة عنها، لم يعلم هل هو ذلك الواحد أو لا مثل ما يشاهده طفلا ثم يشاهده شاباً"، ينفي ابن باجة أن يكون الحس هو الشيء المشترك فيقول "فإذن ما به الإنسان واحدا لا يلحقه الحس بل إنما تلحقه قوة أخرى" (اتصال العقل بالإنسان، ١٥٧، و(عويضة، ١٩٩٣، ٢١٥)، وهذه القوى هي المحرك الأول عند ابن باجة فيقول "فظاهر من هذا القول أن المحرك الأول مادام باقيا واحدا بعينه كان ذلك موجودا واحدا بعينه سواء فقد آلاته ولم يجد عوضها" (اتصال الانسان بالعقل، ١٥٨).

٤ - الطبيعة:

وتعرف حسب ابن باجة "استكمال لجسم طبيعي لا يقتزن فيه المحرك بالذات، فما يتحرك يتحرك بجملته دون آلة" (النفس، ١٩٩٢، ٥٣)، بالتالي كل من الأجسام والمتحرك والمحرك والاستكمال كلها تدل على وجود الحركة بالتالي تقسم الطبيعة طبقا للتعريف إلى أجسام ومحرك ومتحرك والاستكمال فالمبدأ الأساس فيها هو الحركة ولنفصل الان:

➤ الاجسام : وتقسم إلى :

- أجسام صناعية: وهي التي لا يتحقق وجودها إلا إذا كانت هناك إرادة تشكلها، وتسعى إلى خلق وجودها مثل الكراسي، والسرير، والخشب أو أي شيء مصنوع منه إذا توفر عنصر الإرادة التي تتدخل في تشكيله بأي صورة كانت.

■ أجسام طبيعية: وهي التي تخضع لما يجري في الطبيعة من حوادث وظواهر وأحوال، فينطبق عليها أحوال الطبيعة من كون وفساد، مثل الحجر، والفرس، والنخلة، وتختلف فيما بينها من حيث قوتها على الحركة والسكون، فبينما نجد الموجود الطبيعي حاصلاً في ذاته على مبدأ حركة وسكون، نجد الاجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة والسكون، فالسرير لا يتحرك بما هو سرير أصلاً، ولا يتحرك الخشب بقوة فيه حتى يصير سريراً ولكنه يتحرك مادام المحرك له موجوداً. ومن خصائص محركها أنه متناه وهو صناعة وليس بطبيعة هذه الأجسام الصناعية، إذن ليس فيها أي نزوع طبيعي للحركة، فإن تحركت فإما أن تتحرك بالمواد المركبة منها (عفيفي، ٢٠٠٩، ١٥٧).

➤ المحرك والمتحرك:

كل موجود لابد أن يقتزن فيه محرك ومتحرك، " إن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك" (النفس، ١٩٩٢، ٢٥)، فما يتحرك من ذاته فهو يتحرك بالطبيعة، وأما المتحرك حركة قسرية فهو في الواقع والمتحرك من الخارج يعدان شيئاً واحداً، وعليه فقد يتحرك الحجر إلى الأسفل ويحركه أنه ثقيل، فالمحرك فيه هو القوة على الاتجاه إلى أسفل والمحرك هو الثقل، ولذلك يتحرك بنحو واحد من الحركة بالطبع الذي هو فيه. مما فيه أن ليس هناك تضاد بين المحرك والمتحرك، إذ أن المتحرك هو قوة المحرك فقط، والحركة موجودة في المتحرك بالقوة ولكنها لا تصبح فيه حركة بالفعل إلا بفعل المحرك، وهذا يعني أن الطبيعة تقال على كل قوة يصدر عنها فعلها بلا إرادة، فيكون اسم الطبيعة هنا يقصد به المبدأ الفاعلي الذي يصدر عنه في الاجسام أفعال وحركات على طريقة واحدة إلى جهة واحدة (المرجع السابق، ١٩٩٢، ٢٤)، و(عبد الرحيم، ٢٠١٥، ٤٨)

➤ الاستكمال: لما كانت الاجسام إما صناعية أو طبيعية، فإن صورها إما أن تكون صناعية أو طبيعية، ويكمن

الفرق بين هذه النوعين من الصور في القوة على التحريك. " فالصور بالجملة هي كمالات الأجسام التي فيها" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٢٤)، ولكن الصور ليست في الأجسام التي هي فيها كمالات فقط بل هي

كمالات متمكنة فيها كالمملكات، والكمال على هذا النحو يسمى استكمالاً، وهنا يبقى المتغير واحداً بعينه دون التطرق على جوهره، ذلك لأن الصورة هي الشيء التي يتم فيها التغير (عفيفي، ٢٠٠٩، ١٥٩).

الخلاصة: أن علم الطبيعة ليس هو الجسم الصناعي، وإنما هو الجسم الطبيعي الذي له مبدأ حركته من ذاته، فإن كل جسم له هذه الخاصية وهي الحركة، هو مركب من مادة وصورة وهما يشكلان ماهية الجسم، ويقوم ابن الصائغ مقياساً للتفاضل بينهما على غرار أرسطو " لكن الصورة أخلق أن تكون طبيعة من المادة ولكنهما معا سببان لكل جسم طبيعي" (النفس، ١٩٩٢، ٣٣)، ما يتوافق مع دراسة مصطفى التي أفصت بحسب فكر ابن باجة إلى أن كل حركة غير دائمة هي فاسدة، وأن الكون مبني على الدوران.

٥- الوجود:

يرى ابن باجة أن هناك ثلاث درجات للوجود: الموجود، ويقابله ما ليس بموجود، والممكن الواقع بينهما. فالموجود هو الشيء الموجود في مجال معين، وما ليس بموجود ضمن هذا المجال هو ما لا يمكن وجوده أبداً، أما الممكن فهو موجود وغير موجود، ولكن ليس في وقت واحد (المرجع نفسه، ٤٣)، فقد يحدث أن يكون موجوداً ويتحقق وجوده فيصبح موجوداً، وقد يمتنع تحقيق وجوده فيظل غير موجود ومادام الممكن يتراوح بين الوجود واللاوجود فقد كان الممكن صنفين:

- الضروري: وهو ما لا يمكن عدمه، ويحتاج إلى زمان لينتقل من الإمكان إلى الوجود.
- الموجود المطلق: وهو ما هو موجود وقتاً ما. ويقول ابن باجة " وكل معنى معقول فهو ضرورة إما ممتنع وجوده أو ضروري وجوده أو ممكن" (المرجع نفسه، ٤٣)، (بلعالم، ٢٠٢٠، ٢١٢).

٦- الكون:

حيث يقسم ابن باجة العالم إلى قسمين: ما فوق فلك القمر - وما تحت فلك القمر وكلا العالمين متمايز

عن الآخر:

١-عالم ما فوق فلك القمر: هو عالم السماوات والكواكب، يمتاز بأنه لا يوجد فيه كون ولا فساد، فمن خصائص أجرامه أنها غير متكونة ولا فاسدة ولا تقبل النماء ولا النقصان ولا الاستحالة الأثرية، وهي مرتفعة عن أنواع التغيرات في الكائنات الفاسدة من جهة ماهي فاسدة، لأن الكون والأجرام السماوية مرادفات للحدوث، ولا يقبلان التغيرات ولا الأضداد (العراقي، ١٩٧٢، ١٤٥).

٢-عالم ما تحت فلك القمر: يرى ابن باجة ان عالم الكون والفساد يناقض عالم السماوات في كل شيء، فالأجسام التي يتركب منها عالم الكون والفساد، هي الاجسام البسيطة والأجسام المركبة، يقول ابن باجة: "إن كل كائن فاسد فهو جسم ملموس، وكان كل ملموس فهو إما بسيط وإما مركب، كانت البسائط هي الأربعة ويحدد ابن باجة أنواع التركيبات في ثلاثة أمور:

✓ تركيب الأسطقسات: وهي من الصورة والمادة الأولى أي تركيب من الاجسام البسيطة في المادة الأولى التي هي غير مصورة بالذات.

✓ تركيب الأسطقسات: وهو في المتشابهة الأجزاء (الجماد).

✓ التركيب من هذه: وهي الأعضاء في ذي الأعضاء، وأجزاء النبات كاليد والرجل وما جانسهما (النفس، ١٩٩٢، ٨٤).

وتبعاً لهذه الأنواع الثلاثة من التركيبات نجد أن الكائنات الموجودة في هذا العالم هي كائنات حية مثل النبات والحيوان، وغير حية كالأجسام من العناصر الأربعة بالتالي إما بسيطة أو مركبة، والأجسام البسيطة هي (الماء - الأرض - الهواء النار) ومن خصائصها أنها متجانسة ومتضادة القوى. (ابن باجة، الكون والفساد، ١٥)

أما المركبة فهي التي تتركب من البسائط، ويرى ابن الصائغ أن كل جسم حار مركب وليس بسيطاً، ولكن يتركب من بسائط (المرجع نفسه، ١٥) ومن خصائصه أن له قواماً ونهاية مخصوصة به، فالحيوانات والنباتات ليست متشابهة الأجزاء، وكل مركب إما أن تكون عناصره موجودة فيه بالفعل فيكون تركيبه اتصالاً وإما التحاماً، وبالجمله فيكون متلاقياً، وأما أن تكون اسطقساته التي تركب منها بالقوة فيكون امتزاجاً (النفس

(١٩٩٢، ٨٤)، و (فخري، ١٩٦٨، ٣٣٢)

وأخيرا هذا الجسم المركب فساد به يكون بانحلاله إلى ما تركب منه، كونه يتكون منها، أي أن الاجسام المركبة تتحلل إلى أجسام مختلفة الصورة وهي التي تركبت منها.

بالاطلاع على نظريته الوجودية وتقسيم ابن باجة الثنائي، يتضح أن ابن باجة ينتمي للمدرسة المثالية في جانبه الوجودي، حيث تختزل هذه المدرسة الأشياء بكل ما فيها إلى أمرين الأول هو الروح أو العقل وهو المهم والأساس المتجرد، والثاني هو المادة وهو الزائل، كما في الكون أيضا حيث يرى ابن باجة بشكل مشابه للمثالية أنه مكون من عالمين فوق القمر وتحت القمر، بشكل مشابه لعالم المثل العلوي وعالم المحسوسات السفلي عند افلاطون (محمد، ٢٠٠٣، ٧١)

٧- الازلية والعالم:

في مسألة قدم العالم وحدائته تعددت الآراء، وكان هناك ارتباكات كثيرة في هذا الموضوع ولذا بالنسبة لابن الصائغ ما بين الحادثة والقدم، فقد أعلن صراحة قدم العالم مؤيدا كلامه بالحجج المنطقية التي سيتم ذكرها مختصرة:

١- مبدأ الحركة: لما كانت الحركة قد تكون بالقوة أو بالفعل، فإن قام في وجهها عائق، هي لا تقنى بل تنتقل إلى قوة ثم إلى العقل، فهي تكون غير محركة ولكنها في الوقت نفسه ممكنة التحرك، وهذا لا يصدق إلا في الكائنات الفاسدة، أما الحركة السرمدية فهي دائما بالفعل، لأن محرك الحركة السرمدية هو أبدا موجود بالفعل، فإذا كان هناك حركة أزلية أبدية ومحرك أزلي، فلا بد من وجود متحرك بالفعل عنهما أزلي وأبدي ، غير متحرك بالعرض إنما بالفعل (ابن باجة، الكون والفساد، ٢٧)، (بلانثينا ١٩٥٥، ٨٧).

٢- العلاقة بين السبب والمسبب: فمن دون تحديد هذه العلاقة تكون كل الأشياء شيئا واحداً، بحسب وصف ابن باجة، لذا فكل شيء طبيعة خاصة به وفعل يتلاءم مع هذه الطبيعة، ويمكن ان يظهر

بوضوح في الأجسام المادية، فإن الفاعل إذا مس المنفعل ولم يكن هناك عائق يعوقه، فإن الفاعل والمنفعل كل منهما يقوم بوظيفته، فيحرك الفاعل ويتحرك المنفعل، فإذا كانت داخل علاقة سببية الأسباب متداخلة مع مسبباتها أو ليست متداخلة، فإن العلاقة حتمية وضرورية بينهما، وهذا يفرض بنا إلى القول بقدوم العالم مادام لكل سبب مسبب، ولكل علة معلول فالمحرك الأزلي لابد أن يحرك ما هو مجانس له فيكون بالضرورة أزليا مثله (دي بور، ١٩٥٧، ١٢٢).

ثانيا - نظرية المعرفة:

عنى ابن باجة بموضوع المعرفة في مؤلفاته ورسائله، فبينها وبين رتبها وأساليبها وأنواعها وطرائق الوصول إليها، وفيما يبدو أنه اتبع المذهب الواقعي في المعرفة، وهو المذهب الذي تبناه أرسطو وناقض فيه أفلاطون حيث بين الأخير أهمية العقل ولم يضع الحس على قدم المساواة معه، بل قل إلى حد كبير من شأن الحس، أما أرسطو قد تحدث عن أهمية الحس والعقل على أنها مصادر يقينية للمعرفة واتبعه ابن باجة (مطر، ١٩٦٨، ١٨٤). بالتالي مصدر المعرفة هو الإحساس، وهي تنتج عن انفعال الحس بالمحسوس والوسيلة التي يتم بها ذلك هي الحواس، ولا يقف الامر هنا فالإدراك الحسي لا يكفي لإعطاء الإنسان المعرفة، إنما هو انطباعات متعددة متفاوتة لا بد لها من قوة واحدة تحددتها وتوحدتها وهذا ما يتم في الحس المشترك (زبناتي، ٢٠١٩، ٥٦).

وستُفصل المعرفة في الباب الثاني من هذه الرسالة، على أنها أحد الأسس التربوية، أما ما يعرض في هذا الفصل، هو حاملو المعرفة (النوابت)، ومراتب الناس حسب المعرفة، الاتصال.

١ - النوابت:

حاملو المعرفة عند ابن باجة وهم من سماهم بالنوابت أو المتوحدين، فبينما تتصف أفعال المدينة الفاضلة بالصدق والفضيلة، فالمدن الناقصة تخرج عن هذه السنن فإن اتفق على أن أحد أبنائها يهتدى إلى صواب رأي

أو عمل، كان المهتدي إليه من النوابت (فخري، ١٩٦٨، ٣٢)، أو كان يرى رأياً مخالفاً فهو منهم، فيقول ابن باجة فيهم "من وقع على رأي صادق لم يكن في تلك المدينة أو كان فيها نقيضه هو المعتقد، فإنهم يسمونهم النوابت، ويطلق بالعموم على من يرى غير رأي أهل المدينة، سواء كان صادقاً أو كاذباً ونقل له هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٤٢) وجودهم في المدينة غير الكاملة ضروري وسعادتهم هي سعادة المفرد.

٢- مراتب الناس حسب المعرفة:

تتدرج حسب الاتصال بالعقل الفعال، وحسب مراتب المعرفة، وهي الصور الروحانية والعقل الآخر والمعقول فهذا يوازيه مراتب للناس وهي مرتبة الجمهورية - المرتبة النظرية - ومرتبة الواصلين أو السعداء

- مرتبة الجمهورية (الطبيعية): وأشخاصها معرفتهم مرتبطة بالصور الهيولانية وهي أقل درجات المعرفة وبحسبه "وكذلك من يعلم العلم الطباعي فحاله من المعقولات حال الجمهور، إذ ان اتصالهم بالمعقولات بوجه واحد وعلى سنن واحدة، وإنما يتفاوتون على قدر تفاضل التصور، كحالهم عند تصور القوة الخيالية والحس المشترك، فإنهم عند ذلك يحضرون صوراً روحانية لشخص ما ثم ينظرون فيها من جهة ما هي موجودة، ذلك لا من جهة أنها مدركة في شيء ما هيولاني، فإذا أدركوا معقولها لم يدركوه إلا بتلك الصور وهي فاسدة، فلو أمكن أن يكون لهذا نسيان، لذهب معقولها لذهابها عند المتصور، أي لا يتصل الهيولاني بالمعقول إلا بتوسط الصور الروحانية وهذه أيضاً هي الطريق الأول بالطبع، ومشاركة بينهم وبين الجمهور" (ابن باجة، رسالة اتصال العقل بالإنسان، ص: ١٦٧)، (زيناتي، ٢٠١٩، ١١١)

- المرتبة النظرية: وهي أعلى من الجمهورية، والرائي في هذه المرتبة يرى المعقول ولكن بوساطة، حيث يرى العلم بمعناه الصحيح، وان القضايا المستعملة في العلوم يجب أن تتضمن المحمول والموضوع، فتكون قضايا كلية، كمثال عن ذلك أن تلقي الشمس ضوءها على الماء، ثم ينعكس الضوء على مرآة، فيرى الشخص إشراق الشمس من خلال المرآة. (زيناتي، ٢٠١٩، ١١٣)

- مرتبة السعداء: وهي أعلى المراتب، والعلم في هذه المرحلة يكون بمعرفة محمول الشيء الذي هو معقوله بالذات، أي ان المعرفة هي اندماج المحمول بالموضوع اندماجاً عقلياً، بحيث لا تكون حاجة للتفريق بينهما ثم جمعهما في قضية منطقية، كما الحال في المرتبة النظرية، فالواصل إلى هذه المرتبة هو العالم، والمتردد دون الوصول إليها هو الجاهل، فيقول ابن باجة "ومعنى العلم بالشيء هو أن يكون عند العالم به محموله، وهو معقوله والقضاء على أشخاص ذلك المعقول في وقت دون وقت يشبه السعي" (رسالة الاتصال، ١٦٨).

٣- الاتصال عند ابن باجة:

ورأي ابن باجة يتعلق بوظيفة العقل الفعّال، فإذا ما استندنا إلى الطريق الصاعد في المعرفة وهو الذي يبدأ من المحسوسات وينتهي إلى المعقولات، ثم يسعى العقل جهده إلى الاتصال بهذا العقل الشامل، وبهذا يضحى الإنسان عقلاً مكتسباً وكائناً إليها، بحيث يصل في نهاية الطريق، وهذا هو الذي سار فيه ابن رشد نفسه، كما أن ابن باجة يرى أن الوصول يقتضي معرفة العلوم النظرية بقوله: "وذلك هو العلم النظريّ وبين أن العلم ليس بمعد أصلاً ليقدم به الإنسان شيئاً ما بوجه ولا على حال بل إنما هو معد ليكمل ذلك الذي تقدمنا فقلنا أنه المحرك الأول بالحقيقة" (رسالة الوداع، ١٧٣)، ولم يبق ابن باجة بشرح الكيفية التي يصل بها الإنسان إلى العقل الفعّال. (الحكيم، ٢٠١٥، ٣٥).

ثالثاً- نظرية القيم:

سيتم ذكر بعض الجوانب هنا، فيما تترك الجوانب الأخرى لذكرها في أسس التربية، كون ابن باجة اعتمد على الفضيلة في بناء المتوحد، فستُشرح بالتفصيل في الباب الثاني، على أن أساس الفضيلة عند ابن باجة هو العقل، فهو ما يحدد الأفعال الإنسانية ويجعلها ذات قيمة، وهو ما يقرر أنها غير ذات قيمة، ضمن إطار الإلزام الأخلاقي. ويذكر في هذا الفصل نظريته للجمال والخير والمدن على أساس القيم، انتقلاً لمبدأ الثواب والعقاب، ثم السياسة والدين.

(١) الجمال:

يبدو أن ابن باجة يرى جمال الشيء في مدى احتياج المتوحد لهذا الشيء ومدى خدمة هذا الشيء لعقله، أي أنه يقوم بالتسفيه من الجمالات الخارجية والاهتمام بالجواهر، فعلى سبيل المثال، يقول: "وذلك مثل الأكل والشرب والدثار والمسكن فما كان أزيد من الضروري مثل التأنيق في أصناف المطاعم والروائح، وبالجملة فما كان المطلوب منه الالتذاذ فقط فهو جسماني محض ويدخل فيه السكر، ولعب الشطرنج، والصيد للالتذاذ. ومن جعل هذه وكده فهو جسماني محض، وذلك لإفراط جسمانيته. وهذا الصنف إنما يوجد في أعقاب ذوي الأحساب وعلى أمثال هؤلاء ينقطع ثبوت شرف الإنسان وجميع الآراء المكتوبة والراقية مطبقة على ذم هؤلاء من الناس" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٤٢)

ويكمل ابن باجة في ذم هذا الصنف في أماكن متعددة، الذي يستخدم جمال المطاعم والأصناف وجمال التلذذ في الأفعال الإنسانية المسلية، كالصيد والشطرنج والتأنيق والتجمل، ومظاهر الملوك وألبسة الحرب وغيرها، بالتالي لم يعتبر ابن باجة أن الجمال خارجي، وفي هذه النقطة يتقاطع مع الصوفيين الذين يمتقون البهرج الخارجي ويلتفتون إلى جمال الروح الداخلية.

(٢) الخير:

حدد ابن باجة الخير بالأفعال بقوله "إن الحركة الإنسانية الخاصة بالإنسان هي التي تكون عن الأمور التي توجبها الروية الصادقة، وتبين هناك أن الروية إنما تكون ضرورة نحو أمر ما، وأنها نحو غاية ما، وهي الخير بالإطلاق، فإن الخير هو معشوق بالطبع محبوب للكل. فالحيوان البهيمي إذ لم يعط النطق، وهو الذي يعرف الخير بالإطلاق جعل له معرفة الخير بالإطلاق، جعل له معرفة الخير مقترنة بالمواد، وذلك بالحس وبالتوهم. فأما الإنسان فإنه يعرف الخير من مؤلفه ويعلمه مجرداً. ولذلك متى اشتهى الإنسان شيئاً أو كرهه، ثم علم بوجه ما أن ذلك الشيء خير، ترك ما اشتهى وطلب ما كرهه في أكثر الأمر. فإن لم يفعل ذلك، كان

ذلك من فعله سفهاً وتعباً وضلالاً وما شاكل هذه الأصناف، إذ ليس لهذا الصنف اسم يعمها، وكان فعله ذلك حيوانياً ولا إنسانياً^{٣٧}

الخير هو المرد الأول للأفعال الإنسانية، وحدده بحسب ما سبق بالفعل الصادر عن الروية الإنسانية والاختيار العقلي بعيداً عن ما يشتهي، وبما أن ابن باجة لا يؤمن بالجمال الخارجي مهما كان، ولا يشغل باله مظاهر الترف والبذخ التي عاشها في البلاط الملكي، لذا وجد الخير في قيم الفضيلة كما يذكر في تدبير المتوحد، كقوله "وما جانس هذه الفضائل الفكرية كصواب المشورة وجودة الاستنباط وبعض الصنائع داخله، والفضائل الشكلية كالسخاء، والنجدة، والألفة وحسن المعاشرة، والرفق والتودد والأمانة والفضائل المظنونة، وهذه يقصد منها أن تولد في النفس خشوعاً فتعقبه الكرامة، وسائر الخيرات الخارجية، وفيه يحصل الإنسان على كمال صورته الروحانية" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٤٣)

فالمتوحد أصل الخير ومنبعه، كما يقوم ابن باجة بتحديد القوى الشريفة والخسيسة، والأفعال التي تتم بهما، والفضائل الشكلية والفكرية من حيث الخيرات التي سماها أرسطو بالخيرات الخارجية من الصحة واليسار، وبين مرتبة الخيرات الذات، فالإنسان قد زود ببصيرة أخلاقية تدرك الخير والشر، ومسؤوليته هو الاختيار للوصول إلى الخير، وهذه الخيرية المولودة في الفطرة تأتي من التدريب والتعود للوصول إلى الفعل الفاضل، لأن الخير هو الفعل الفاضل الذي يصل إليه الإنسان بعد ضبط مشاعره والقدرة على التحكم بغضبه (عويضة، ١٩٩٣، ١٧٨)، وستُشرح تقسيمات الفعل الفاضل (الخير) في الباب الثاني بما يخدم أسس التربية.

(٣) اللذات:

^{٣٧} رسالة في المتحرك والمحرك لابن باجة (١٩٩٧)، حققها عبد الرحمن بدوي مع جملة رسائل للفارابي والكندي، ص: ١٣٩

ولما كانت اللذة عند ابن باجة هي " تحقيق كمال الفعل وقد وافق طبيعة الأشياء"، فإن اللذة بهذا المعنى لا تفرق عن السعادة، ولكنها لا يمكن أن تكون غاية ويعتبرها نتيجة لازمة لحياة الفضيلة، لاسيما الفضيلة المثلى التي تقتزن بنمط الحياة الأمثل (الطويل، ١٩٦٠، ٥٥)، وفصل أنواع اللذات كما يلي:

- لذات طبيعية (لذة ملموسة): وهي لذات الشهوات البدنية، كالالتذاذ بالحر والبارد والمأكولات والمشروبات والنكاح، ويتقدمها أضداد الجوع والعطش، فكلما كان أحدهما أشد كانت اللذة أكثر وتختلف آراء الناس في ذلك ما إذا كانت فضائل أو لا، فيقول "وأما من قصد سائر أصناف اللذة كالغلبة والالتذاذ بالجاء وسائر الالتذاذات، فإن آراء الناس تختلف في ذلك فطائفة تزم هذه وتحمد تلك وطائفة تزم تلك وتحمد هذه" (رسالة الوداع، ١٣٠).

- لذة المعقولات وما يجري مجراها: كالالتذاذ العقلي وهو الالتذاذ بالعلم، وهي نوعان: الاول لذة التشوق إلى العلم ولذة إشباع هذا الشوق والحصول عليه، والثاني الالتذاذ بالأحاديث والهزل والتخيل والحواس، فإذا وقع النظر على شيء جميل أو طرق السمع صوت عذب وقع الالتذاذ ومنه التخيل والهزل وغيره.
- لذة العلم الأقصى: وهي لذة التصور العقلي، وهو وجود العقل المستفاد، وهذا النوع من اللذات يفوق النطق جلالها وشرفها ولذاتها وبهجتها (عويضة، ١٩٩٣، ١٩٩)، (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤١٤)

(٤) المدينة الفاضلة والمدينة الناقصة:

المدينة الفاضلة: يقيم ابن باجة مدينته الفاضلة على أساس الفضيلة التي تحكم العلاقات الاجتماعية بين أفرادها، ولذلك لم يشأ ابن باجة وضع تنظيم سياسي يتوخى فيه تحديد الأدوار، إنما بدأ بالفرد، لأن الفرد عنده أساس المجتمع وفضيلته التي تؤدي إلى هذه المدينة الفاضلة. هذا الفرد أطلق عليه اسم المتوحد، وبوصفه "هو غريب عن مدينته ولكنه يخالط غيره، ويعاشر الجميع فهو غريب في أفكاره، وإن كان في وطنه وقد سافر بها إلى مكانات أخرى" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٤٣).

من صفات هذه المدينة، أنها لا تحتاج إلى طب أو قضاء حسب ابن باجة " ولما كانت المدينة الفاضلة تختص بعدم صناعة الطب والقضاء، ذلك لأن المحبة بينهم أجمع فلا تشاكس بينهم أصلاً، فلذلك إذا عري جزء من المحبة، احتيج إلى وضع العدل وضرورة القاضي" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٤١)، أما الطب فهم بغير حاجة للأطباء لأنهم صحيون، بقوله "ولذلك لا يغتذي أهلها بالأغذية الضارة، فكذلك لا يحتاجون إلى معرفة أدوية الاختناق بالفطر ولا غيره أو مداواة الخمر. أما الأمراض الخارجة عن الإنسان أي التي تصيبه بدون تقريط أو إفراط منه، فإنها تزول بذاتها حتى وإن لم تزول، فالجسد المعافى يستطيع أن يعتني بنفسه. (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٤١)، (العبادي، ١٩٩٥، ٨٣).

رئيس المدينة الفاضلة هو الذي يقدر الأفعال بها، والمرووس ينفذ تلك الأفعال بتلك الشرائط التي سنها الرئيس "وعلى هذا يقال لمدير المدينة الفاضلة رئيس" (رسالة الوداع، ١٣١)

المدينة الناقصة: وقد ذكر منها على غرار الفارابي أربعة، ولكن ما وصل منها هي مدينة الكرامة والمدينة الجماعية ومدينة التغلب (ابن باجة، ١٩٩٤، ٧٤)، أما مدينة الكرامة هي التي قصد أهلها التعاون على أن يكونوا مكرمين ذوي عظمة وذكر، وشهرة بالقول والفعل، وأما مدينة التغلب فهي التي قصد أهلها التغلب على غيرهم، ووجدوا سعادتهم في هذه الغلبة، وأما المدينة الجماعية فهي التي قصد أهلها أن يعيشوا في فوضى، فتبعوا أهواءهم وتصرفوا كيف يشاؤوا، وأهلها متساوون لا يكون لأحد منهم سلطان على أحد (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٠٠)، ويجعل ابن باجة وجود النوابت في المدن غير الكاملة، هو علة حدوث المدينة الكاملة بإصلاحهم لما أفسدوه أهل هذه المدن، وإعادة الأخلاق والفضيلة لهم، وهذا يتقاطع مع دراسة مروفل (٢٠١٥) حيث جعل العلاقة حتمية بين المتوحد والمدينة الناقصة فوجود كل منهما يقتضي وجود الآخر.

٥) الثواب والعقاب:

يرى ابن باجة أن الأفعال الإنسانية التي تخضع للثواب والعقاب، هي الأفعال البهيمية تلك الأفعال الصادرة عن النفس النزوعية، وهي الخاطئة والمصيبة، فيقول "إنما الثواب والعقاب للنفس النزوعية وهي الخاطئة

والمصيبة " (ابن باجة، ١٩٩٤، ٥٣)، أما الأفعال الإنسانية التي تتصف بالاختيار والروية، بالتالي يحمل الإنسان مسؤولية أفعاله ويحاسب بها، فإذا كان الفكر دعامة أساسية فيها، كانت هذه الأفعال هي الخالدة، وتكون السعادة للقوة الفكرية فيها أو للعقل بالفعل، إذ هو ثواب الله ونعمته على ما من يرضاه من عباده (عفيفي، ٢٠٠٩، ٣٩٣)، وبذلك يقول ابن باجة " فمن أطاع الله وعمل ما يرضاه أثابه بهذا العقل، وجعل له نورا بين يديه يهتدي به، ومن عصاه وعمل ما لا يرضاه حجبته عنه، فبقي في ظلمات الجهالة مطبقا عليه حتى يفارق الجسد محجوبا عنه سائر في سخطه. وتلك مراتب لا تدرك بالفكرة، ولذلك تمم الله العلم بها بالشرعية، ومن جعل له هذا العقل و فارق البدن بقي نورا من الأنوار يسبح الله ويقدسه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" (رسالة الاتصال، ١٦٢)، وفي هذه الإثابة المقدسة يظهر تمسك ابن باجة في الدين.

٦) **السياسة عند ابن باجة:** لم يتكلم ابن باجة عن الحاكم اطلاقا، ولا عن الصفات التي يجب ان تتوفر فيه، ولا يعزم حتى على نصيحته، ربما يعود ذلك لتجربته الواسعة في المعترك السياسي أو ربما لعدم توافر الصفات اللازمة للحكم في شخص واحد، ربما يحتاج الحكم إلى مشورة بين عدة أشخاص، إنما تختص الأمور السياسية بالمتوحد فقانونه ينبع من ذاته ليس بحاجة لمن يعطيه أوامر فهو يعيش حياته الداخلية في وحدة عقلانية وروحانية، وهذا لا يعني أن يخالف الشرائع (زيناتي، ٢٠١٩، ١٩٠)، فمن هذه الناحية يقول شارل جونكان: "بين القانون السياسي والقانون الأخلاقي اختار ابن باجة الخيار الأخلاقي" (Genequand, 2010, 52)

٧) الدين عند ابن باجة:

على الرغم من عدم تطرق ابن باجة لمسألة الدين في الفلسفة كثيرا، إلا أنه يمكن أن يستشف من كلامه أن الطريق للخلاص والخلود هو باب النخبة أي باب العلم ومعرفة الغاية النهائية، وليس هناك من تناقض بين الفلسفة الحاوية على العلوم والدين، ذلك أن الله أرسل الأنبياء لينبهاوا الناس إلى أهمية العلم ومنزلة العقل، بالتالي ما يكمل عمل الأنبياء هو عمل العلماء، والنفس خارج العقل تلقى مصير الجسد الذي لم تستطع أن تتخطاه إلى

مرحلة الاتصال بالعقل الفعال، وهذا ما عرضه للاثهام بالزندقة وعدم الإيمان بالحياة الأخرى، إلا أن هذا الكلام خاطئ فالنوابت يتصلون بالعقل الفعال ويحصلون على السعادة حتى وهم أحياء (زيناوي، ٢٠١٩، ٩٨).

وبالعودة للفقرة السابقة _فقرة الثواب والعقاب_ يظهر تمسك ابن باجة بالدين من خلال الثواب الأعظم حيث يكون القرب من الله، وحيث يكون المتوحد مع الأنبياء والصادقين، فالعقل البشري قادر على الوصول إلى هذه المراتب، بتفنيح قدراته والارتقاء بأفعاله

بالمقابل بحسب دراسة بالعالم (٢٠٢٠)، إن موقف ابن باجة من النبوة كان صامتا، حيث أخرج موضوع النبوة من دائرة التفكير الفلسفي، والتحجج بقدرة العقل البرهاني على أداء الوظيفة نفسها، وأن الأولوية للعقل على الوحي، وأن الفلاسفة أفضل من الأنبياء.

الفصل الرابع: الأسس التربوية

مقدمة: يشكل هذا الفصل الإجابة عن الشق الأول من مشكلة الدراسة، حيث يعرض الأسس التربوية في فلسفة ابن باجة، بعد التعرف على أهم مضامين ابن باجة الفلسفية حول الإنسان والنفس الإنسانية والغايات والمدن والكون والأزلية وغيرها، وفيها لخص ابن باجة نظريته الثنائية. وبحسب ما تم الوصول إليه أن التربية عند ابن باجة تتم على ثلاثة أسس، وهي المعرفي، والأخلاقي، والسياسي والاجتماعي

فهرس الفصل الرابع:

المحتوى	رقم الصفحة
أولاً- الأساس المعرفي: ١- المعرفة	٦٤
٢- أنواع المعرفة	٦٤
٣- قيم التعلم المعرفي	٦٩
٤- العلم	٧٢
٥- أنواع العلوم	٧٤
٦- مركزية العقل	٧٥
٧- أركان الموجودات	٧٦
ثانياً- الأساس الأخلاقي: ١- الأفعال الإنسانية وتصنيفها	٧٧
٢- الفضيلة	٧٩
٣- العمل الفاضل	٨٠
٤- الغايات	٨٢

٨٣	٥- السعادة القصوى
٨٣	ثالثاً- الأساس السياسي والاجتماعي

أولاً- الأساس المعرفي:

(١) المعرفة:

بحث جميع الفلاسفة حول المعرفة وماهيتها، وتعد من أهم الأسس للتربية، وفيها يقول ابن باجة " ومنها ما يحصل باستنباط وهذه تخص الإنسان فقط ولا توجد لغيره، وهذه إما أن تكون بفكره كما يعرض ذلك كثيراً، وتخص باسم الاستنباط، ومنها ما يوجد دفعة واحدة، ويسمى الإلهام وكل ذلك في أسماء تدبير المتوحد"، (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٨٢)، أي أن الذين يصلون إلى الدرجة العليا من المعرفة هم الفلاسفة، وأن الفلاسفة وحدهم يعرفون التصورات والبراهين، فإنهم وحدهم دون غيرهم يستطيعون تحصيل المعرفة التامة، وهم وحدهم الذين يتمتعون بالمعرفة الكاملة (عويضة، ١٩٩٣، ٢٣٥)، فالمعرفة إذن عند ابن باجة متدرجة تبدأ من الحس إلى المحسوس، صاعدة عن طريق العقل إلى معرفة الأمور المفارقة التي لا يتسنى للمرء معرفتها إلا من خلال هذا التدرج، الذي تستطيع فيه النفس في كل مرحلة من مراحل إدراكها أن تتخلص شيئاً فشيئاً من العلائق المادية. (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٥٦)

(٢) أنواع المعرفة: وتقسم إلى معرفة حسية وعقلية:

2-1- المعرفة الحسية : ويعتبرها ابن باجة أول درجات المعرفة، فإذا كانت وظيفة العقل الأساسية إدراك

المعقولات، فإن وظيفة الحس هي إدراك المحسوسات، فالحس أول إدراك مقترن بالجسم يبدأ عند الحيوان وصولاً للإنسان، وتنتج المعرفة الحسية من تفاعل ما بين المحرك والمتحرك أي ما بين قوى الحس والمحسوس،

ويقول ابن باجة في الحواس " فالقوة الحاسة هي الاستعداد الذي في الحاسة الذي يصير معنى ذلك المدرك " (كتاب النفس، ١٩٩٢، ٩٥)، ويعبر عن التفاعل الناتج بين قوة الحس والمحسوس بقوله " فالحس بالجملة هو قوة لجسم ينفعل عن المحسوس يقترن بكماله كمال القوة النفسانية التي هي فيه " (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٩٨).

2-1-2- أدوات المعرفة الحسية :

تُعرف المعرفة الحسية بطريقتين الأولى قوى الحس الخارجي، والثانية قوى الحس الداخلي:

٢-١-٢-١- قوى الحس الخارجي يميز بين الحواس الخمس بقوله " وكذلك من الأمور المعترف بها، ان لا يحس أي نوع من الحس إلا بعضو اتفق، فإن الحيوان لا يبصر بفمه ولا يذوق بعينه " (كتاب النفس، ١٩٩٢، ٩٥)، ويقول " وجب أن تكون الإحساسات متعددة بتعدد آلاتها أو مصادرها وكذلك الحركات المؤدية إليها كثيرة، ولما كل قوة تحرك كل جسم وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معداة للحركات " (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٨٠)

وسيتّم ذكرها كالتالي:

٢-١-٢-١-١- البصر: وعرفه ابن باجة أنه استكمال أول للعين والنفس تسمى النفس الباصرة إذا تم فيها فعل الإبصار، والمحسوس الأول للبصر هو اللون ولذلك لا يدركه إلا البصر، ولكن اللون لا يدرك إلا بتوسط الهواء ولذلك لو وضع اللون على العين لما أدركته، ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر إلا في الضوء، ففي الظلام تنعدم الرؤية، إذن برأي ابن باجة لا تحدث المعرفة البصرية إلا في الوسط الشفاف المضاء (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٠٢).

٢-١-٢-١-٢- السمع: القوة السامعة هي استكمال حاسة السمع، وفعلها إدراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين، وهذه الحال هي التي يكون بها اللاشيء مسموعاً وإحساسه هو سمع، ذلك أن كل الأجسام المحدثة للصوت إما صلبة وإما رطبة، فإن كانت صلبة وقرعها قارع حدث عنها صوت وإما إن كانت

رطوبة فإنه لا يحدث عنها صوت، إلا إذا كانت حركة القارع إلى المقروع أسرع من انخراق ذلك الرطب، فتقاومه فيتحرك ويندفع منه الصوت إلى جميع الجهات التي تلي المكان، الذي التقى القارع بالمقروع وبنفس حال البصر، ما يحرك السمع هو الوسط الشفاف أي الهواء (المرجع السابق، ١٩٩٢، ١١١).

٢-١-٢-٣- الشم: هو إدراك معنى المشموم، وهو قوة مرتبة في الأنف، فموضوع قوة الشم أو المشموم الأول، هو الرائحة التي تنبعث عن الأجسام التي يحملها الهواء إلى قوة الشم "فإنه لو وضع ذو رائحة على الأنف لما أحس حتى يستنشقه، والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بعد من المستنشقه، بقدر لا يحركه هواء النفس" (المرجع السابق، ١٩٩٢، ١١٧)، بالتالي أيضا يحتاج إلى وسط شفاف.

٢-١-٢-٤- الطعم: يقول فيه ابن باجة "لما كان النضج في المختلط من رطوبة وبيس، فإذا أنضجته الحرارة نوع من النضج حدث عن ذلك في ذلك الجسم المعنى ما يقال له الطعم، ولذلك كان كل ذي طعم ذا رطوبة ما" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١١٨). ثم يوضح "فهو يولى الطعم الرطوبة، والطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون، وتحرك الرطوبة حاسة الذوق، فالرطوبة هي الأساس ويفتقر إليها الطعم: أولا في أن يكون موجودا، ثانيا: في أن يكون محسوسا، ولذلك جعلت النعنع لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٢٠).

٢-١-٢-٥- المس: يرى أن القوة (الحاسة) شائعة في بدن الإنسان، وليس لها عضو مخصوص بها كما هو الحال في سائر الحواس، وهو أهم الحواس، فعن طريقه يحس الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والصلب، وهذا النوع من الحس يحتاج اللحم أكثر مما إليه أي حاسة أخرى، وذلك أن الإنسان أحسن لمسا، فليس فيه شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل له الجلد، (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١١٢). والجلد موصل جيد لإحساس اللمس، وتترك الملموسات الخارجية عن طريق انفعال عضو اللمس عن هذه الملموسات، وهذا الانفعال لا يتم إلا إذا اختلف الملموس عن اللامس من حيث الكيف، ويشير إلى ضرورة وجود وسط في حاسة اللمس، فيقول: "واللمس قد يكون يتوسط أكثر من واسط وإن كان غير طبيعي، كما يعرض ذلك إذا غشى بعينه فإنه يدرك الصلب واللين والحر والبارد، وكما يحس بتوسط العكار مثلا غير أنه وإن كان يحس بذلك، فلسنا نحس بكل

أنواع الملموس فإننا لا نحس بتوسط العكار لا الحار ولا البارد بل إنما نحس الصلب واللين ونلمس الحار والبارد عندما يغشى الجلد" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٢٦).

بالتالي جميع المحسوسات تحتاج إلى وسط حتى تستطيع القيام بوظيفة الإحساس، والتعرف إلى العناصر الخارجية، وهذا يوافق دراسة عبد العال كما مرت سابقا بوجود عناصر أخرى للحصول على المعرفة الحسية الخارجية، وتستنتج الباحثة هنا أن المعرفة الأولى عند ابن باجة في أغلبها تعتمد على التجربة المباشرة، أي أنه يتعرف من خلال حواسه أو يجرب كل شيء حتى يعرفه، وتضاف هذه المعارف المجربة إلى الحس المشترك، ويبتج عنها التخيل كما وستدخل في التذكر لتتحول إلى ذخيرة في القوة الناطقة.

٢-٢-١-٢ القوى الحس الداخلية ، وهي الحس المشترك والتخيل والذاكرة :

٢-٢-١-٢-٢ الحس المشترك:

لا تبقى الاحساسات المختلفة الواردة من الحواس منفصلة فيما بينها إلا أنها تتجمع في عملية واحدة، وهي إدراك ذا معنى مفيد متجمع من هذه الاحساسات، حيث أن كل حركة واردة من الحواس الخمس يجب أن تصب في المعنى نفسه، فيقول ابن باجة: " لما كان التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى والمعنى قوامه أشياء كثيرة، لذلك لزم ضرورة ان ترتسم في الحس تلك المعاني غير منفصلة عن بعض" (المرجع السابق، ١٩٩٢، ٩٩)، ويعرف ابن باجة الحس المشترك من خلال مثال التفاحة كما يلي: "إننا ندرك طعم التفاحة بحاسة الذوق، ورائحتها بحاسة الشم، ولونها بحاسة البصر، وحرارتها أو برودتها بحاسة اللمس، ولا نكتفي بذلك بل نحكم أن اللون غير الطعم والطعم غير الرائحة، ومعنى ذلك أن هناك قوة مشتركة تقارن بين تغاير اللون والطعم، وبين تغير الرائحة والحرارة إن هذه القوة هي الحس المشترك" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٣٠).

٢-٢-١-٢-٢-٢ التخيل:

يضع بن باجة التخيل في مرتبة وسيطة بين الحس من جهة والنطق من جهة أخرى، فيقول "منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو أقصاها، ووجود التخيل في المنتصف بسبب أن الإنسان لا يستطيع تخيل شيء لم يدركه أو يدرك أجزائه من قبل، بالتالي يأتي الحس ثم التخيل بحسبه"، والمتخيلة تتقدم عليها الحاسة، فإنها تخدمها بتقديم المواد إليها ولهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٤٠) وقد عرف ابن باجة التخيل "استكمال لجسم الآلي المتخيل" (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ٩٨)، أي أنها قوة موجودة بعد الإحساس يحدث فيها استكمال الصورة للجسم المتخيل.

٢-١-٢-٣- الذكرة:

وربما يكون ابن باجة قد جعل قوة التخيل متضمنة لقوة الذاكرة لان الذاكرة قائمة على المخيلة، فإذا كانت المخيلة تقتصر على إدراك الصور فإن الذاكرة تترك هذه الصورة، وهي صورة شيء قد سبق إدراكه فهي تتعلق بالماضي (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٨٧).

2-2- المعرفة العقلية المجردة :

وإذا كان الإدراك الحسي أول مراحل المعرفة، فإن المرحلة التالية هي الإدراك العقلي وبحسبه هي تخص الإنسان فقط، منها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعليم وهذه يختص بها الإنسان فقط (كتاب النفس، ١٩٩٢، ١٤٠)، والمعرفة العقلية أو الإدراك العقلي يتمثل بالقوة الناطقة عند ابن باجة بوصفه "ببالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة سائر قوى النفس في الوجود، ووجدت سائر القوى لأجل هذه التي هي أفضل فلذلك يكون الحس والتخيل من أجل الناطقة" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٧٨)، والقوة الناطقة أو المعرفة العقلية تتمثل بأمرين الأول الصور الروحانية من جهة أنها تقبل العقل وليست كل هذه الصور تقبل العقل والأمر الآخر العقل بالفعل (فخري، ١٩٦٨، ١٦٧).

٢-٢-١- أما الصور الروحانية:

تتفاوت حسب نسبة الجسمية الموجودة فيها، فيقول " والجسمانية في الحس المشترك أكثر من الجسمية الموجودة في صور القوة الذاكرة، ولا جسمية أصلاً في صور القوة الناطقة " (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٥١)، ومن هنا كل ما كانت الصور الروحانية أكثر تجرداً كلما كانت أروع لدى ابن باجة، حيث تتخلص من الجسمانية التي وجدت في الحس المشترك، ويدخل في الصور الروحانية الممثلة للقوة الناطقة، الروايات الصادقة كالنبوءة والكهانات، حيث يفسرها على أنها لا تكون باختيار الإنسان ولا يتدخل في إيجادها، وهي قد تكون في بعض الأفراد في النادر من الزمان وتتميز أنها صادقة كلها بالذات (العراقي، ١٩٧٢، ١٦٣).

٢-٢-٢- العقل بالفعل: ويقول فيه " فالعقل بالفعل هو المحرك الأول في الإنسان على الإطلاق " (اتصال الانسان بالعقل، ٤٤)، وهذا يدل على أن القوة الناطقة هي العقل بالفعل أي من يقوم بالإدراك وهذا فقط يكون في الإنسان عند ابن باجة أما الحيوان تحركه إحدى القوى الثلاث النزوعية الغذائية أو المنمية الحسية أو الخيالية (عفيفي، ٢٠٠٩، ٣٠٨).

أما وظيفة القوى الناطقة، فيرى ابن باجة أن لها وظيفة عامة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما هجس في نفسه (كتاب النفس، ١٩٩٢، ١٤٦)، والنفس الناطقة لا تختص بوظيفة تجريد الصور فحسب، بل إنها تدرك المعاني المجردة من الهيولي، وتركب بعضها في بعض وتحكم ببعضها على البعض الآخر، والتركيب هو التصور والحكم هو التصديق (المرجع نفسه، ١٩٩٢، ١٤٩)، النفس الناطقة تقوم بفعلين أحدهما وجود المعاني المفردة والثاني تأليف معنيين من هذه المعاني في قضية من القضايا والفعل الأول يطلق على التصور والثاني هو التصديق (عفيفي، ٢٠٠٩، ٢٤٧).

(٣) قيم التعلم المعرفي: إن المعرفة الحقّة هي قيمة إنسانية كبرى تتأسّس على جملة قيم أصيلة، تشهد لها بالحقّة. وفي حال اختلّت واحدة من هذه القيم الأصيلة تهتزّ حقّة المعرفة، وتفقد قيمتها في سلّم الحق والخير. وتلخص هذه القيم الأصيلة الدكتورة سعاد الحكيم^{٣٨}:

^{٣٨} باحثة وأكاديمية من لبنان بحثت في قيم السعادة والمعرفة بين ابن باجة وابن طفيل (٢٠١٢)، ص: ١٦

٣-١- طلب المعرفة والاستعداد للتعارف:

إن المعرفة الحقّة ليست هبةً، بل لا بدّ من البحث عنها والتفتيش، سواءً في الكتب والمدونات أو لدى أصحابها في الأمصار. وأخبار المتعلّمين الذين يرحلون في طلب العلم من أفواه الرجال ومن مظانّها عديدة. كما أن طالب المعرفة يكون مستعدّاً للتعارف مع الموسومين بالعلم من أهل زمانه ومكانه، ومع السابقين والقاصين. وتتجلّى هذه القيمة لدى ابن باجة الأندلسيّ الذي كان مستعدّاً للتعارف والاعتراف بالفكر الفلسفيّ القادم من اليونان، كأفلاطون وأرسطو، وكذا بالفكر الفلسفيّ المشرقيّ المتمثّل بابن سينا والفارابي. فهو بشهادة ابن الإمام أول من اعتنى بالكتب الفلسفيّة الوافدة إلى الأندلس قبل زمانه بمئة عام تقريباً.

٣-٢- الإيمان بقدرة العقل على المعرفة:

إن شكّ الفيلسوف أو أي إنسان بقدرة العقل على المعرفة يعطلّ مسيرة العلوم، ويوقع الشاكّ في العدميّة؛ ولذا نجد أن معظم الفلاسفة الذين دونوا لحظات الشكّ التي خايلت عقولهم يسترجعون إيمانهم بالعقل بنوع إشراق؛ ليتمكّنوا من متابعة مسيرتهم الفكرية. يصرّ ابن باجة حتى النهاية في كتابه تدبير المتوحد على استقلال العقل عن الدين، ليس في تحصيل المعرفة بالطبيعة فقط؛ وإنما في تحصيل المعرفة بما وراء الطبيعة؛ فابن باجة لا يعترف إلا بالعقل المطلق، ويجد أن الفيلسوف يستغني عن النبي؛ لأنه يأخذ عن الله مباشرة؛ ففي المراحل الأخيرة من ترقّي الفيلسوف الفكريّ والروحانيّ يحتاج إلى معونة إلهيّة، وإلى إشراق يتمّ علمه، وهذا الإشراق مقصورٌ على الفلاسفة كما يؤسّس ابن باجة على العقل: الفضيلة والسعادة؛ فالمدينة الكاملة عنده هي التي تقوم أفعال مواطنيها كلها على العقل، ولا تحتاج إلى طبيبٍ أو قاضٍ أو نبيٍّ؛ والإنسان السعيد هو صاحب التدبير العقلاني المتّصل بالعقل الفعال.

٣-٣- الإبداع والمسار الذاتي:

على الرغم أن فلسفة ابن باجة لم تولد من فراغ؛ بل نجد مصادره في أفلاطون وأرسطو وابن سينا والفارابي؛ فإن نتاجه يتّصف بالإبداع وبالإضافة المعرفيّة، وليس جملة مقولاتٍ أو شروحاتٍ أو ملخصاتٍ أو غير ذلك. وكمثال عن ذلك فكرة الفيلسوف المتوحد لها نظائر في الفلسفة العربيّة والغربيّة، إلا أن إبداع ابن باجة في صياغتها جعلته العلم فيها، فلا يُذكر المتوحد إلا ويُذكر ابن باجة معه.

٣-٤- التراكم والتطور:

إن الحرص على تراكم المعرفة وتطورها هما من القيم الضرورية في هذا المجال؛ لأن القطيعة مع السابقين والمعاصرين تقطع أوصال المعرفة وتجعل كل قطعة قائمة بذاتها، وغير قابلة لأن تكون لبنة لإعلاء صرح العلم. إن العلوم التطبيقية والإنسانية لم تتطور إلا بفعل التراكم الحامل بالطفرات. ويظهر حرص ابن باجة على التراكم المعرفي والتطور في وصله مع السابقين وقطعه في الوقت نفسه؛ لقد وصل فلسفته بالاتجاه البرهاني الفلسفي، وقطع مع الخط الصوفي الغزالي، باتجاه صوفية مبنية على عرفان وشهود لا على مجاهدات وعبادات. وقد عرض ابن رشد بالتفصيل نظرية ابن باجة في المعرفة وقال عنها: إنها برهانية في تلخيصه

وفي السياق التراكمي نفسه اعترف ابن طفيل بقيمة ابن باجة، وصرح بأنه كتب قصة "حي بن يقظان" كتكملة للمتوحد كما يظهر التفاعل الفلسفي لابن طفيل مع ابن باجة في كونه جعل بطله إنساناً منعزلاً عن المجتمع، ويستطيع بفطرته الفائقة وحدها أن يتوصل إلى معرفة كل الأشياء، ومدبرها، وغاية الوجود الأخيرة

٣-٥- تمرير المعرفة وحسن توصيلها:

إن تمرير المعرفة هي قيمة مستقلة عن قيمة التراكم والتطور؛ لأن تمرير المعرفة واجب أخلاقي على كل صاحب معلومة مفيدة للناس. وقد التزم معظم أصحاب المعرفة بهذا الواجب فازدهرت مهنة التعليم وحرفة الكتابة. ولا نعلم أن ابن باجة كان له مجالس علم أو تلامذة مقربون يدرّبهم على الفلسفة ويمرّر لهم صناعتها. وعلى الرغم أن المصادر تذكر ابن الإمام بصفته تلميذاً له؛ فإنه أقرب إلى الصديق الملازم المعجب. ومع ذلك فإن ابن باجة مرّر معرفته إلى اللاحقين عبر فعل الكتابة والتدوين.

٣-٦- توليد الفضيلة

إن المعرفة الحقّة تولّد فضيلةً بحجمها، أمّا المعرفة النظرية الطافية على سطح العقل وغير المتجذّرة في الوجدان فإمّا أنها لا تولّد فضيلةً، أو تولّد فضيلةً سطحيةً على شاكلتها. وهذه اللحمة اللصيقة بين العلم والفضيلة نبّه عليها القرآن الكريم في مواضع عديدة يذكر فيها: خشية العلماء، وعدم مساواة غيرهم بهم، ومآلهم إلى السعادة... وغير ذلك.

ولقد ربط الفلاسفة منذ سقراط بين المعرفة والفضيلة، فرأوا أن الذي يعرف الخير يفعله ضرورة، والذي يعرف الشر يجتنبه لا محالة؛ فمن يعرف أو يشك بأن الحليب الذي أمامه فيه سم؛ فإنه لا يتذوقه مهما كان يبدو شهياً ومغوياً . وعلى هذا فكل معرفة لا تولد فضيلة بحجمها فهي معلومة ظنيّة لم ترق إلى رتبة العلم اليقيني. وتظهر هذه القيمة (توليد المعرفة للفضيلة) في نصّ ابن باجة؛

حيث يربط نظرية المعرفة بفلسفة أخلاقية، ويجعل كل درجة للمعرفة موازية لدرجة في الكمال الأخلاقي. وبما أن درجات المعرفة ثلاث فإن درجات الأخلاق الموازية لها ثلاث أيضاً: فدرجة الجسمانية يكون الإنسان مجرد موجود حقيقي واقعي. وعند الارتقاء إلى رتبة الروحانية يصبح أفضل بكثير، ويبتعد عن الجمهور، أما بالرتبة الأخلاقية الأخيرة وهي العقلية فإنه يصل إلى أعلى مراتب الكمال؛ إذ يصبح إلهياً فاضلاً

٣-٧- الحوار وقبول الفكر الآخر:

لا نجافي الصواب إن قلنا بأن الأقدمين كانوا أكثر انفتاحاً على الآخر المختلف من المعاصرين. وواحد من الأدلة هو كثرة النصوص الفلسفية والصوفية التي تصنف الناس إلى فئات مختلفة بالفطرة، أو ترتبها في رتب تصاعديّة من العوام إلى خواصّ الخواصّ. وعلى الرغم من أن فعل التصنيف والترتيب ينمّ بطبيعته عن طبقية فكرية؛ فإنه في الوقت نفسه يدلّ على قبول الآخر، وإفساح المجال له ليجد ضمن المنظومة الفكرية.

٤) العلم عند ابن باجة:

يرى ابن باجة أن العلم هو الطريق الذي يسلكه الإنسان إلى الاتصال، ولقد سبقت الإشارة إلى قوله بالترقية بين العالم والجاهل، فهذا يبصر الضوء وهذا يبصر الظلمة، ولقد نبه ابن باجة إلى أهمية العلم مؤكداً أن الدرس والتأمل ينتهي بالإنسان إلى الاتصال، (عويضة، ١٩٩٣، ٢٢٨)، وذكر أن الشوق للكمال والارتقاء يحرك الإنسان صعوداً نحو الأعلى، والتعلم الناتج عن هذا الشوق والعلم له لذتان ضرورة: "إحداهما التي تعقب الشوق

المحرك، فإنما ننتم بالشوق إلى العلم والتشويق له " (رسالة اتصال الانسان بالعقل، ١٦٩)، وهذا الالتذاذ البدني وهوما تكمل به صحة الجسم فهذا الالتذاذ للشوق إلى العلم تكمل به النفس الناطقة.

واللذة الثانية هي اللذة التي يجدها كل من علم شيئاً فهي نتيجة المعرفة بذلك، هي ما ينتج عنها لذة وسعادة، وقد أخطأ الصوفيون عندما ظنوا أن السعادة القصوى قد تأتي بدون معرفة أو تعلم، وإذا كانت اللذة مقترنة بالعلم إلا أن ابن باجة ينبه إلى أن العلم لا يطلب من أجل اللذة فيقول:

"لكن متى طلبنا العلم فلسنا نطلبه لهذه اللذة بل هذه ربح، لأنها لازمة لوجود الحق إذ كل لذة فهي أبداً كظل لشيء آخر، وهي أبداً ربح شيء آخر يحصل مع حصوله، وهي من ذلك الشيء كالظل اللازم فمن طلب العلم للذة كمن يطلب الأكل والشرب والالتذاذ بما لا يصح به جسمه، فكما أن هؤلاء يصحون بالعرض كذلك، وكذلك من طلب العلم لأجل الكرامة فقد طلبه لا لأجل ما هو غاية، بل لأجل عرض يلزمه كالربح " (رسالة الوداع، ١٢٢)، (مروفل، ٢٠١٩، ٢٣٣)، ويكمل " وإذا اتفق في وقت ما أن يظن أنه لا يلتذ به تركه وإن صح جسمه كما يصنعه كثير من مرضى المنفتحين، كذلك نجد من يطلب العلم لأجل الكرامة يكسل وهذا هو السبب في إعراض الناس عن الحكمة إذ ظنوا بها أنها سير الجاهلية" (رسالة الوداع، ١٢٣)

بالتالي يجب أن يكون طلب العلم له هدف بغير الكرامة أو اللذة، إنما يكون لغاية أسمى من ذلك، ويرى ابن باجة أن العلم النظري هو أشرف الغايات والغاية القصوى، وأنه الكمال الإنساني بالذات وأفضل العلوم جميعاً هو العلم بالأجرام السماوية وبالإله جل ثناؤه، وذلك لعظم المعلوم، وهذه غاية العلم فيقول:

"وإذا كان العلم يعقبه لذة فإن أعظم العلوم وأفضلها وأشرفها هو العلم بالأجرام السماوية وبالإله فاللذة المصاحبة لهذا العلم هي أبقى وأدوم للذات وإن لم تكن للذات هي الغاية القصوى بل إنه في هذه المرتبة ينقطع السؤال عن اللذة " (المرجع نفسه، ١٢٣-١٢٤).

وبصنف ابن باجة تشوق الناس إلى العلم إلى ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول يسعى لكسب نوع واحد من العلوم، وهو الذي يتشوق إلى العلم من أجل اللذة التي يجدها من علم شيئاً.

- الصنف الثاني يسعى لكسب أكثر من علم واحد، وهم الذين يطلبون الالتذاذ بالأشرف، فهم يطلبون شيئاً أسمى من اللذة لكن يعوقهم عن ذلك عائق خارجي ويتحركون حركة مختلطة ومن هذا الصنف يذكر ابن باجة نفسه وسائر أصحابه.

- الصنف الثالث يسعى لاكتساب كافة العلوم، وهو الذي يتصل بالعقل. (رسالة الوداع، ١٣٠)، (عبد العال، ٢٠٢١، ١٣٣)

ويمكن القول إن الصنف الأول هو بداية الطريق إلى العقل والثاني هو منتصف الطريق والثالث هم الذين وصلوا في الصنف الثاني، ويقول ابن باجة " وإنما تحركنا إلى العمل شدة التشوق إليه، ولا نعلم من شرف عملنا على سائر الأصناف أكثر من اعتراف الناس، بأن العلم أفضل الأشياء الإنسانية واعتراف نبلائهم، بأن العلم الحق هو النبل وهو الشرف سواء كان نافعا أو ضارا" (المرجع نفسه، ١٢١).

٥) أنواع العلوم:

تبدأ بالفلسفة فهي في نظر ابن باجة: الصناعة المشتملة على الموجودات من حيث تعلم علما يقينيا وأقسامها بحسب أقسام الموجودات، فإن العلوم تتدرج تحتها يختص كل منها بالبحث في الموجودات لكن من جهة معينة، وهذه الموجودات أو العلوم كالتالي:

- العلم الإلهي: يشمل على الموجودات التي هي الأسباب القصوى لجميع الموجودات وهي التي ليست بأجسام ولا في أجسام.
- العلم الإرادي: يشتمل على الموجودات الكائنة بإرادة وهي الفضائل والرذائل.
- العلم الرياضي (التعاليم): يشتمل على الموجودات المنزعة من المواد التي يمكن تقديرها كمياً.

- المنطق: يشتمل على جميع اللواحق العارضة في ذهن الإنسان للموجودات عند نظره في كل موجود منها، بحيث يمكن عن طريق المنطق إدراك الصواب والحق في هذه الموجودات.
- العلم الطبيعي: يهتم بالبحث في مبادئ الموجودات ليس سعياً وراء إثباتها، لكن من أجل الوصول إلى حقيقة ماهية الجسم، ومدى قبوله لمبدأ الحركة، والتغيرات التي تطرأ عليه، وتوضيح العناصر التي يتركب منها عالم السموات، وأي العناصر يتركب منها عالم الكون والفساد، أي انه يحاول عن طريق "علم الطبيعة" الذي هو علم نظري تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً علمياً يستند فيه إلى العقل، بالتالي علم الطبيعة هو علم الحركة (عفيفي، ٢٠٠٩، ١٢٥).

(٦) مركزية العقل:

العقل عند ابن باجة هو ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات، ويتجلى ذلك في تعريفه له وحتى عندما يقدم شرحاً لقوى النفس بالتعريف الفلسفي القديم، يميز الإنسان بالقدرة على التعلم والتعليم وهي خاصية لا تتم إلا بالعقل وحده، حيث النفس النزوعية لها ثلاث قوى: النزوعية بالخيال وبها تكون تربية الأطفال، والألفة والعشق، و النزوعية بالنفس المتوسطة وبها يشنق الإنسان إلى الغذاء والدثار وجميع الصنائع الداخلة فيه، والأخيرة النزوعية التي تشعر بالنطق وبها كون التعلم والتعليم وهذه خاصة للإنسان^{٣٩}

ويطلق ابن باجة على عملية الحدس العقلي اسم الاتصال بالعقل الفعال، حيث يتحد العاقل مع المعقولات وحينئذ لا يفكر في شيء آخر سوى ذاته وقد ذكر أن الإنسان ينتهي بالدرس والتأمل إلى إدراك هذه الصورة المثالية التي تقوم بذاتها، وتعتبر معاني وأسمى العقول وهو العقل المستفاد وهي فيض من الفعال التي تنتهي بالمرء إلى إدراك نفسه ككائن عقلي (عبد العال، ٢٠٢١، ٢١٢).

كما بوصفه فيلسوف السعادة فقد قسم الناس إلى مراتب جعل أعلاها السعداء وهم من يرون الشيء بنفسه على حد قول ابن باجة، أي رؤية الأحداث والبشر والأشياء من داخلها من عينها نفسها، بالتالي يفتح ابن

^{٣٩} رسالة لابن باجة في النفس النزوعية، حققها عبد الرحمن بدوي (١٩٩٧)، ص: ١٤٧

باجة قدرة لا نهائية عل التبصر ولاحقا محاولة الفهم، ثم إدراك الدوافع ومن ثم التسامح والتعايش، كما أن الصور الجوهرية عند ابن باجة هي صور عقلية بالفعل ويستطيع بفضل التأمل أن يفكر في ذاته على النحو الذي تدرك به العقول المفارقة أو الملائكة ذواتها وهذا النوع من الحس العقلي هو الذي يسمو بالإنسان عن مرتبة جميع الكائنات المادية (زيناتي، ٢٠١٩، ٢٣٣).

وعلى هذا فالإنسان عليه أن يجتاز في تكامله مراحل متعددة وجميعها تعتمد على العقل، فعليه أولا أن يدرك الصور المعقولة للجسمانيات، ثم تصورات النفس المترددة بين الحس والعقل، ثم العقل الإنساني ذاته والعقل الفعال الذي فوقيه، وينتهي على إدراك عقول الأخلاق المفارقة، والذي يرشد الإنسان في هذا العروج هو الفلسفة أو معرفة الكلي التي تحصل من معرفة الجزئيات ولكن بشروق العقل الفعال

ووفقا لهذا فإن العقل عند ابن باجة هو العنصر الأول في المعرفة الصحيحة، وأيضا هو طريق اكتساب السعادة القصوى التي لا تنال إلا بالعقل، عن طريقه تعرف أدنى الموجودات وهي المادة واسماها وهي الاله (الخطيب، ١٩٥٥، ٥٧).

بالمقارنة مع الدراسات السابقة، فقد أكدت جميعها على أهمية العقل ومركزيته عند ابن باجة، خصوصا دراسة عبد العال (٢٠٢١) التي توصلت إلى أن النفس العاقلة أشرف أنواع النفوس عند ابن باجة، ومصدر الإلزام الخلقى هو العقل بحسبه، والمعرفة الحقيقية والذات والسعادة إنما هي فقط عن طريق العقل.

٧) أركان الموجودات (علله):

إن معرفة أي شيء تتحدد سلفا عند ابن باجة بأركان هذا الشيء إذ يحوي على أربعة أركان أو علل وهي: المادة- الصورة - المكون - الغاية، وقد ذكرها ابن باجة وتم شرحها من قبل الباحثة كالتالي:

١- العلة المادية: وتطلق على مادة الشيء وهي أول أنواع العلل. يقول فيها ابن باجة "مثل قولنا التمثال من

نحاس والإبريق من نحاس والإنسان من لحم وعظم والفرس من لحم وعظم"

٢- العلة الصورية: وهي ماهية الشيء أو فكرة التمثال الموجودة في ذهن المرء عن التمثال وفكرة صانع

الكأس قبل صناعتها فكما تم ذكره ان كل جسم مكون من مادة وصورة

٣- العلة الفاعلية أو المحركة: وهي التي تشير إلى الفاعل أو ما تصدر عنه الحركة والسكون. كالطبيب

بالنسبة للمريض أو كالمثال بالنسبة للتمثال، وكالأب بالنسبة للابن " فإن الأب من جهة ما هو أب سبب

وجوده أبا هو الابن الذي وجد له، وكذلك الابن من جهة ما هو ابن سبب الأب من جهة ما هو أب "

٤- العلة الغائية: وهي عبارة عن الغاية التي ينتهي إليها الفعل، والتي من أجلها خرج الشيء من القوة إلى

الفعل، كالصورة النهائية التي يتحول إليها مادة التمثال، ويرى ابن باجة انه إذا قلنا في الحائط أنه

منتصب الغاية، يصنعه البناء من لبن أو طين ليحمل السقف، استعمل في هذا القول العلل الأربع^{٤٠} (ابن

باجة، ١٩٦٤، ٢٤٣).

بالتالي كل جسم له غاية والمحرك يقوم بتحديد الغاية التي يقصدها ويحرك على أساسها

ثانيا- الأساس الأخلاقي:

اهتم ابن باجة بالأخلاق كاهتمامه بالعقل لذلك سمي عند الكثير بالفيلسوف الخلاق، وسيذكر هذا الأساس

الفضائل وسماتها والغايات والسعادة القصوى، ويبدأ الشرح بتصنيف الأفعال الإنسانية عموماً، قبيل ذكر الفضيلة

والفعل الفاضل خصوصاً.

(١) الأفعال الإنسانية وتصنيفها:

إذا كان التدبير عند ابن باجة يعني ترتيب جملة من الأفعال نحو غاية مقصودة، فهذه الأفعال تقسم إلى

أفعال اضطرارية وأفعال غريزية وأفعال اختيارية، وإنما كل ضرب من هذه الأفعال إنما يصدر عن ضرب من

الكائنات. إن الإنسان يتميز بقوى متعددة بقوله "كل انسان له أجناس من القوى أولها القوة الفكرية والثانية القوى

الروحانية الثلاث، والثالثة القوى الحساسة، والرابعة القوى المولدة والخامسة القوى الغاذية وما يعد منها والسادسة

^{٤٠} تعليق لابن الصانع على كتاب للفارابي، الفارابي (١٩٦٤)، ص: ٢٤٣

القوى الأسطقسية" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٥٨)، لذلك الإنسان يتمتع بكل القوى، ثم يأتي الحيوان ليتمتع بالقوة الغذائية والمولدة والنامية، كما يشارك الإنسان بالنفس النزوعية، ثم يأتي النبات في المرتبة الدنيا من الكائنات الحية ويتمتع بالقوة الغذائية.

وليتم توضيح الأفعال الاختيارية أو لا بتحليل النص التالي :

" فإذا أكل انسان ما القراصيا وكان يشتهيها واتفق مع ذلك أن لان بطنه وصح بدنه، كان هذا فعلاً بهيمياً بالذات إنسانياً بالعرض، أما إذا أكلها لأنه يريد أن يلين بطنه واتفق مع ذلك أن أعجب بطعمها، كان هذا الفعل إنسانياً بالفعل بهيمياً بالعرض. والعقل الإنساني لا يكون إنسانياً محضاً أو حيوانياً محضاً، إنما هو خليط وبقدر ما تغلب أحدهما على الآخر تتحدد مرتبة الإنسان، فمن كانت نفسه البهيمية تغلب نفسه الناطقة، حتى يكون ينهض عن شهوته المخالفة لرأيه دائماً فسوء البهيمية أحسن منه" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٤٧).

فأفعال الإنسان الاختيارية تأتي بباعثين، أي أنه إذا كان الفعل بباعث العقل فهو إنساني، وإن كان بباعث الغريزة فهو بهيمي، أما ما هو بباعث إنساني أيضاً قسمان منه ما غايته التمتع المادي ولا ينبغي إهماله، ولكن ينبغي على المتوحد التخلص من آثاره الجانبية مثل الفخر بالملبس أو بالملكات، بما ينعكس سلباً على الأخلاق العامة، وهناك أعمال لا نتيجة مقصودة من القيم بها أو منفعة من ورائها، أعمال غايتها بلوغ الكمال في التعلق والتدبر، كأن يدرس الرجل علماً لذاته فهذه أتم الأعمال ، فما كان مقصده أخلاقياً لإعلاء شيمة العقل كان هو الفعل الفاضل الصحيح كما سيرد في فقرة الفعل الفاضل

بعد شرح الأفعال الاختيارية يتبقى أفعال جمادى وهي الاضطرابية وليس فيها شيء من الاختيار، كالهبوط للأسف طوعاً والوقوف للأعلى قسراً، أما الفعل البهيمي أو الغريزي فهو أيضاً من أجل شيء إلا أنه من تلقائنا

فالفعل الإنساني فإن الغاية هي التي تحده، وذلك يكون باختيار، وابن باجة يتفق في ذلك مع أرسطو

الذي يقرر "أن الغايات أيا كانت هي هدف مقاصدنا الأخلاقية وجميع أفعالنا" (أرسطو، ١٩٢٤، ١٦٧).

(٢) **الفضيلة:** يربط ابن باجة بين الأفعال الإنسانية من جهة وبين كمالها من جهة أخرى، فإذا كانت الأفعال

منها بهيمية ومنها إنسانية كانت الكمالات، وهو يعني بالكمالات هنا المعنى الأخلاقي من حيث إنها

فضائل (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٧٦)، وتقسم الفضائل إلى:

٢-١- فضائل شكلية (نفسانية أو خلقية): وهي التي تتعلق بالطبيعة الحيوانية للإنسان، بحيث إنها تقوم

على إخضاع شهوات الإنسان وأهوائه لسلطان العقل، منها السخاء والنجدة والألفة وحسن المعاشرة والرفق والود

والأمانة، ومنها المظنونة كإفراط الغيرة والانفة، وقد يتشارك الحيوان مع الإنسان في مثلها (تدبير

المتوحد، ١٩٩٤، ٦٥)، ولكن هذه الفضائل ليست توجد إلا لأنواع فقط، كالنجدة والحياء للأسد وليست للأسد واحد

بل لكل أسد.

ومن خصائص هذا النوع من الفضائل، أنها خادمة ومعدة لأن يعقل عنها إلا أنها لا تشرف الموصوف،

ولا يشرفها وليست الغايات القصوى. وتقسم بدورها إلى جسمية ونفسية، أما الجسمية ليست شر بذاتها ولكن

الاقتصار عليها هو الشر، فيقول فيها "وإن من له تمام الأعضاء وكمالها، وجود الصحة فقط فذلك عبد بالطبع،

لأنه لا فرق بينه وبين البهائم بل هو في حال ما شر من البهيمة، لأن البهيمة أعطيت قوة تدبر بها سلامتها، وأما

أولئك فلو عدموا المدبر تلقوا لمجيئهم، وهؤلاء هم العبيد بالطبع وهم أهل لأن يكونوا عبيدا لغيرهم" (رسالة

الوداع، ١٣٦).

وأما أصحاب الفضائل النفسية فهم أشرف من هؤلاء، ولهم قدر ونصيب من الكمال، لكنهم لا يبلغون

الكمال بتمامه، يقول ابن باجة "وأما ذوو الفضائل فالأذن الفضائل قد يقتصر عليها في كثير من المدن فيكونون

تابعين لغيرهم، وبالجملة ففاعلين فلهم هذه المرتبة من الشرف، ولأن أنفسهم قد كملت كمالا ما، ولكنهم في

الحقيقة كشيء هم بالكمال ولم يكمل، فلذلك هم في مرتبة يكاد صاحبها أن يكون كماله بها عبثا وباطلا غير أن

الطبيعة قد قصرت قوما على هذه الفضائل الشكلية، كما قصرت قوما على الصحة وقصرت ذوي الصحة على

أن يكونوا عبيدا، وقصرت هؤلاء أن يكونوا كالعرفاء في المدينة يرأسون قوما، ويتم لهم من أعمال المدينة جلها

لأن الفضائل الشكلية يجود بها المعاشرة التي بها تتم المدنية" (رسالة الوداع، ١٣٦).

٢-٢- فضائل فكرية:

عن طريقها يستطيع الإنسان أن يميز ما هو الأنفع ولها صنفان: عملية ونظرية

- العملية: وهي مهن وقوى والمهن، كل ما استعمل فيه البدن كالنجارة وغيرها "فإن الصنائع المستعملة لغاياتها، لو لم تكن الغاية موجودة لكان وجودها عبثاً وباطلاً فهي بالطبع خادمة" (فخري، ١٩٦٨، ١٣٤)، بالتالي أعدت لتخدم غيرها، أما الطب والملاحة وقيادة الجيوش من أجل صلاح المدينة والخطابة أعدت لتعطي الإقناع فيما استتبط من الحكمة.

- النظرية: وهي الحكمة وهي أكمل أحوال الروحانية، وهذه الفضيلة أو الكمال توجد للعلم فقط، والأفعال الفكرية كلها كمالات بالإطلاق، ولا تقال بتقييد فهي غير مختصة بالإنسان ولا يشترك فيها غيره، ولا يخدم بها الإنسان إنما معدة ليكمل بها المحرك الأول (عويضة، ١٩٩٣، ١٩٥).

٣) العمل الفاضل:

الفضيلة ليست من الخصال الطبيعية، بل هي مكتسبة فهي ملكة خلقية يكون بها صاحبها فاضلاً. ولا يولد المرء بهذه الخيرية من الأهواء والمشاعر، إنما تأتي نتيجة التدريب والتعود على ضبط المشاعر والدوافع، وعلى هذا فالحدث الصغير يحتاج إلى أن يدرّب على القاعدة الصائبة، قبل أن يكون قادراً على أن يدرك بنفسه أنها القاعدة الصائبة، ومعنى ذلك أن الفضائل الخلقية أسبق من الفضائل العقلية، والفضائل الخلقية ليست بالطبع، إنما الطبع هو القدرة على اكتسابها عن طريق العادة والمران، وهذا الأخير هو قدرة عقلية. إذن الفضائل الخلقية تكتسب بالتمرّن و التدريب، بينما تكتسب الفضائل العقلية بالتعليم النظري (عويضة، ١٩٩٣، ١٨٩).

أما سمة الفعل الفاضل بحسب تأثر ابن باجة بالوسطية، عند أرسطو فهي أوسط بين طريقين كلاهما رذيلة، حيث يتحدث ابن باجة في شروحات السماع الطبيعي لأرسطو، عن الوسط الأخلاقي من خلال حديثه عن الاستمالة الكيفية الانفعالية للأجسام الطبيعية، فيقول "إنه لا يكون استمالة أي تعثير في الكيف، إلا في الكيفية الانفعالية وهي المشتملة على المحسوسات الأولى، وهي فصول الأجسام الطبيعية، وكذلك لا يكون استمالة في الفضائل الخلقية، لأنها توسط بين أطراف الأضداد، واعتدال في استعمال القوى الطبيعية عن الانفعالات النفسية،

وأعني بقولي قوى الطبيعة أنها لنا بالطبع، مثل القوة على الغضب، فإنها قوة على أن نغضب وعلى أن لا نغضب، بالطبع لا على أنها مستفادة بوجه آخر، وكون الفضيلة في الغضب أن تصير هذه القوة فينا، بحيث ننفل بها إذا قضى النظر بالغضب ولا نغضب، إذا قضى الأمر بالهدوء وعند ذلك تصير وسطا ... وكذلك القول في ملكة ذات أطراف، وكمثال عن ذلك استعمال المال فإن طرفيه التبذير والبخل، وحال النفس عند الخوف فإن طرفيه التهور والجبن، والفضيلة في كلا هذين الوسطين"^{٤١}.

بالتالي حسب نظرية الاعتدال والوسطية للفعل الفاضل يكون الناس ثلاثة أصناف:

- الأول: منهم صنف لا يبالون بآلاتهم ولا يحرسونها حتى تفسد عليهم سريعا، فتخترم أعمالهم ولا يمكنهم متى شاؤوا أن يعملوا أو يشق عليهم العمل.
- الثاني: من يغالي في حفظ آلاته وصيانتها، والعناية بها حتى يكون معظم وكده في حفظها، ويجنبون معظم منافعهم، كما يعرض للمتكلمين باليسار فيكون يسارهم قد ذهب باطلا، ويكونون عبيدا لآلاتهم من غير أن يشعروا، ويتلذذ بوجودها غيرهم وكلا الصنفين مذموم، لأنه يخرج حد الوسط والفعل يكون في أحدهما وكلا الطرفين رذيلة.
- الثالث: يحرس آلاته ويصونها في وقت لا يحتاج إليها، ويبدلها ويستخفيها في الحين الذي يستعملها ولا يبالى عند استعمالها على ما يجب، هل تلفت أو بقيت؟ وأحوال هؤلاء فقط هي المحمودة والوسط ليس أمرا سهلا ميسورا ولا هو حسابي دقيق، بل هو نظري اعتباري لذا كان فعل الوسط صعباً، وأشار ابن باجة لصعوبته بقوله "وكثيرا ما يقع المتوسط موقع كل واحد من الطرفين فيعمل ذلك الطرف وهو لا يشعر" (رسالة الوداع، ١١٩)، (عويضة، ١٩٩٣، ١٩٧).

(٤) - ١- الغايات:

^{٤١} شروح السماع الطبيعي لأرسطو حيث قام بها ابن باجة، ص: ١٢٣ وتجدها في رسائل ابن باجة الإلهية لماجد فخري (١٩٦٨)

وهي أهداف الفعل الإنساني، وتقسم عند ابن باجة إلى غايات رئيسية ومرووسة، فأما الرئيسية من خصائصها أنها أبدية غير خاضعة للكون والفساد، وهي إما إلهية أو عقلية، وأيضا تكون إلهية لأن فعلها وليد الحكمة، وأساسها الرأي فهي غاية بحد ذاتها، وليست توطئة لغيرها، من أصنافها: العبادة التي يبتغي بها الإنسان رضا الله، ومنها النظر العقلي ومنها العلم الحق الذي هو أشرف ما يصبو له الإنسان، أما الغايات المرووسة هي الصادرة عن النفس النزوعية، مثل استعمال الأغذية والدفار والمسكن وهي غير نبيلة، ولا هي كمال لأي سيرة من السير، فإن الجلال والكمال فيها تملك النفس النزوعية إطلاق وثاقها، وهذا ما يحدث للملوك الغابرين الذين يملكون كل شيء ولكن بالنهاية يموتون متأسفين على ما فقدوه وما كان عليهم فعله (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤٠٠).

(4)-2- مراتب الناس حسب الغايات:

مرتبة العلم والعقل هي أعلى مراتب الكمال للمتوحد، ويتدرج المتوحد للوصول إلى أعلاها، وقد يقف غيره عند أحدها وهنا سيذكر النص الأصلي له، يقول ابن باجة "فإن شئت أن تكون تسعى ليكون كمالك في الآلات، وذلك باليسار فيكون كمالك كالحاكم بالصحة، فتكون عبدا بالطبع سواء ملك إنسان أو لم يملك، أو يكون كمالك بالفضائل الشكلية، فتكون مدبرا من سواك تحتاج إلى مدبر، وتخرج عن مرتبة الإنسانية بالطبع إلى مرتبة أشرف الحيوان غير الناطق، فإن العبد يشبه من الحيوان غير الناطق البغال والدواب التي تستعملها لجلدها وقوة أعصابها على الحمل، ويشبه صاحب الفضائل الشكلية من الحيوان غير الناطق، ذوي الهيئات الكريمة كالأسد في الجرأة والديك في الكرم وذلك الصنفان مدبران أو تكون كاملا بالصناعات العملية، فتكون إنسانا لأنك تدبر عند ذلك ولا تدبر لأنك بكون هذا التدبير خادما لإنسان غيرك، أما دون توسط كالكلب، وأما بتوسط كمن يضع رباط الخيل فإن يخدم الخيل أولا، وثانيا الإنسان لأنه ينتفع بالخيل فإن شاح في ذلك مشاح كنت متمما لفرض غيرك، ومرووسا بالطبع، وكذلك القوى غير أن القوى أشرف فتكون أشرف الشرف، وأرفع الخدمة كالوزير للملك، أو تكون كاملا بكمالك الذي يخصك، فتكون قد كملت في ذاتك ولم تفتقر في الوجود إلى سواك، بل كل

إنسان وكل موجود كائن فاسد نحوك وبوجودك صار أولئك موجودين وبوجودك أولا صرت أنت كائناً مثال ما أقوله إن بالقطع صار السكين سكيناً ولولاه ما كان وبالسكين صار القطع حادثاً " (رسالة الوداع، ١٤٠)،

وخلاصة القول إن من الناس من جعل غايته الجسمانية فقط، ومنهم من يزيد على ذلك، فتكون غايته الروحانية الخاصة، وهي الفضائل، والمتوحد هو الذي يحقق الكمال الإنساني وتكون غايته الصور المعقولة، لذلك إن الإنسان مهمته الجوهرية مهمة عقلية وعليه أن ينمي قواه الإنسانية الأخرى واستعداداته الأخلاقية منفرداً أو كان في جماعة، لكي يستطيع عن طريق سيادة النفس العاقلة واستيلائها على النفس الحيوانية أن ينجز مهمته الروحية، وأن يكون قادراً على بلوغ تلك الحال من البقاء الدائم والوجود المجرد، ويتصل بالعقول والجواهر البسيطة التي يصبح هو أحداها، وأن يحقق غايته القصوى وهي الاتصال بالعقل الفعال.

٥) السعادة القصوى:

وهي عند ابن باجة ثمرة تمام الإنسانية وكمالها وكمال الإنسان لا يكون إلا بصلاح عقله، وهذا يحتاج للعلم والتجوهر بالعقول، يقول المستشرق الأسباني أسين بلاسيوس " يبحث ابن باجة عن السعادة القصوى ويرى أنها تتحقق عن طريق تجريد الصور العقلية، فالسعادة إذن عن طريق العلم والفلسفة، والمتوحد إذا كان يستعين ببعض الأمور العادية، لكي يستطيع مواصلة السير إلا أنها ليست شغله الشاغل " (ديبور، ١٩٥٧، ٣٧٠)، ومن يحصل على هذه السعادة هو من النادرين حول العالم، ويصفهم ابن باجة " وأما السعداء فليس لهم في الابصار شبيه إذ يصيرون هم الشيء، فلو استحال البصر فصار ضوءاً لكان عند ذلك ينزل منزلة السعداء " (رسالة الاتصال، ١٦٧).

ثالثاً- الأساس السياسي والاجتماعي:

• اجتماعياً: أثرت الناحية الاجتماعية على التربية بشكل كبير، على الرغم من هوية المجتمع الإسلامية حيث وصلت إليه الدعوة ٩٢ هـ كما ورد، إلا أنه بحسب ما سبق اختلط المجتمع الاندلسي نتيجة تزاوج الفئات فيه من عرب وبربر وصقاليين وإسبان والسكان الأصليين، ونتيجة لهذا الاختلاط أصبح يعاني من التفاوت في الثقافة والمبادئ التي توحد الفئات المختلفة، كما أن الرخاء الاقتصادي الذي امتازت به الاندلس آنذاك نتيجة ازدهار التجارة والزراعة وتغلب الجوّاري على الحياة الاجتماعية، جعل الأمراء المرابطين ينغمسون في هذا الترف، مما أضعف مكانتهم السياسية، وجعل الأسبان يقضون عليهم ويسيطرون على الاندلس، ومن جهة أخرى أضاع هيبتهم بسبب انغماسهم في اللذات ومعاملتهم القاسية للناس، التي كانت تحمل في طياتها العجرفة والكبرياء، هذا المجتمع المتفاوت الذي أحيا الأدب والعلوم من جهة، وأضعف السياسة والأخلاق من جهة أخرى، كان له أثره في تفكير ابن الصائغ الفلسفي والتربوي فقد اتخذ مادة للتحليل، وتجلّى هذا واضحاً في فكرته عن المدينة الفاضلة ونموذج المتوحد (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤٤).

• سياسياً: تناوبت في أثناء حياة ابن الصائغ بحسب ما ورد في المحددات التاريخية عدد من الخلافات، ففي بداية حياته كانت لأسره بن هود في سرقسطة، ثم في شبابه أصبحت للمرابطين بقيادة الصحرّاوي، وعين لديه وزيراً وجليسا، ثم سيطر على سرقسطة الأسبان فانتقل إلى أشبيلية، اتسعت رقعة الأسبان، فهاجر إلى المغرب، حيث مركز قيادة المرابطين وعين قاضياً ووزيراً، وفي كل الأحوال فمبدأ الحكم كان ملكياً، حيث يأتي أمير قوي وآخر ضعيف.

عانى ابن باجة الكثير من المكائد بسبب مكانته السياسية وحب الناس له، وعانى من ويلات السجن، والحرب والتهجير فيقول دي بور: "فقد عاش في وحدة عقلية ولم يجد انيساً يشاطره آراءه ولم تكن حياته على قصرها سعيدة وكثيراً ما تمنى الموت ليجد فيه الراحة الأخيرة وما وصل إلينا من كتبه يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن يأنس إلى عصره ولا بيئته" (دي بور، ١٩٥٧، ٢٤١).

وبالفكر نفسه يذكر ابن أبي أصيبعة "وكان في العلوم الحكيمة علامة وقته وأوحد زمانه وبلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام وقصدوا إهلاكه مرات وسلمه الله منهم" (ابن أبي أصيبعة، ١٨٨٢، ٦٤)، وعلى ذلك

عاش ابن باجة حياة مليئة بالدسائس والمكائد وهو في حذر مستمر وربما هذا الذي جعله يتجه نحو تدبير المتوحد. لم يسلم ابن باجة من ذم البعض ممن أعماهم الحسد بسبب المكانة الرفيعة التي حظاها عند الأمراء.

هذه الأحداث السياسية أثرت في كل كلمات ابن باجة، وربما كانت السبب الأساسي في انتقائه لمشروع المتوحد كفكرة وحل جذري في خضم هذه التحولات، فمن الوزارة والترف السرقسطي، انتقل ابن باجة إلى التهجير والهرب من الاسبان المحتلين (زيناوي، ٢٠١٩، ٧٣)، وتغيبت هذه الفترة من حياته عن الجميع ، ويشير إلى ذلك ضمنا في رسالته مع تلميذه أبو الحسن بن الإمام " إني لما اعتزمت الحركة إلى ما أخافني من مشرق المعمورة ،وهو بلد تارج ومسعى بعيد يشتمل على مقدار من الزمان غير يسير بالإضافة إلى الأعمار الإنسانية وقد تقدمت في غير هذه، فأعلمتك بالسبيل التي اعتقد بسلوكها وسيرتي التي عليها مشهورة وأنا متعرض للخطر" (رسالة الوداع، ١١٣)، بالتالي هذا القول تصريح أنه كان يهرب من ما كان فيه إلى المغرب على الرغم من معرفته أن اشتغاله بالفلسفة سيجلب له الخطر

الفصل الخامس: التطبيقات التربوية

تمهيد:

يشكل هذا الفصل الإجابة عن الشق الثاني من مشكلة الدراسة وهي التطبيقات التربوية الممكنة لفكر ابن باجة، وقد استخرجتها الباحثة بعد تحليلها لكتاب تدبير المتوحد، معتمدةً على المحددات الشخصية والاجتماعية وسيرة حياة ابن باجة، محاولةً استنباط ملامح النظرية التربوية الخاصة بابن باجة. ويكون الإنسان يبقى يتعلم منذ بدأ حياته إلى نهايتها، فوضع خطة تشمل سير حياة هذا الإنسان هي بالطبع خطة تشمل سير حياة المتعلم، فاعتدت الباحثة على متوحد ابن باجة كونه المتعلم، وتدبير حياته إنما هي التربية بوصفها سلسلة تفسيرات وإجراءات تحدد الحياة الأمثل للمتوحد أي المتعلم

فهرس الفصل الخامس:

المحتوى	رقم الصفحة
أولاً- معنى التربية	٨٧
ثانياً- مبادئ التربية	٨٩
ثالثاً- أهداف التربية : ٣-١- وجودياً	٩١
٣-٢- جسدياً	٩٢
٣-٣- معرفياً	٩٣
٣-٤- مهارياً واجتماعياً	٩٤
رابعاً- دوافع التربية	٩٤
خامساً- شروط التعليم	٩٥
سادساً- الغايات الأخيرة للتربية	٩٦

٩٨	سابعاً- كمالات الإنسان: ١- كمالات سلوكية وخلقية
٩٨	١-٢- المرحلة الأولى (النباتية)
٩٩	١-٢- المرحلة الثانية (الحيوانية)
٩٩	١-٢- المرحلة الثالثة (الإنسان)
١٠١	٢- كمالات فكرية
١٠٢	ثامناً- مراتب العلوم
١٠٦	تاسعاً- طرائق التربية
١٠٩	عاشراً- المتعلم
١١١	الحادي عشر- المعلم
١١١	الثاني عشر- التقويم
١١٣	الثالث عشر- إسقاط المضامين التربوية على الأركان الحديثة للتربية من خلال تجربة ابن باجة:
١١٥	الرابع عشر- استمرارية فكر ابن باجة
١١٧	الخامس عشر- التقاطعات التربوية بين ابن باجة وآخرين
١٢٠	السادس عشر- نقد تحليلي لفكر ابن باجة التربوي

أولاً- معنى التربية:

إن فهم التربية عند ابن باجة يعني ترتيب أحوال الإنسان حتى ينال أفضل وجوداته، وهذا بقوله "وأشهر

دلالات كلمة التدبير تدل على ترتيب الأفعال نحو غاية مقصودة" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٥) "ونحن في هذا القول نقصد

تدبير هذا الإنسان المتوحد. وبين انه قد لحقه أمر خارج عن الطبع، فنقول كيف يتدبر حتى ينال أفضل وجوداته" (ابن باجة، ١٩٩٤، ١٥)

بالتالي التربية تنصب على بناء الإنسان الفرد المتوحد، بناء صحيحا وسليما، طبقا لغاية محددة وهي بناؤه بالشكل العقلي المناسب، بعد أن اختلط بالمدن الفاسدة بحسب ما ورد في فلسفته، فالمتوحد أو المتعلم هو وليد مدن فاسدة، لذا تأتي التربية حتى تصحح هذا الامر الخارج عن طبعه، وتعيده إلى بناءه السليم.

وهذا البناء طبقا لأهداف عقلية، وإن لم يعن هذا إهمال النواحي الأخرى في النفس الإنسانية، أي توجيه مجموع القوى التي يتصف بها الإنسان للوصول به إلى مرتبة الاتصال بالعقل الفعال أو السرمدية الروحانية، أي الطبيعية العقلانية الخالصة، وإدراك المعقولات باعتبارها أحد موجودات العالم، وهذا عنده هو الحياة الأخرى، والسعادة القصوى للإنسانية المتوحد (مصطفى، ١٩٩٢، ١٠٥).

وكشق من هذه التربية يأتي التعليم الذي يعطيه ابن باجة شرف عظيم فيجعله أكمل الروحانيات على الإطلاق، فيقول "وأما الأفعال التي تحصل للروحانية العامة، وهي أكمل هذه الروحانيات على الإطلاق وكأنها النخوم الممتزجة بالجسمية، إن قيل لهذا الصنف امتزاج، وبين الروحانية المطلقة، وهي كثيرة كالتعليم والاستنباط وما جانس ذلك" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٤٦)، "كما يجعله من الأمور الشاقة التي تعد أموراً روحانية لا جسمانية، والتعليم والعلم والمثابرة على العلوم داخلة في هذا الصنف" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٤٨)،

وفي هذا القول الشق الآخر من التربية العامة، وهي عملية التعليم خاصة، حيث ترتقي هذه العملية إلى مراتب الروحانية المطلقة أو أفعال العقل الفعال، فلن ترتبط هذه العملية بأمور الجسد إلا بحدود التدبير الدنيوي للمحافظة على هذا الجسد، بينما التعليم والعلم العقلي يتساوى بالأفعال الروحانية، وهنا بيان لأهمية عملية التعليم والتعلم عند ابن باجة.

الخلاصة: أن عملية التربية عند ابن باجة هي منهج حياة كاملة تتطلب عملية روحانية للوصول إلى

العقل الفعال، هذه العملية هي التعليم.

ثانياً- مبادئ التربية:

استُنبطت بعد محاولة تحليل كتاب تدبير المتوحد، حيث سيذكر المبدأ مع النص من تدبير المتوحد

٢-١- التراكمية: بحسب النص "فقد يقال بعموم أو بخصوص وإذا قيل بعموم قيل في كل أفعال الإنسان كما يقصد بالتدبير ترتيب الأفعال نحو غاية مقصودة، ولذلك لا يطلقونها على من فعل فعلاً واحداً يقصد به غاية ما، فإن من اعتقد في الفعل أنه واحد لم يطلق عليه التدبير" (ص ٥)، بحسب تعريفه للفظ التدبير واسقاطه على كل عمليات الحياة ومنها التربية تظهر تراتبية ابن باجة، حيث تشمل التربية على مجموعة عمليات مرتبة، حيث كل مرحلة سابقة للتالية ولاحقة للسابقة، بالتالي لا وجود للتربية من دون وجود خطة مسبقة لها، إذ تحذف العشوائية من خطوات التربية، ويعتمد هنا البناء التراكمي في عملية التدبير.

٢-٢- الموضوعية: بحسب النص "والتدبير إذا قيل بإطلاق دل على تدبير المدن، وإذا قيل بتقييد فإنه ينقسم إلى الصواب والخطأ، وقد يظن أن التدبير قد يعرى من هذين المتقابلين، وإذا فحص عنه وتعقب، ظهر أن هذين المتقابلين يلزمانه ضرورة" (ص ٧)، وهذا القول يعكس نظريته الثنائية في عملية التربية، إذ أن التربية تقوم على طرفين واضحين أحدهما صحيح والآخر خاطئ، ووضع قواعد واضحة من هذا النوع يقابل الموضوعية في التربية الحديثة، وتحديد الأسس الجذرية قبيل البدء بأي عملية تربية، بوجود شيء من الضبابية في الأحكام قد تختلف معايير الحكم، ولكن وجود معايير للصحيح وللخاطئ يجعل الحكم أكثر موضوعية

٢-٣- التكيف: بحسب النص "إن المنازل ماعدا المنزل الفاضل مرضى، وكلها منحرفة وليست موجودة بالطبع إنما بالوضع فإن خلا منزل من ذلك لم يكن منزلاً إلا باشتراك الاسم" (ص ٩)، والمقصود في المنزل هو جزء المدينة الذي يعيش فيه المتوحد، وهو ليس كاملاً، بالتالي لا ينشأ المتوحد ببيئة مثالية، ولو كان ذلك لما احتاج لتدبير نفسه بعيداً عن الفساد، ولما كان موجوداً أصلاً، لذلك يقر ابن باجة بالمشكلة ولا يدعو المتعلم للهرب منها نحو مكان ما يكون فاضلاً، وهذا يقابل التكيف في التربية، ففكرة أن يضع للإنسان خطة يستطيع فيها أن ينجز ويتطور في مجتمع فاسد هي خير دليل على التكيف عند ابن باجة.

٢-٤- التجديد والحدثة: بحسب النص "فإن جل ذلك ما كان الصادق فيها وقتاً ما وفي سيرة سيره، فإذا تغيرت تلك السيرة تغيرت تلك الآراء التي هي أقاويل كلية فصارت جزئية، بعد أن كانت كلية وصارت ضارة بعد أن كانت نافعة" (ص ١٠)، وفي القول دلالة واضحة على تحرر ابن باجة من القيود أو إعادة إسقاط أمر ما على مجتمع جديد، حيث يعتقد ابن باجة أن ما يصلح للتربية في سيرة ما قد لا يصلح لغيرها، ولا تسقط كل الاحكام حرفياً على كل الأزمنة، حيث تختلف الآراء والظروف، وربما قصد بذلك آراء الصوفية وطريق الزهد الذي كان شائعاً. وهذا ما يقابل التجديد والحدثة في التربية

٢-٥- الفروق الفردية في التعليم: كل إنسان لديه استعدادات معينة، وذلك يلاحظ من أن الصنائع متعددة يخدم بعضها بعضاً، وهذا يرجع إلى فطرة الإنسان، فالفطر يخدم بعضها بعضاً، حيث نجد من فطر على أن يكون نجاراً ولم يفطر على غير ذلك، فذلك أعد ليخدم غيره وكماله ان يخدم غيره، وهذا أفضل وجوداته، والإنسان الكامل الذي فطر على ان يكون لنفسه، فإذا الفطرة الفائقة هي التي ينال بها العلم النظري، ولكل إنسان استعداد معين (فخري، ١٩٦٨، ١٢٨).

٢-٦- التفاضل: حيث يفرق ابن باجة بين النوابت ذوين الرأي الصادق الذين وصلوا إلى نتيجة رفيعة في الارتقاء العقلي، وبين من بقوا حبيسي الغريزة والشهوة، فيقول "ونقل إليهم هذا الاسم من العشب النابت ويختصون بالآراء الصادقة ووجودهم سبب المدينة الكاملة" (ص ١٢)، "ومن كانت نفسه البهيمية تغلب نفسه الناطقة فهو إنسان سوء البهيمية أفضل منه" (ص ١٧)، بالتالي الإنسان مسؤول عن تصرفاته، ولا تسويغ لكي يكون بهذا الشكل أي أن يكون أسوأ من البهائم، لذا يذم هذا الصنف فيما يرتقي بالنوابت، وهذا يقابل التفاضل في التربية، وحرية الاختيار حيث كل إنسان بيده أن يكون ما يكون.

٢-٧- الشك العلمي: بحسب النص "الأمر الموجودة لشيء ما في الاعتقاد إما صادقة وإما كاذبة وإما بالذات وإما بالعرض وإما يقينية وإما مظنونة" (ص ١٧)، من هذا القول يتضح أحد مبادئ البحث العلمي الحديثة، وهي الشك في المعلومات الكامنة وعدم التسليم بها بشكل مطلق، إنما معالجة المعلومات ومناقشة الحجج، والنوابت حسب تجاربهم يكتشفون صدق الحقائق، على الرغم من وجود الفضيلة الخلقية قبل العقلية، ولكن المتوحد عندما

يصبح في عمر تفتح العقل، سيبدأ باكتشاف الأمور والتأكد من صدقها، حيث يكمل ابن باجة "وظاهر من عنده بصر بصناعة المنطق أن اليقينية، إنما تكون صادقة ضرورة، وأما المظنونة فقد تكون كاذبة وتكون صادقة" (ص ٢٦).

٢-٨- ربط العلم بالعمل: حسب النص "الصور المتوسطة ليست غايات فلا يوجد متوحد يعمل عنها، فأن أكثر الصناعات، وهي القوى والمهن، هي مقتصرة على هذا الصنف، والوقوف على هذه ليس يعطي المتوحد علماً ينبغي أن يقصده نحوه، بل إنما يعطيه علم الأسباب الموصلة، فلأن المتوحد من هنا نحو العلوم النظرية، فكان هذا النحو من أنحاء العلوم النظرية جليل القدر، فيكون القول فيها مع ما ذكرنا، قد أفاد بالعرض جزءاً من غايته المقصودة" (ص ٨٣)، هذا القول هو حث ابن باجة على العمل بمهنة معينة، فليس من يشتغل بالعلوم النظرية كونها غاية مهمة للعلوم، أن يكون عاطلاً عن العمل، بل يجب أن يعمل ويشغل بالعرض حتى يتسنى له الوصول للأصل وهو العلوم النظرية، ومن عمل بمهنة معينة، يجب أن يدرس ما وراء هذه المهنة من معرفة، وأن يجعل غايته الأصلية من مزاوتها الوصول للعلوم، بالتالي مبدأ ربط العلم بالعمل.

٢-٩- تكافؤ الفرص التعليمية: لم يحو كتاب تدبير المتوحد كاملاً على أي صفة عرقية أو وراثية أو لونية، بل وحتى عمرية معينة أو اجتماعية، بالتالي أي شخص يستطيع أن يكن متعلماً ويقوم بعملية تدبير لنفسه، وهذا يقابل تكافؤ الفرص التعليمية.

ثالثاً- أهداف التربية:

تعددت أهداف التربية وتنوع في كتاب تدبير المتوحد، وتقسم حسب فئاتها إلى:

٣-١- وجودياً: يقول ابن باجة حول أهداف التدبير " ونحن في هذا القول نقصد تدبير هذا الإنسان المتوحد، وبين أنه قد لحقه أمر خارج عن الطبع، فنقول كيف يتدبر حتى ينال أفضل وجوداته، كما يقول الطبيب في الإنسان المنفرد في هذه المدن كيف يتوحد حتى يكون صحيحاً، إما بحفظ صحته وإما باسترجاعها، كذلك القول

هو في النابت المفرد، وهو كيف ينال السعادة إذا لم تكن موجودة، أو كيف يزيل عن نفسه الأعراض التي تمنعه عن السعادة أو نيل ما يمكنه منها، إما بحسب غاية أو بحسب ما استقر في نفسه" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ١٦)، بحسب القول السابق يضع المؤلف بشكل مختصر هدفين أساسين للتربية، يتعلقان بوجود الإنسان، فبحسب ما ورد في فلسفة ابن باجة الوجودية، تظهر نظراته المثالية، حيث تتقدم الروح على الجسد من جهة، وتتوافق هذه الروح مع الكون الذي تعيش فيه، لترتقي إلى مستوى أعلى من النظر العقلي والبصيرة، لذا يظهر للتربية هدفان وجوديان:

- الأول: كيف يصل المتوحد إلى أفضل وجود إنساني له، بعملية التعليم الذي يصنفه ابن باجة من أفعال العقل الفعال، وأقصى مراتب العلم ما كان في غاية البعد عن المادة، وهو الكمال الإلهي الذي لا يدرك إلا بمعونة إلهية، على الرغم من أن العقل هو القوة الحاسمة للإنسان بحسب زرواق (٢٠١٧) إلا أن الله بعث الرسل والأنبياء، وبحسب جمعة إنما بعثهم تنميماً لموهبة عند الناس وهي العلم (جمعة، ٢٠١٢، ٨٠).
- الثاني: كيف ينال السعادة في أثناء وجوده الإنساني، أو كيف يتخلص من الأعراض التي تمنعه من السعادة المنشودة والسعادة كما ورد في الأساس الأخلاقي للتربية، أنها عقلية محض، ولذا فإن اللذة العقلية وهي غاية الإنسان القصوى الإعداد للعيش في المجتمع الفاضل إي المدينة الفاضلة بمواصفاتها التي تم ذكرتها "وأما التي تنصبها له - أي الغايات - في مدينة من حيث هو جزء مدينة، فإن من أفعاله فيها ما يليق بالمتوحد فيكون إحدى هذه" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٥٧).

فالوجود السليم المتوحد هو التوافق مع مجتمعه ومحاولة التكيف معه، تتوافق هذه النتيجة مع دراسة زرواق (٢٠١٧)، في أن صفة التلازم بين الإنسان والبيئة لاغنى عنها لذلك على الإنسان الحفاظ على هذا التلازم من خلال انتسابه للمجتمع مع الحفاظ على الجانب الفكري من جهة أخرى.

٣-٢- جسدياً: يمكن ان يسجل أهداف التربية عند ابن باجة كما سجلها د مصطفى:

• المحافظة على الصحة، والعمل على استردادها، إذا عرض لها عارض، وهذا عنده نوع من الفضائل يسميه "تمام الآلات الصناعية"، والغرض الذي يتوخاه الإنسان إنما يكون في إطار أنها خادمة لغيره، أي أن هذه الصحة إنما تكون بالعرض لحفظ النفس والهدف الأساسي لها خدمة الروح التي هي بالأساس تسعى لمساعدة الآخرين، كما في التعليم، فتعليم الإنسان للحصول على المعرفة التي تستفيد منها المدينة لتصبح مدينة فاضلة. وطرق المحافظة على الصحة تكون بما يلي:

- الغذاء الصحيح السليم بالمأكولات النافعة وتجنب الإسراف في الطعام وعدم تناول الطعام لمجرد الانتاذ.
- الاعتدال في كل ما يتعلق بحياته الجسدية، وهو ضروري لإتقان الأعمال الفكرية، وعلى الإنسان أن يفعل ما تمليه عليه القوى الفكرية، ولو سبب ذلك ألماً أو أدى به إلى الموت (رسالة الوداع، ١٣٣-١٣٦).
- ممارسة الرياضة البدنية" وكذلك إذا أسقطوا الرياضة حدثت عن ذلك أمراض كثيرة"(تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ١٠). (مصطفى، ١٩٩٢، ١٠٦)

٣-٣- معرفياً:

- الحرص على مصاحبة أهل العلوم، واعتزال من يهتمون بحياتهم الجسدية أو الفضائل الشكلية فقط، ولا يخالطهم إلا للضرورة، فيقول "والمتوحد الظاهر من أمره أنه يجب عليه أن لا يصحب الجسماني ولا من غايته الروحانية المشوبة بجسمية، بل إنما يجب عليه أن يصحب أهل العلوم" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٨٠). هذا ما يدعم التطور العقلي للمتوحد، فمصاحبة أهل العلم يوسع من معارف المتوحد ويزيد من قدراته.
- الاهتمام بالعلوم النظرية، لأنها أشرف وترك العلوم العملية، إذ هي وسائل لا غايات، ويجب الاهتمام بالغاية، أي العلوم النظرية. "وإذا كان العلم يعقبه لذة، فإن أعظم العلوم وأفضلها وأشرفها هو العلم بالأجرام السماوية وبالإله، فاللذة المصاحبة لهذا العلم هي أبقي وأدوم اللذات وإن لم تكن اللذات هي الغاية القصوى، بل إنه في هذه المرتبة ينقطع السؤال عن اللذة" (رسالة الوداع، ١٢٣-١٢٤).

ومنها النظر العقلي الذي ينتهي بالاتصال بالعقل الفعال. ولذا فإن اللذة العقلية وهي غاية الإنسان القصوى، والعلم النظري الذي يبلغ به الإنسان كماله الطبيعي الذي تنزل جميع الأفعال والفضائل الأخرى منها بمنزلة الوسائل والآلات هي الغاية التي يجب ان يسعى إليها الإنسان (جمعة، ٢٠١٢، ٨٣)

٣-٤- مهاريًا واجتماعيًا: بحسب تحليل د مصطفى^{٤٢}:

- العمل على مداراة الناس، وعدم استعمال اللغز في الحديث، لأن الناس لن يفهموه ومعنى هذا الحرص على تعليم اللغة واكتساب مهاراتها.
- الاهتمام بالإرادة والاختيار الحر، بقصد أن يكون الاختيار خيرا وصوابا، وحسبما يقضى العقل لا لأنه مكره، ولا لأنه يلتمس منفعة من وراء الاختيار، ولا لأنه يلتذ بالعمل، كما لا يجوز ان تكون الانفعالات مصاحبة للاختيار (المرجع نفسه، ١٤١-١٤٣).
- الطلب الدائم للعمل والتحلي بالكمالات الفكرية خاصة النظرية منها وإن مر بالعملية إلا أنه لا يقف عندها، بل واجب تخطيها إلى العلم الدائم.
- تأكيد الوعي الذاتي للإنسان والإمكانات التي وهبها فهذا سيؤدي حتما على العلم بالنفس والعلم بالله حق العلم والتقرب منه مرضاة له (رسالة الوداع، ١٤١) (مصطفى، ١٩٩٢، ١٠٧).

أنها أهداف تنتمي إلى أرضية مثالية تماما، يلاحظ من خلالها التأكيد على الإنسان وعقله وإرادته واختياره والتزام الفضيلة، وغير ذلك كلها آراء وأفكار مثالية تنتمي في النهاية إلى أفلاطون.

رابعاً- دوافع التربية:

^{٤٢} الملقب بأبو العينين، له دراسات إسلامية وتربوية عديدة، وقد استفادت الباحثة من بحث منشور له عن التربية عند ابن باجة

يبحث ابن باجة عن الدافع الأول للإنسان الذي يحركه، فيميز بين دافعين نفسيين هما: الخيال والفكر، أما آلتها فهي النزوع فما يحرك النفس أولاً هو الخيال، كلما كان هناك انفعال حاصل لها. غير أن الخيال وحده لا يكفي، فعلى الرغم من أنه يخلق استعداداً معيناً إلا أن القرار الأخير يبقى لصاحبه،

وهذا المحرك مشترك للإنسان والحيوان، لذا فإن الإنسان الذي يكتفي بأن يحركه الخيال وحده تحركه رغبة حيوانية، ولا يلبث الفكر أن يتدخل فيدخل في صراع مع الرغبة، وقد يقع الإنسان هنا في الخطأ، وهذا الخطأ لا يعود للعقل أي إلى الذات المفكرة، لأن الإنسان لا يملك بعد المعرفة الكافية كي يتجنب كل خطأ. الخيال إذاً ليس المحرك الأول الصالح ولأن الخيال يقع في الخطأ، يبقى المحرك الأول الخاص بالإنسان وحده الذي لا يرغب بالوقوع بالخطأ، هو أن يتم القوة المفكرة عنده إذاً على الإنسان دوماً بالعلم، فيقول " وإنما يوجد العلم بالمحمول الذاتي الكلي بوجود العقل" (المصدر، ٩٥)، (عفيفي، ٢٠٠٩، ٣٥٤).

خامساً- شروط التعليم:

والعلم لا يكتسب إلا بالتعليم، وقد اشترط ابن باجة للتعليم شروطاً هي كما يلي:

➤ الاستعداد الجسمي والعقلي وعدم وجود عوائق خارجية

➤ وجود الدافعية للتعليم وهذا يتم عن طريق:

١. القوة المتخيلة

٢. ما يحصله الإنسان من لذة إذا علم شيئاً، وهذه ملازمة دائماً للتعليم، إلا أن طلب العلم لا ينبغي أن

يكون لهذه اللذة فقط، بل يجب أن يكون لذاته لأنه من طلبه لغير ذاته فإن الكسل سيكون ماله حتماً

(رسالة الوداع، ١٢٣).

➤ اكتمال القوة الفكرية للتصرف حسبما تقتضيه الحكمة في الظروف المختلفة، وهذا ما يولد نوعاً من التشوق الفكري، وهو ما دعاه ابن باجة تشوق الطواب، وحب معرفة الشيء فإن لم يوجد هذا التشوق لا توجد حركة نحو العلم بوجه (المرجع نفسه، ١٣٢). (مصطفى، ١٩٩٣، ٣٨)

➤ التربية التطبيقية: فيقول بها "فإنما يفعل هذه الأفعال حين يعلم بها أو يظن أنه يعلم ذلك. وما كان العلم بها أكثر كان فعله لها أقوى وأتم، وحيث لا يظن أنه يعلم فإنه لا يفعلها" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٤٤)، بالتالي هذا ربط واضح بين العلم والعمل حيث لا يستطيع المتوحد التعلم من خلال ما يقول بل يجب عليه قرن القول بالعمل.

سادساً- الغايات الأخيرة للتربية:

٦-١- بلوغ التوازن عند الفرد بين أساسين:

الأول: هو بلوغ أفضل حالة للمجتمع حيث تعتبر أشرف أنواع التدبير "وأشرف الأمور التي يقال عنها تدبير هو تدبير المدن وتدبير المنزل" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٦).

الثاني: وصول الفرد إلى أفضل وجوداته الشخصية في هذا المجتمع، أي تحقيق سعادة المفرد وهي غاية المؤلف بقوله " كذلك القول في النابت المفرد وهو كيف ينال السعادة إذ لم تكن موجودة، وكيف يزِيل عن نفسه هذه الأعراض التي تمنعه من السعادة" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ١٤).

بالتالي مخرج التربية هو الإنسان الفاضل بخلقه، المفكر بعقله، محقق سعادة المفرد، عامل على كمال المجتمع، وكما ورد سابقاً اهتمام ابن باجة بالأخلاق وبذلك تكون أفضل الوجودات تنمي الفضائل والكمالات الخلقية، ولكن بترتيب هذه الفضائل ستكون الفضائل الشكلية أدنى سلم القيم عنده، بل إن التضحية بها أمر واجب عند أصحاب الفكر ثم تأتي الفضائل الذهنية العملية، ثم تأتي بعد ذلك الفضائل الفكرية، وتعتبر أرقى السلم القيمي، وهي كمالات أو قيم مطلقة، ومعنى هذا أن التربية يجب أن تنمي القيم الدائمة التي تجعل الإنسان في انسجام مع الكلي العقلي، الذي ينتمي إليه، والذي تعتبر الوجود الحقيقي (مصطفى، ١٩٩٢، ٢٢).

هذه الغاية تتفق مع ما جاء عند مروفل (٢٠١٩) من جدلية العلاقة بين المدينة والمتوحّد، حيث توصلت دراسته إلى أن الغاية من الوجود الإنساني في نظر ابن باجة، هي بلوغ السعادة القصوى المرتبطة أساساً بعملية التدبير، هذه العملية مشروطة بنوع من الجدل بين الطرفين (المتوحّد- المدينة)، فالطرف الأول: المدينة حيث منحت المتوحّد فرصة الوعي والتحمّس العالي بمشكلاتها، فصعدها على مستوى الفكر، لتكون الهم الرئيسي له، بهذه الحالة كانت المدينة هي السبب في ولادة المتوحّد ليمارس التغيير.

أما الطرف الثاني فهو المتوحّد، الذي يجسد التمرد على المدينة في عاداتها، فهو يعتزل بنفسه عن العامة، ويتوجه إلى تأسيس ذاته بغرض بناء نموذج (مدينة الواحد)، للمدينة الكاملة بالتالي يقوم المتوحّد بتدبير ذاته، فيسعى لتغيير طباعه السيئة، ليحصل على سعادة المفرد من جهة، ثم يسعى لقلب أوضاع المدينة من جهة أخرى، ليبدأ مشروع السعادة على المجتمع كافة لكن بطرق سلمية مترفعة عن كل سبل القوة والعنف.

٦-٢- الذكر والسمعة الطيبة: "ومنها الأفعال التي تتال منها كمال الصورة التي في الذكر، وهذه مؤثرة لذاتها عند أكثر الناس، حتى إن أكثرهم يظن أنها السعادة ولا سيما متى ازدوجت مع تلك وكانت صادقة، والعرب ترى في الذكر خاصة ما لا تراه كثير من الأمم، ولذلك قال الشاعر:

أماوي إن المال غادٍ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

ويرون أن الذكر بقاء للمذكور، ولذلك يقول الشاعر: ذكر الفتى عمره الثاني، وهي تتال أكثر ذلك وأتم بالأفعال التي عدت في القوى الخيالية " (تدبير المتوحّد، ١٩٩٤، ٤٤)، لم يغفل ابن باجة أساسيات البقاء الاجتماعي السليم للمتوحّد، حيث لا تتفق سلامة المتوحّد الاجتماعية مع السمعة السيئة والذكر الشنيع، بل يجب أن يسعى لينال شرفه في الأخلاق بالتالي السمعة الطيبة.

٦-٣- كمالات الإنسان: تنطلق نظرية الأخلاق من أنها وضعية مبنية على التفكير، ومستمدة أصلاً من العقل وتتخلص هذه النظرة في مراحل النمو والاختيار الخلفي، حيث يرى ابن باجة أن لكل مرحلة عمرية يمر بها

الإنسان نموا خاصا وأحوالها من الفعل الاختياري، ويتقابل مع الكمالات الخلقية والفعلية، الكمالات العقلية والفكرية، وما هو بين ذكرها في الغايات كونها تشكل غايات التربية في كل فترة زمنية خاصة بحياة الإنسان، وتعتبر كمال هذه الفترة وأفضل تربية لها (مصطفى، ١٩٩٢، ٢٣)

سابعاً- كمالات الإنسان:

بحسب ما توصلت إليه دراسة زرواق (٢٠١٧)، أن كل متوحد يمر بسلم الارتقاء من النقص إلى الارتقاء نحو الكمال، وفيما يلي تصنيف للكمالات حسب المراحل العمرية، كما وردت في تدبير المتوحد، وتقسم إلى كمالات سلوكية خلقية، وكمالات فكرية:

٧-١- الكمالات السلوكية الخلقية: وتتعدد إلى ثلاث مراحل أهمها الأخيرة:

٧-١-١- المرحلة الأولى: الطفولة (المرحلة النباتية) وتتميز ب:

- "إنها تمتد من الميلاد إلى أن يتحرك الإنسان بجملته جسده إلى تحقيق ما يشتهي أي إشباع حاجاته" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٥٣).
- المسؤول في هذه الحركة هي النفس الغاذية المشتركة بين الإنسان والحيوان، إي كل ما يتحرك من تلقاء نفسه على حسب وصف ابن باجة، والحركات في هذا السن لا تعد ولا تحصى، بقوله " فإنه ما دام كذلك فإنما يفعل عن النفس الغاذية، وأما ما يوجد له من الحركة والتغير فليس محصورا ولا القول فيه في هذا النحو الذي نقصد ونرى" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٣).
- أن ما يحتاجه الطفل من الصور العقلية لتلبية حاجاته إنما هي عند من يكفله أبا كان أو معلماً، ولذا فإن التوجيه في هذه المرحلة يكون من الكبار الذين يشبعون حاجات الطفل، بقوله "فإن السن الأولى فالصور الروحانية موجودة فيها بهذه الحال بالطبع لكل من يتكفل ابنه" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٤).

٧-١-٢- المرحلة الثانية: الحيوانية وتتميز ب:

- إنها تمتد من وقت ما يتحرك الإنسان ويتوجه إلى ما يشتهيهِ إلى وقت تكون القوى الفكرية والروية.
- إن الإنسان في هذه الفترة يتحرك وينفعل عن النفس البهيمية، وهي تطبع الأفعال بطابع لا اختيار فيها، فهي هنا مسيرة بالجبر، والفعل الاختياري قليل جداً، يقول فيها ابن باجة "وأما حاله من وقت ما يتحرك إلى ما يشتهيهِ، إلى وقت توجد له فيه الروية، فلا اسم له يخصه في لسان العرب متعاطى، اللهم إلا أن يكون ذلك عند أهل العلم بغريب اللسان، فلننقل إليه اسم أقرب الأسنان إليه وهو اليفعة. وبين أنه في هذا الوقت من العمر حيوان فقط، وأنه إنما ينفعل عن النفس البهيمية فقط " (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٣).
- إنها المرحلة التي تكون فيها لدى الطفل صورة جزئية، ومن ثم فالفعل التوجيهي من الكبار لإتمام وإكمال وإنضاج القوى الموجودة لدى الإنسان، فيقول "وأما السن الثانية فقد يوجد لبعضها أيضاً بعض في هذا الزمان، كالدجاج والنعج" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٤)

٧-١-٣- المرحلة الثالثة: الإنسان وتتميز ب:

- إنها تبدأ منذ أن تكون لدى الإنسان الروية.
- إنها مرحلة الاكتمال والاستقلال، ولذا يصبح الإنسان في غير حاجة لمن يكفله لأنه امتلك القوى الفكرية، يقول فيها المؤلف "فأما تمام المدة فلإنسان خاصة" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٤)، وأيضاً يوضح عدم التزام أي أحد بكفالة هذا الإنسان إذ يصبح هو كفيل نفسه مسؤول حر في تصرفاته وإنما كفالة والديه أو غيرهم تكون فقط بسبب محبتهم له، لذلك قد يقع فيها عقوق الوالدين، فيقول " وهذه تختلف بحسب السير كالسيرة الجماعية، فإن الأولاد فيها أحب منهم في سائر السير على التعاون على حفظ المنازل، وفي هذه السير يقع العقوق كثيراً" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٤)

- والباعث على الحركة هنا القوى الفكرية وما يتكون عنها، ومن ثم يصبح الإنسان إنساناً بالفعل ويمارس فيها كامل استقلاله وإرادته واختياره ، يقول فيها "وأما من تنشأ لديه الروية فعند ذلك هو إنسان بالإطلاق ومكتف بنفسه، وليس بالضرورة إلى من يكفله" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٤).

وهنا مجموعة من الملاحظات العامة يقررها ابن باجة وهي جديرة بالاهتمام وهي:

- أن كل مرحلة من هذه المراحل هي توطئة لما بعدها ومقدمة لها بمعنى أن هذه المراحل متكاملة مع بعضها البعض "بين أن كل حال في سن ما فهي توطئة لما بعدها وخادم لها. فإذا فعل فقد صير التوطئة غاية، والغاية كالتوطئة، والرئيس مرؤوسا والمرؤوس رئيساً" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٥).

- أن لكل مرحلة أفعالها الخاصة بها التي يجب أن تبدو على أصحابها، ليكون الشخص طبيعياً، فيقول "ولذلك يستقبح على الشيخ التصابي للتباعد ما بين السنين، إذ بينهما سن الكهل، ولذلك يستحسن من المحتملين اللعب بالسلاح لأنه بحال الجد، ويستحسن من الشباب المرح والهزل واللعب، لأنها أول الأفعال القائمة على الروية، إذ ذلك متوسط بين اللعب والجد، ومن الكهول البر والتودد، إذ ذلك هو الحد في المرح والهزل، ويستحسن من الشيخ جودة الرأي وجودة المشورة والحكمة والعقل ، وبالجملّة الفضائل النطقية" (المرجع نفسه ، ١٩٩٤، ٥٥).

- وإذا تقدم فعل من هذه الأفعال في غير السن التي تظهر فيها فإن هذا يعتبر شيئاً عارضاً، وكما يلاحظ، فإن الإنسان يكون إنساناً حين تكتمل قواه الفكرية، وتكون أفعاله الاختيارية تامة، والتربية هنا ذات دور واضح، إذ يجب أن ترى مراحل العمر وخصائصها، وأن تركز على العقل وتعتني بالممارسة الحرة في اتخاذ القرارات فتلك هي الفضيلة، أما اتخاذ الشيء العارض من الفضيلة مهما كان فهذا من أعظم درجات الفساد داخل المدينة، فيقول "فبين أنهم يظهرون ذلك من غير أن يكونوا أهلاً له، وهذا إذا اتفق أن يكون مما تظن به الفضيلة ويتقبل في المدينة، كان أعظم درجات الفساد فيها قوة" (المرجع نفسه ، ١٩٩٤، ٥٦).

- تكامل هذه المراحل (طفل، شاب، كهل، شيخ) سوف يوصل الشخص في النهاية إلى جزيرة السعداء، حيث يعد هذا هو اللائق به، فيقول "وفي هذا السن الإنسان يبلي، ولذلك يجب أن توجد له الحكمة فقط، وهذا هو

اللائق به ولذلك يجعل سقراط صاحب هذا السن إذا كان حكيماً في جزيرة السعداء" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٦).

٧-٢- أما الكمالات الفكرية : بحسب قوله:

"وأما الكمالات الفكرية هي أحوال خاصة بالصور الروحانية الإنسانية لا شركة لغيرها فيها، وذلك صواب الرأي وجودة المشورة وصدق الظن، وكثير من المهن، والقوى التي الإنسان مختص بها، كالخطابة، وقود الجيش، والطب وتدبير المنزل، وغير ذلك. فأما الحكمة فإنها أكمل أحوال الروحانية الإنسانية، إلا عند من لا يعلمها فإنها عند ذلك تجري مجرى هذه، وذلك مثل مرتبة العالم عند الجمهور وهذا الكمال يوجد للعلم بالعرض وبالقصد الثاني، وأما الذي للحكمة فبالذات وعلى قصد الأول وليست أحوالاً لشيء بل هي كمالات بالإطلاق" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٩).

بتحليل مضمون النص السابق يُستبان أشكال الكمالات الفكرية التي هي أحد غايات التربية التي يصل الإنسان إليها وهي كالتالي:

٧-٢-١- صواب الرأي: فلا كمال للرأي غير المعتمد على الصور العقلية، الناتج عن انفعال كما ورد في فقرة الأهداف.

٧-٢-٢- جودة المشورة: يصل إليها الشيخ بعد اكتمال مراحل حياته بالشكل الصحيح حسب فقرة كمالات الإنسان السلوكية.

٧-٢-٣- صدق الظن: يأخذ فيلسوف السعادة الأشياء كما هي حول العالم بالابتعاد عن الباطنية كما ورد في فقرة مراتب الناس

٧-٢-٤- كثير من المهن: حيث كل مهنة تمثل شرفاً فكرياً لصاحبها إذا حاول الوصول إلى أفضل ما صنع لأجله وهذا ما يليق به

٧-٢-٥- الخطابة: وهي نوع من القوى التي ولد بها فهي موهبة تختص صاحبها بنوع من الكمال الفكري حيث يستطيع التأثير بمن يسمعه.

٧-٢-٦- قود الجيش: أيضا قوة فطرية فليس لضعيف الشخصية او العاطفي القدرة على قيادة الجيوش مما يجعلها في مرتبة الكمالات الفكرية.

٧-٢-٧- الطب: على الرغم من أن المدينة الفاصلة لا تحتاج إلى قاضٍ أو طبيب، إلا أن المدن على الأرض جميعها ناقصة بالتالي تحتاج إلى أطباء، وكل ما زاد النقص فيها احتاجت إلى عدد أكبر، وهنا يدرج ابن باجة الطبيب في مرتبة عالية مع الكمالات لما لهذه المهنة شأن في المدن.

٧-٢-٨- تدبير المنزل: وهذه مسؤولية كبيرة إذ لن ينم المتعلم بشكل سليم في ضل منزل ناقص أو تدبيره غير صحيح

٧-٢-٩- الحكمة: وهي أشرف الكمالات الفكرية إذ ان الحكيم هو غاية المتوحد.

ثامناً- مراتب العلوم (المناهج):

ويشير المنهاج إلى المادة المتعلمة ولم يقرها ابن باجة صراحة، ولكن يمكن القول إنه أشار إليها عن طريق وصف الصور الروحانية، والتي تمثل ما يدخل الفكر ويكتسبه المتعلم. بحسب الأساس المعرفي فإن المعرفة عند ابن باجة حسية تجريبية، تعتمد على عناصر الحس الخارجي وعلى عمليات العقل الداخلية. وإذا نُظر إلى مثالية ابن باجة فإنه ككل المثاليين يسعى إلى تغذية العقل بالإنهيات والفلكيات وعلوم النفس والطبيعة وما وراءها والرياضيات كونها رياضة العقل وللحصول على المنهاج، ستحلل الصور الروحانية من جهة، واعتماد اكتساب المادة من جهة.

٨-١- يقول ابن باجة : "كل علم على ما يقول أرسطو_ حسن جميل غير أن بعضه أشرف من بعض، وقد عدت مواضيع شرف العلوم في مواضع كثيرة، والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية، بأنواع

الشرف كلها. أيضا فإن كل علم مضطر إلى علم النفس، فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس" (ابن باجة، ١٩٩٢، ٢٩)،

٨-٢- المعلومات المظنونة: بقوله "واما الصور الروحانية الكاذبة، فما لم يكن له وجود إما أن لا يكون موضوعه موجودا، كما في الامثال، أو يكون موضوعه موجودا، غير أنه ليس فيه ذلك المحمول، والمحمول في الكاذبة إما أنه لا يمكن مثال ما كانت تحكيه العرب عن زرقاء اليمامة وتأبط شرا، وما تحكيه النصارى عن قوم بينون الهياكل بأسمائهم، من أنهم قتلوا ثم حيوا ثم أحرقوا ثم أحيوا وهذا يرون أنه أمر إلهي. واما ما حكته العرب فإنه من الظن وأما أن يكون ممكنا في الحقيقة مثال ذلك أن يكون زيد وهو غير نحوي نحويا، وإما لا يكون، فإن النحو يكون ممكنا في إنسان ما غير أنه لم يعلمه، فيظن انه نحوي" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٢٧)

بالمقارنة بالمنهاج الحديث هذا يطابق مادة التاريخ والأدب الخاص بكل أمة، "وذلك إما أن تكون سير الامة حفظ الاقاويل الموروثة فيصف الشاعر ذلك ويتداوله الناس" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٤٥)، والبين في الوصف السابق، أن المتعلم لا يمكنه اختبار مدى صدق هذه المعرفة أو المادة المتعلمة، ولا يمكنه تجربتها، فقد تكون حقيقية أو ليست كذلك، ولكنه يعرفها ويتعلمها كونها موجودة في المجتمع، والظاهر اطلاع ابن باجة على حيز كبير من التاريخ والأدب، بسبب كثرة شواهد في أثناء الكلام في كتابه، للتشبيه أو لتوضيح الصور.

٨-٣- المعلومات اليقينية: "وأما اليقينية من محمولات الصور الخاصة، فهي المحمولات التي توجد أشخاصها في الصور الجسمانية، ولذلك تدرك بالحس. فهذه ضرورة يجب ان تمر بالحس المشترك. فمن هذه ما يكتفي في اليقين به بحاسة واحدة، وهو ما كان محسوسا لحاسة خاصة كاللون للبصر، والصوت للسمع، وسائر ما قيل في الحس والمحسوس من الأحوال التي هي ضرورية في ذلك" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٢٨)، هذا مطابق للعلم النظري حيث تهتم العلوم النظرية بالتجريب لاثبات مدى صحتها، أمثال الرياضيات والفلكيات، وبعض الأجزاء النظرية من العلوم الطبيعية التي يكتفى بمعرفتها، ومن ثم تثبيتها.

٨-٤- المعلومات اليقينية التجريبية: "ومنها المحسوسات المشتركة فلا يكتفى في اليقين بها بحاسة واحدة حتى تتعاون عليها الحواس. وربما احتيج إلى القوة الفكرية في ذلك. مثال ذلك هذا حي، فإنه لا يكتفى فيه بالنظر دون

اللمس فإنه قد يكون مغشياً عليه، ودون القوة الفكرية في أن هذا المرء حي قد يكون به انطباق العروق فلا يتنفس ويعدم جميع الأفعال الحيوانية، وإنما بقي من أفعال الحي ما ندركه باللمس غير أنها لا يفيد اليقين فيه، فتستعين القوة الفكرية بأشياء أخر تحس فيه، مثال ذلك أن يفصد فيخرج منه دم حار. ومثل أن تجعل صوفة أو مرآة عند فيه فيظهر فيها رشح التنفس، فإن التنفس قد يكون من الخفاء بحيث لا تدركه الحواس" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٢٨)، بحسب ابن باجة هناك صنف أخر من العلوم بحاجة إلى التجريب حتى يتم الجزم فيه وهو ما يطابق الفيزياء والكيمياء والعلوم التجريبية والميدانية، وهنا يدخل الطب وكافة المهن المتعلمة، وتكتسب المادة المتعلمة بحسب العمليات العقلية الداخلية

٨-٥- التربية الخلقية: إذ أن تدبير المتوحد يقوم على الاخلاق وعلى كمال الأخلاق، لذلك حث ابن باجة دوماً المتوحد على تعلم الأخلاق، وجعل التدبير الصادق أفضل أنواع التدبير، بقوله "إنما نقصد التدبير الصادق، لأنه أفضل التدبير ولأنه قد يمكن ان ينال المتوحد السعادة الذاتية به. إنما يدخل في إنالة السعادة أهل المدن، ولكن لا بكذب البحث بل بكذب الألغاز" (المرجع نفسه، ٣١)، "والفضائل الشكلية كالسخاء والنجدة والألفة وحسن المعاشرة والرفق والتودد والأمانة والفضائل المظنونة كاليسار وإفراط الغيرة والأنفة" (المرجع نفسه، ٤٣) بعد اهتمام ابن باجة بالفضائل الفكرية، ذكر بعض الأخلاق التي يجب تعليمها للمتوحد حتى ينال شرفه في هذا الحياة، وتعتبر كلمة شرف الانسان عنده عن ما يلزم الشخص ليعيش به حياته الطبيعية، وليكون في مستوى الإنسانية بعيداً عن النفس البهيمية، وهذا يتعلق بالأساس الثاني للتربية وهو الأساس الأخلاقي الذي ركز عليه ابن باجة في الطرائق من جهة وفي المحتوى من جهة ، وكمعيار للسلوك الشريف.

٨-٦- الثقافة: بقوله "فلذلك يشترط في هذه أن تكون مرت بالحس المشترك، فأما ما كان صادقاً ولم يمر بالحس المشترك فقد مر بالحس المشترك ما يقوم مقامه، وهو اسمه أو ما دل عليه ومر بالمصورة واستقر في الذكر، وهذه قد تكون صادقة كامرئ القيس وقد تكون كاذبة ككيلة ودمنة، وهذا إنما يوجد في الاخبار الموضوعة." (المرجع نفسه، ٢٤)، وعلى ما بان من المعنى أن أحد المحتويات المفيدة للمتعلم هو الأخبار الموضوعة، وهي الثقافة السائدة في البلد والمتداولة، وقد تكون صادقة أو كاذبة، إنما يجب على المتوحد معرفتها.

٨-٧- الدين: بقوله " وقد يكون صنف آخر لم يمر بالحس المشترك شخصه ولا اسمه ولا ما يدل عليه، وقد يكون من قبل العقل وبتوسط القوة الناطقة، ولا سيما في الأمور المستقبلية التي هي بالقوة وذلك في الرؤيا الصادقة وفي الكهانات التي تذكر، وهذه فلا تكون باختيار إنسان ولا له في وجودها أثر يدخل في العقل " (المرجع نفسه، ٢٥)، والمقصود هنا الدين والوحي الإلهي.

من جهة أخرى : قد تصنف المعرفة المكتسبة أو هذا المحتوى (الصور الروحانية الخاصة)، والمقصود منها المعرفة الخاصة بكل فرد على حدة حسب طرق اكتسابها، ولما كانت الطريقة المثلى عند ابن باجة هي التعلم الذاتي، جاءت هذه التصنيفات من طريقة حصوله على العلم، أي أن المتوحد لا يقف عند محتوى معين يتعلمه، ويقسمها ابن باجة كالتالي:

"إما أن تكون مرت بالحس المشترك أولاً، أو تكون استفادتها لامست الحس، فلنلخص أولاً عن طريق الرسم المفيد لها. والمفيد للصور الروحانية الخاصة للإفادة العامة أربعة أصناف":

- ١- "أشهرها كلها الحواس، وذلك بين بنفسه" المعرفة عن طريق الحواس
- ٢- "والثاني الطبيعة، فإن العطشان يجد في نفسه صورة روحانية للماء والجائع للطعام وكذلك سائرهما، وما يجري مجرى الطبيعة، كالعاشق والمعشوق، وبالجمل فالمشوق للمتشوق" وهنا تدخل المعرفة السببية، حيث بوجود السبب لزمّت معرفة الأحوال المتعلقة أو التابعة لهذا السبب.
- ٣- " والثالث الفكر، كالصورة الروحانية المستنبطة بفكر وروية" وهنا تدخل جميع المعارف الخاصة بالتأمل العقلي وطريقة المنطق، وربما يدخل القضاء بهذا المجال.
- ٤- والرابع العقل الفاعل وهي كالصورة المستنبطة لا بفكر ولا بروية، وفي هذا الصنف تدخل الإلهامات والرؤيا الصادقة" وهذه أعلى الدرجات في المعرفة،

فالمتموحد بعد وصوله للسعادة مع ذاته العقلية يلتحم مع العقل الفعال وينهل منه المعرفة، من دون براهين وحجج وإثباتات^{٤٣}.

بتحليل فقرة المنهاج يقترب ابن باجة في المادة المتعلمة من أرسطو في الواقعية والتجريب، كما يحافظ على مثاليته، في كم المواد المتعلمة ونوعها، فتقريباً يهتم ابن باجة بمعرفة كافة الأمور في الحياة، ومصدر المعرفة هو نشاط المتعلم العقلي.

أما المواد المتعلمة فلا يبدو أنها ثابتة، إذ أن ابن باجة لديه مبدأ التغيير والحداثة في التربية كما ورد، فما هو صالح في زمن ليس بالضرورة أن يصلح لزمن آخر.

تاسعاً- طرائق التربية:

وأساسها التعلم الذاتي، فالمتعلم وحيد في قواه العقلية، لذا هو من يسعى لكسب المعرفة وهو من يسعى لتدبير ذاته ومحاولة الوصول إلى النموذج الأفضل بحسب ما ورد، لذا كافة الطرق المستتبطة من تدبير المتموحد، إنما تعتمد على التعلم الذاتي ولها المحددات الآتية:

١. الاهتمام بتكوين المدركات الحسية، ولكن يجب عدم الوقوف عندها. وهذه هي أداة تعلم العلوم العملية والرياضية، ولا يستغني عنها في العلوم الطبيعية، فالعالم الطبيعي يدرك المعقولات من حيث هي معقولات بحد ذاتها، بل من حيث لها وجود طبيعي. ومعنى هذا البدء والاهتمام بالتربية الحسية أساساً لأنها المنطلق الأساسي في الطريقة.

٢. الاهتمام بإدراك جميع المعقولات من حيث كونها أحد موجودات العالم وينبغي أن نشير إلى مبادئ هامة نستقيها من كلام ابن باجة عامة وهي:

- لا بد من مراعاة التدرج مع مراحل العمر ومع مراتب الناس وأحوالهم.
- ينبغي مراعاة الفروق الفردية في الطريقة والتعلم.

^{٤٣} وجميع ما ورد من نصوص في الفقرة موجودة في تدبير المتموحد (١٩٩٤)، ص: ٧١، حيث تم تقسيمها إلى تعدادات فقط للتوضيح

- مراعاة النضج ومستواه.
- الاعتماد على التعليم ونشاطه الذاتي وفكرته عن نفسه (مصطفى، ١٩٩٢، ٣٨).

أما بعض هذه الطرائق كالتالي:

٩-١- طريقة المناقشة اعتمادا على تعدد الآراء: حيث يدعو ابن باجة إلى اتخاذ طريقة المناقشة على أنها طريقة أساسية ليعرف الإنسان الخطأ من الصواب، والكذب من الصدق، ويجعلها شرطا أساسيا للعيش في المدينة الفاضلة، بقوله "فإنه قد يمكن أن يحل هناك بعمل فيهندي إليه بالطبع إنسان أو يتعلمه من إنسان آخر، فيعلمه أو يكون هناك رأي كاذب فيشعر بكذبه إنسان ما، أو يكون فيه علوم مغلطة لا يعتقدون في شيء منها، أو في أكثرها ما فيها أحد المتناقضين، فيقع الإنسان بالطبع أو بتعلمه من غيره على صادق المتناقضين" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ١٢).

٩-٢- التربية الفردية: في قراءة الكتاب يظهر بوضوح حتى في عنوانه اهتمام ابن باجة بالمتعلم المفرد، وتدبيره وحده حتى وإن كان هدفه الارتقاء بالجماعة، وتحقيق أفضل وجود اجتماعي له داخل المدينة، ومعنى ذلك عدم إيمان أو تطرق ابن باجة للعمل الجماعي وحصره في إطارات ضيقة بعيدا عن طرق المجموعات الكبرى، بقوله "وكان السعداء إن أمكن وجودهم في هذه المدن فإنما يكون لهم سعادة المفرد، وصواب التدبير إنما يكون تدبير المفرد، سواء كان المفرد واحدا أو أكثر من واحد ما لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة" (المرجع السابق، ١٩٩٤، ٤٣).

٩-٣- سبب العمل: ربما عمد ابن باجة دوما إلى تبيان سبب فعل الفعل، وهذا ما يدعم ويعزز استخدام هذا الفعل أي أن ابن باجة ابتعد عن التقليد الاعمى والمحاكاة، وحل محلها المحاكمة العقلية في كافة أمور الحياة، بالتالي معرفة سبب الفعل وتعزيزه سيؤدي إلى تعلم هذا الفعل، وكما ذكر في فقرة العلم، فسينتج عن ذلك اللذة الموافقة لهذا الفعل وفي نتيجة تبيان السبب تصنف الأفعال عنده إلى أفعال بهيمية وإنسانية وإلهية أيضا، بقوله "ومثل من يكسر حجرا ضربه أو عودا خدشه لأنه خدشه فقط، وهذه كلها أفعال بهيمية فأما من يكسره لئلا يخدش غيره أو

عن روية، توجب كسره فذلك فعل إنساني"، "وأما من يفعل الفعل لأجل الرأي والصواب، ولا يلتفت إلى النفس البهيمية، ولأما يحدث فيها، فذلك الإنسان أخلق أن يكون فعله إلهيا من أن يكون إنسانيا" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ١٨).

٩-٤- القياس: بقوله "فالحس يوقع اليقين في الصور الخاصة وقد يوقعه القياس. مثال ذلك هذا حائط مبني فله بان. غير أن القياس يوقع صورة الشيء الروحانية الفكرية فلذلك تقع في الحس المشترك على خلاف ما كانت عليه، أوهي عليه من التشكيلات التي يدركها الحس منها" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٢٨)، بالتالي من إحدى طرق التعلم التي حث عليها ابن باجة الاستنتاج أو كما سماها القياس، حيث يدرك المتعلم العلة أو السبب من وراء الشيء وهذه من علامات نبوت المتوحد

٩-٥- البحث العلمي: حيث أكد ابن باجة على هذه الطريقة للوصول إلى الأفعال الإنسانية التي تليق بالمتوحد داخل المجتمع، ودعاه إلى اعمار العقل والأخذ بالأفكار العقلية وجعلها سبباً لأي فعل بعيداً عن الشهوات، أو ما سماه هو الأفعال البهيمية، بقوله "والروية والبحث والاستدلال وبالجملّة الفكرة تستعمل في نيل كل واحد منها، فإن لم تستعمل الفكرة كان هذا الفعل بهيميا" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٥٧).

٩-٦- تدرج المعرفة: حسب الدوافع لا تأتي المعرفة بشكل فوري، إنما بالتدرج وهذا أشبه بالطريقة الاستقرائية، فحين تأتي الفكرة يتحرك الخيال كي يدرك هذه الفكرة في الحس المشترك، فيأتي بالصورة المادية وهذا ما يولد الرغبة ويتحرك الجسد كي ينفذ الفكرة، ولكن الخيال والقوة الأخرى المرتبطة بالجسد ليست سوى قوة جسدية، وهنا يحتاج الفكر إلى جميع طاقاته كي يستطيع أن يدرك أن كل ما هو مفارق للمادة منفصل عنها، أي العقل المكتسب ولكن كيف يمكن للمتعلم أن يوحد بين المادة الحقيقية والصورة المتخيلة؟

يشير ابن باجة إلى وجود عامل التصاق كل مادة بصورتها، والطبيعة لا تفعل شيئاً عبثاً لذلك فيها دوماً غاية، هي سبب قيام مثل هذا الاتحاد، والقانون الطبيعي يدفع الإنسان إلى البحث عن هذه الغاية، وإلى الرغبة فيها ويستمر بذلك إلى أن يتطور ويصل إلى الصورة الخالية من المادة، مفارقة وهي علة بذاتها، وهذا هو بالضبط العقل الفعال، وفي العموم تراعي طرق التربية مراحل تطور الإنسان في كمالته (مصطفى، ١٩٩٢، ٣٩).

٩-٧- الاستنباط: وإما أن يكون بفكرة موجودة مشروحة أو مقروءة أو مكتوبة أو بإلهام فكري معين نتيجة شيء، بقوله " وهذه تخص الإنسان فقط، فلا توجد لغيره. وهذه إما أن يكون بفكرة، كما يعرض ذلك كثيرا وتخص باسم الاستنباط ومنها ما يوجد دفعة، ويسمى الإلهام " (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٦٧).

٩-٨- المنطق: تعريفه بحسب ابن خلدون نقلا عن شمس الدين، كون ابن باجة لم يعرفه صراحة، هو عبارة عن قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد، في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات، وبهذه القوانين ينطلق الفكر الإنساني من الجزئيات إلى الكليات وبه يتميز الإنسان عن الحيوان (شمس الدين، ١٩٨٤، ٤٣)، وبحسب ما ذكر مسبقا في فقرات الرسالة، فقد اعتمد ابن باجة المنطق للوصول إلى الحقائق.

٩-١٠- التحليل والتركيب: كما مر في فقرة سابقة علل الموجودات، فإن قبيل معرفة الشيء أو الموجود يجب أن يحلله المرء إلى عناصره التي تعطي معلومات وافية له، ويقصد هنا المادة والفاعل فيه والغاية منه والصورة الأصلية له، ثم إعادة جمع هذه المعلومات في إطار تركيبى كي يصل المتعلم إلى التصور والتصديق وهما وظيفة الفكر الأصلية كما ورد.

عاشراً- المتعلم:

ويعتبر المتوحد عند ابن باجة هو نموذج المتعلم لذلك تنتج خصائص المتعلم بحسب ما يلي:

١٠-١- الاغتراب الفكري: هي الخاصية التي اشتهر بها نموذج ابن باجة، وجعلها أساساً لما تقدم في حياته، لذلك أثرت الباحثة ذكرها ضمن خصائص المتعلم، حيث يعاني من وحدة فكرية بما توصل إليه من نتائج عقلية فهو يستخدم عقله في نقاشه مع الآخرين يتعلم ويكتسب، حتى إذا وقع على الغلط أخذ النقيض مما يجعله يعاكس تيار المدينة، وأكد بن باجة على وجود مثل هذه الوحدة الفكرية عند النوابت وربما يعود ذلك بسبب الحقبة الزمنية المليئة بالصراعات والتي عاشها ابن باجة، أو ربما وجد نفسه بين عدة تيارات مختلفة لم يمثل أي منها ما يدعو إليه، أو بالعودة إلى الفصل الأول يظهر أن ابن باجة عاش حياة من الرخاء المادي مع الافتقار للعلوم الفلسفية ونماذج التربية المختلفة، وسناقش مفهوم الاغتراب الفكري في إطار آخر، أما في وصفه للمتوحد: " وكل ما

كانت معتقداتهم أكثر وأعظم موقعا، كان هذا الاسم أوقع عليهم وهذا الاسم يقال خصوصا او قد يقال عموما على من هو يرى غير رأي المدينة كيف كان صادقا او كاذبا، ونقل إليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع، فلنخص نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ١٢)، "لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، فهم غرباء في آرائهم قد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان ، إلى سائر ما يقولونه" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ١٣).

١٠-٢- قدرته على الاختيار: ليس خفياً أن كل إنسان يحاسب على أفعاله بعد نمو قواه العقلية، لذلك له القدرة على اختيار ما يريد من الأفعال، وبالتالي هو مسؤول عنها، بقوله "وكل ما يوجد للإنسان بالطبع ويختص به من الأفعال فهي باختيار، وكل فعل يوجد للإنسان باختيار فلا يوجد لغيره من أنواع الأجسام، والأفعال الإنسانية الخاصة به هي ما يكون باختياره، فكل ما يفعله الإنسان باختيار فهو فعل إنساني" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ١٦).

١٠-٣- فاضل بالفضائل الشكلية: حسب فقرة الفضيلة عند ابن باجة يوجد فضائل تلقائية أو شكلية، يجب أن يختص بها المتوحد وحين تعليمه وتربيته تكون الأساس حتى لا يحصل تعارض بين العقل والرغبة، فتفسد بذلك التربية لذلك من الضروري أن يكون فاضلاً، وقال "فإن الفضائل الشكلية إنما هي أمر النفس البهيمية، ولذلك كان الإنسان إلهياً بالضرورة فاضلاً بالفضائل الشكلية. فإن لم يكن فاضلاً بهذه الفضائل وخالفت النفس البهيمية فيه العقل. كان ذلك الفعل إما ناقصاً أو مخروماً أو لم يكن أصلاً وكان ذلك الفعل مكرهاً وكان عسيراً عليه، لأن النفس البهيمية سامعة مطيعة للنفس الناطقة" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ١٩).

١٠-٤- قوى المتعلم: كل متعلم له ست أنواع من القوى متدرجة حسب أهميتها، "أولها القوة الفكرية والثانية القوى الروحانية الثلاث، والثالثة القوة الحساسة والرابعة القوة المولدة والخامسة القوة الغاذية وما يعد معها والسادسة القوة الاقسطسية" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٣٤)، حيث تعتبر أدنى المراتب هي الاقسطسية وهي القوى التي يولد فيها الانسان ليعيش حياته البهيمية، ويلبي متطلباته وتدخل معها الغاذية والمولدة، ثم يرتقي إلى الإنسانية عن طريق القوى الحساسة، وبعدها بمرتبة قوى الروحانية كقوة التخيل والذاكرة، ثم أعلاها مرتبة الفكر أو القوة الناطقة، كما عبر عنها بمواقف أخرى.

الحادي عشر - المعلم:

لم يسجل تدبير المتوحد أي خصائص خاصة بالمعلم، إنما أشار إليه فقط في كمالات الإنسان في عمر الطفولة يحتاج الطفل إلى كفيل له، ربما والده أو شخص آخر، ولكن لم يصرح صراحة حول المعلم، ربما يعزى ذلك إلى اهتمام ابن باجة بالتربية الفردية والتعلم الذاتي، حيث يلقي مهمة التعليم على المتعلم نفسه، ويهتم بتنمية خصائصه عبر الاستنباط والبحث والاستدلال من جهة، وعبر المناقشة والحوار من جهة أخرى، كما يدعو إلى استخدام القياس واعداد العقل.

اذن لا يوجد تصريح لابن باجة عن شخص المعلم، ولم يتخذ ابن باجة الطبيعة كمعلم كما عند روسو أو كما عمقه ابن طفيل، بل جعل احتكاكه بالآخرين هو الأساس في تعلمه حسب فقرة طرائق التربية، بالتالي المعلم عند ابن باجة مبهم غير محدد متمثل في محيط المتوحد (أشخاص المدن الناقصة) الذي يتفاعل معهم من جهة، ومصاحبه لأهل العلوم من جهة أخرى، يجعله يتعلم الكثير من المعرفة.

كون المتوحد عند ابن باجة هو معلم ذاته، فيجب أن يتحلى بالأخلاق وأن يكون قدوة حسنة لنفسه وللآخرين، كما أن تعلمه الذاتي لا يتوقف عند أي حدود، بالتالي المعلم والمتعلم هو شخص واحد يحفز نفسه للمعرفة واكتسابها، ويشعر باللذة في اكتسابه للمعارف، ثم يقوم بنقل هذه المعرفة للآخرين حوله، عبر أفعاله ومناقشاته، وبحسب ما ورد في حياة ابن باجة فقد خاض الكثير من المناقشات العلمية، وكان يرسل العلماء والأطباء على الدوام، يكتسب العلم ويقوم بنقله.

الثاني عشر - التقويم:

ويقوم التقويم على مرتكزات متعددة:

١. تقويم حسب السبب: حيث يعتبر ابن باجة الفعل الذي يحقق الغاية الذي وضع لأجلها هو العمل الحقيقي والصحيح، بينما كل ما هو خارج عنه وأزيد من الحاجة إليه يعتبر سخافة لا قيمة لها، بالتالي يقيم الفعل حسب غاية الفعل، ويعبر عن ذلك بقوله :

"فما كان من هذه ضروريا فهو مشترك، وما كان أزيد من الضروري مثل التأنيق في أصناف المطاعم والروائح، وبالجمله فما كان المطلوب منه الالتذاذ فقط فهو جسماني محض وفي هذه يدخل السكر ولعب الشطرنج والصيد للالتذاذ، ومن جعل هذه وكده فهو جسماني محض وهذا الصنف قليل في الناس وعلى أمثال هؤلاء ينقطع ثبوت شرف الإنسان" (المرجع السابق، ١٩٩٤، ٤٠).

٢. إذا قيس شيء على شيء، فليس بالضرورة أن يكون هذا الشيء موحداً بين جميع المتعلمين، "وبالجمله بالقياس. فإن القياس لا يفعل أبداً بل إنما يفعل في إنسان ما وقتاً ما وفي إنسان آخر لا يفعل شيئاً أصلاً، كما يعرض ذلك في البرهان وفي سائر الأقيسة وأكثر ما يوجد ذلك في القياسات المؤلفة عن المعقولات" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٧٠).

٣. حركات الأعين: ينتقل ابن باجة هنا إلى دراسة الحكماء في كشف خصائص المتعلم، ومدى فهمه للمادة المتعلمة، حيث يستطيع المعلم من خلال النظر في وجه الطفل، معرفة تأثيرات الدرس النفسية عليه من خلال الاعين، وحسب ما يورد في تدبير المتوحد "ولكثره الأحوال الروحانية الموجودة للصورة المحسوسة في النيل، يكره حركات العين وتحديقاته كأنه ينظر إلى واحد واحد منها لأن التحديقات تعادل إخطارات هذه الأحوال الروحانية" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٧٨).

وفي الحالة الأولى يكون المتعلم ذكياً حذقاً قادراً تكثر حركات الحدقة في عينيه وتكون أسرع، وكلما كانت حدقات عينيه ألطف في التحرك كان أكثر فهماً وروية، بينما يكون البليد ساكن تماماً عيناه أقرب للثبات، وكأنه لم يفهم شيئاً من المادة المتعلمة، تكون أحداقه بطيئة الحركة، وكأن صورة المادة المتعلمة لم تتشكل في عقله بعد، أو أنها تشكلت بشكل خاطئ إذ أنها تتفاوت من حيث قوتها في العقل المدرك، ما يترك أثر في أعين

المتعلمين، وبوصفه "ولذلك النبيل كثير تحرك الحدة غير متواترها والبليد ساكن، والعجول كثير حركة الحدة ومتواترها سريعها،

ولذلك وضع اهل الفراسة سرعة حرك العين علامة القليل الثبات. وإنما هذان الغرضان، أعني سرعة حركة العين وكثرتها، وسرعة القلب تابعان لشيء واحد: وهو أن الصور الروحانية سواء كانت محسوسة أو كيف كانت، كثرت روحانيتها، وهي التي بها يكون الشبه، فتكثر الحركات. ولأن هذا لا يرى، فنحكم على كل صورة بما يجب لها. لذلك يسرع التنقل لرؤية جميع المشاكلات التي فيها، ولا سيما الغامضة. والجيد الروية روحانيته تكثر عن الصورة المدسوسة، فتكثر تحديقاته فيعادلها حركات حدقته، ولأنه يروي فهو يلبث مع الصورة زمنا محسوسا، ولذلك تتفاوت التحديات.

وكلما كان ألطف أحداً فاما كان أسرع حركة، وكلما كان أجود روية كان التفاوت أكثر. ولذلك يوجد للإنسان المطبوع على الفكرة البرهانية كثير حركة العين كبير أصناف التفاوت بين حركات حدقته، ويكثر التفاوت ويطول، فلا ينتظم فيه التفاوت ولا التواتر. وما أحسن ما فعله أهل الفراسة حين أخذوا من العين العلامات الدالة على الأفعال النفسانية، لاسيما على الأفعال التي نسبت إلى القوى التي بها يكون الإدراك" (المرجع نفسه، ١٩٩٤، ٧٨).

الثالث عشر- اسقاط المضامين التربوية على الأركان الحديثة للتربية من خلال تجربة ابن باجة:

١٣-١- إن فكر ابن باجة التربوي يقوم على خط التوازي بين الفرد والمجتمع، حيث يعتمد الفرد على قدراته الخاصة ويتعرف على نفسه من جهة، ويقدم أفضل ما يمكن أن يقدمه للمجتمع، وهذا المفهوم يقابل التربية الوطنية بحسب الشماس

حيث يقول الشّـماس: تكمن أهمية التربية الوطنية في معرفة ما يدور حولنا، وما يوجد داخلنا من قدرات وإمكانات عملية وديموقراطية، وأيضا معرفة ما هو المطلوب تقديمه للمجتمع أي ما هي واجبات الشخص تجاه مجتمعه (الشماس، ٢٠٠٨، ٥٩)

١٣-٢- إن أبرز ما يميز فكر ابن باجة هو التعلم الذاتي إذ يركز بن الصائغ كثيرا على شخص المتعلم وإعمار عقله بالتجارب، والتطبيق العملي، وهذا ما يقابل اللبنة الأساسية للتعليم المدرسي الحديث، حيث تركز الخطط التربوية الحديثة على المتعلم وشخصه وعلى نشاطه في كسب المعارف

١٣-٣- جعل ابن باجة إعمار العقل هي الغاية الجوهرية للتعلم، أي أن المتوحد يخدم المجتمع، ولكنه يسعى لإعمار عقله الداخل وكأن العملية التربوية تنصب في غايتها على المتعلم نفسه، وهذا ما يقابل الغاية الحديثة للتربية وهي الإنسان

حيث يتجلى دور التربية في إكساب الفرد خبرات اجتماعية، ضمان النمو للفرد، شمولها على كافة مناحي الحياة، كما تسعى التربية إلى إكساب الفرد القيم والاتجاهات المسهمة في إحداث التغير وتقبل نتائجه، فالمتوحد عند ابن باجة لا يثور على المجتمع إنما لا يقبل بالرأي الخاطئ، ويسعى إلى الوصول للمدينة الفاضلة من خلال قيمه وأخلاقه ويركز أن يكون قدوة في سلوكه المترن

١٣-٤- ربط العلم بالعمل: بدسب ابن باجة أن العلم أ ساسه العمل، ومن دون قرينة عملية تبقى الأقوال بلا فائدة، كما أن العمل يجب أن يكون مسخرأ لخدمة العلم والمعرفة وهذا المبدأ أحد مبادئ التربية الحديثة، إذ تقوم التربية الـ صفية على تدعيم الأد شطة وتكثيفها ب شكل أكبر من التلقين النظري، ومحاولة التجريب قدر الإمكان للوصول إلى المعلومة

١٣-٥- تركز منظمة ابن باجة التربوية على الأخلاق وعلى التربية القيمية وإن كانت تعتمد على العقل، وليس عن طريق التلقين، ولكنه يركز على الاخلاق في بناء الإنسان وهذا ما يقابل تحمل التربية المسؤولية في حل الأزمات القيمية التي يعاني منها المتعلم ب شكل خاص والمجتمع ب شكل عام، كونها في الأساس تسعى لغرس القيم، وتحمل الفرد مسؤولية أعماله

١٣-٦- الحداثة في التربية: رأى ابن باجة منذ العصور الوسطى أن ما يـصح في مكان وفي سيرة معينة قد يصبح غير صحيح وغير صالح في مكان آخر وسيرة أخرى، فليس من الضروري أن تكون التربية ثابتة في مكان واحد، بالمقابل في العصر الحديث تعتمد التربية على الحداثة والتطور والتغير ك سنة من سننها، وبكن يبقى هذا التغيير مشبعاً بالقيم المساهمة لهذا التغيير وضبطه وتوجيهه، بحيث يخدم المجتمع والفرد نفسه

١٣-٧- إن التعليم من أجل التفكير هدف من أهداف التربية الحديثة وأن مهمة تطوير قدرة الطالب على التفكير هدف تربوي في مقدمة الأولويات، فلا تعتمد التربية على الحلول الجاهزة إنما على إعمار العقل بأساليب الاستدلال والتبصر والاستنباط، وكافة العمليات العقلية العلية

والقارئ لتدبير المتوحد يرى بوضوح أن ابن باجة جعل أساس عمل وحياة المتوحد إعمار عقله، للوصول إلى الحقيقة والاتصال بالعقل الفعال، وقد حث على استخدام المنطق والاستنباط والاستدلال وعمليات التحليل والتركيب، للوصول لنواتج جديدة

بالعرض السابق تنتهي التطبيقات التربوية المحتملة لفلسفة ابن باجة، متمثلة في تدبير المتوحد وتبدأ فقرة جديدة الفكر التربوي بين ابن باجة وآخرين.

لم يندثر فكر ابن باجة على الرغم من احتراق أغلب مؤلفاته إلا النزر القليل، وقد استمر عن طريق تلاميذه الذين عقبوه على التتالي ابن طفيل، ابن رشد، ابن ميمون، والذين توفوا على التوالي ١١٨٥، ١١٩٨، ١٢٠٤ في حين توفي ابن باجة ١١٣٩، وتتناول هذه الفقرات كيف استمر فكره من خلال تلاميذه من جهة، ونقاطاته مع الآخرين من جهة أخرى، وفي النهاية نقد تحليلي لما سبق.

الرابع عشر - استمرارية فكر ابن باجة:

أ- ابن طفيل:

لأبن طفيل كتاب مشهور وهو رسالة حي بن يقظان، إذ أنه أخذ مفهوم الاغتراب الفكري من ابن باجة وعمقه بشدة حتى توصل إلى العزلة المطلقة وقد تابع معلمه في العقلانية وقال صراحة إنه ألف هذا الكتاب

ليكمل عمل ابن باجة كما أشاد به في بداية رسالته المذكورة، فقد بدأها ابن طفيل رسالته بالرد على سؤال طرح عليه وهذا أسلوب استعمله ابن باجة. وبطل قصته حي بن يقظان استطاع أن يعرف أسرار الكون عن طريق فطرته الفاتقة حيث كانت رفيقته للوصول إلى المعرفة، وهذا ما اعتبره ابن باجة سلفا المواهب الإلهية التي تعطى للبشر، فالمعرفة عند حي حسية فهو يحتاج للتجريب والبحث والتمحيص ليصل إلى حقائق الأمور ثم في نهاية المطاف يلتقي بأحد متوحيدي ابن باجة الهارب من مجتمع فاسد(أسال)، وحين يريد أن يحرر نفسه يأخذ بنصيحة ابن باجة، فيهاجر إلى بلد تزدهر فيه الفلسفة والنظر العقلي، وإن لم يكن ذلك فالاعتزال (الخوني، ٢٢).

ب- ابن رشد:

سار ابن رشد على خطى ابن باجة تماما خصوصا في العقلانية، وأحد اهم المسائل المشتركة فهي مسألة وحدة النفوس، التي قال بها ابن باجة ولجأ إليها ابن رشد. حيث تقوم نظرية ابن باجة على جعل الوحدة تقوم على قمة روحية، تجمع جميع المتوحيدين بفضل علمهم النظري من الاتصال بالعقل الفعال، واكتساب العقل المستفاد الذي هو نعمة وهبة إلهية يمنحها الله لمن يرضى عنهم، ويضيف هنا ابن باجة درجة ثالثة من المعرفة هي هذه النعمة بينما يبقى ابن رشد على درجتين ويلغي الدرجة الثالثة، إذ أنه بالإمكان الاتصال بالعقل الفعال من دون نعمة خارقة، أو دعم كبير أو حتى الحدس وهنا يبقى ابن رشد في إطار العقل البشري الذي يصل إلى العقل الفعال بفضل جهده (فروخ، ١٩٤٥، ٥٢١).

ت- ابن ميمون:

ولد في قرطبة ثم هاجر إلى مصر، ونال شهرة في أوساط الحكم أيام صلاح الدين الأيوبي حيث أصبح طبيبه، كان لاهوتيا يهوديا، غير انه برع في الفلسفة العربية ودبلج كتابه لها بعنوان "دلالة الحائرين" وربما في العنوان مقارنة واضحة من تدبير المتوحد،

على الرغم من أنه لاهوتي كبير إلا أنه شدد على أهمية اتقان العلم وتحكيم العقل، لئلا يقع الباحث ضحية خياله وأوهامه. كما يؤكد ان العلم لم يعط لجميع الناس، بل هو حكر على أصحاب المواهب الطبيعية،

وعلى المستقلين بأنفسهم الذين يسعون للسعادة في ذاتهم لا في الآخرين، وهذه الأفكار ذاتها موجودة لدى نوابت ابن باجة أصحاب الفطرة السليمة الخادمين ذواتهم، متحررين من أهوائهم

يتطابق كلام ابن ميمون حول كمالات الإنسان الأربعة، مع كلام ابن باجة في رسالة الوداع وفي تدبير المتوحد أيضا: حيث تتعلق المرتبة الأولى بالاهتمام بالأمور الدنيوية، وتملك الأشياء والمال وهذه طبقة الملوك، وهذه المقتنيات لا تضيف أي شيء لجوهر الإنسان، إذ أنها خير وهمي متخيل، أما النوع الثاني فهو قوي البنية سليم الصحة يقوم بالأمور الذي أعد لها لكي يقوم بها، وعند كلا الفيلسوفين هاتان المرحلتان في مرتبة الحيوان، أما النوع الثالث فيقوم على الكمال الخلقي، ودوره في حياة اجتماعية سليمة بما يحويه الكمال الخلقي من فضائل شكلية، تحدد بها المعاشرة بين الناس داخل المدينة، وفضائل نفسية كما تم شرحها في قرة الفضيلة، أما الكمال الأخير فهو الكمال العقلي ويعتبر ماهية الإنسان الفعلية وغايته الأخيرة، ويصل به إلى رتبة السعادة الدائمة (غلاب، ١٩٦٦، ٤٣٣).

الخامس عشر- التقاطعات التربوية بين ابن باجة وآخرين:

١- بين ابن باجة والفارابي:

- ذكر الفارابي عن أربع مدن في تصنيفه عرج عليها ابن باجة وخص بالذكر المدن الفاضلة، أما مفهوم النوابت فقد أخذه ابن باجة من الفارابي نفسه حيث ذكرها الأخير على أنه أشواك الحقل، وقد استعمله بالمعنى المجازي كي يدل على جميع الذين يؤدون دورا سلبيًا داخل المدينة. في حين يجعل ابن باجة النوابت أساس كل فلسفة
- كما ان التعقل في المتن للفارابي هو من الكلمات القريبة من التدبير وكلاهما كما ترى الباحثة لفظة تدل على التربية، فيقول الفارابي: "التعقل أنواع كثيرة: منها ما هو بالروية فيما يدبر به أمر المنزل وهو التعقل المنزلي، ومنها ما هو جودة الروية وهو ما يبلغ فيه التعقل المدني، ومنها ما هو جودة الروية فيما هو أفضل في بلوغ جودة المعاش" (الفارابي، ١٩٦٤، ٣٢)، قد تختلف الطرق ما بين الفارابي والمقصود إصلاح المجتمع وابن

باجة المهتم بتدبير الفرد ولكم مبدأ التدبير واحد وهو مأخوذ عن أرسطو، كما يتابع ابن باجة الفارابي في درجات التدبير إلا أنه يهتم بالتدبير الصادق (بيصار، ١٩٦٢، ٨٩).

- أما مفهوم الوحدة فيتقاطع فيه كلا الفيلسوفين حيث ينفي كلا الفيلسوفين انعزال الشخص بشكل تام عن جماعته إنما هو انعزال فكري عن اشخاص لا يوازن المتوحد في تفكيره، فيقول الفارابي "إن أحد معاني الوحدة هو الوجود الخاص الذي ينحاز كل موجود عما سواه، وهي التي بها يقال لكل موجود واحد من جهة ما هو موجود الوجود الذي يخصه" (الفارابي، ١٩٦٤، ٤٥)، بالمقابل يؤكد ابن باجة على ذات الموضوع فيقول "تبين في العلم المدني ان الاعتزال شر كله، لكن هذا إنما هو بالذات واما بالعرض فخير" (ابن باجة، ١٩٩٤، ٩١)، بالتالي العزلة هي امر عارض وضروري كنتاول حبة الدواء يحتاجها المتوحد بين حين وآخر لكي يتدبر نظريا إمكان تكوين أفضل عشرة مع العلماء ولينقذ نفسه من اجتماعات غير الفاضلين في المجتمع، بل إنها طريقه نحو الحصول على السعادة (الخطيب، ١٩٥٥، ٦٣).

٢- بين ابن باجة وابن خلدون:

يبدو أن عزوف ابن خلدون عن مسألة " السياسة المدنية" بوصفها إشكالية حكمية لا تمت إلى قضية العمران البشري بشيء، إنما هو يستفيد بوجه ما من تجربة ابن باجة. وآية ذلك أن ابن خلدون لم يفعل في معرض تنبيهه إلى معنى السياسة المدنية سوى إيضاح ما طرحه ابن باجة بوساطة إشكالية المتوحد، قال في المقدمة "وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وإنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام رأساً" وبالمقابل لا يتكلم ابن باجة عن الحاكم إطلاقاً ولا يعطي نصائح لمتوحد في إطاعة السلطة وغير ذلك، فهو ليس بحاجة إلى قانون يفرض عليه من الآخر، فهو يفعل الخير من تلقاء نفسه لأنه عرف الخير الأعظم (الطويل، ١٩٦٠، ١٦٧).

٣- بين ابن باجة و اكهارت:

عاش اكهارت بين عامي ١٢٦٠ و ١٣٢٧ كتب في الفلسفة الألمانية وبالمقارنة بين كلا الفيلسوفين يجد القارئ أن اكهارت تأثر بابن باجة، أو أن أفكارهما تطابقت بشكل تام حيث كلاهما يدعو إلى الصوفية العقلانية قائمة

في النهاية على الاتصال بالله، مذهب اكهارت يلخص بكلمتين: الأولى هي الانفصال عن كل العالم الخارجي والعيش في وحدة مركزية في القسم الداخلي من النفس لبلوغ النعمة والتقرب من الله، هذه الدعوة للتأمل الداخلي ليست ببعيدة عن ابن باجة واتصال العقل بالإنسان

أما الكلمة الثانية فهي الإرادة، فهي تحسم الموضوع والتردد، وتقول ان هذا التأمل في جوهر الوجود وجوهر النفس البشرية، لا يقوم على عنصر العاطفة إنما على جهد عقلي تاماً، على ما يدعو ابن باجة "النظري" (غلاب، ١٩٦٦، ٤٣٨).

٤- بين ابن باجة وأرسطو:

تأثر ابن باجة بأرسطو كثيراً وشرح العديد من كتبه وذكرها خلال تدبير المتوحد:

برأي أرسطو "الفطنة هي قبل كل شيء استعداد نفسي، ولا يفهم لها معنى بمعزل عن التجربة الحية المتعينة في الفرد المتصف بها" لذلك لا يعدها أرسطو علماً أو فناً، وهذا ما يؤكد ابن باجة، ويوضحه تصنيف أرسطو للعلوم حيث إنها فضيلة عملية ميدانها الفعل الإنساني لا المسلط على الطبيعة (النظرية) أو الأشياء (الصناعات)، بل المتعلق بتهذيب النفس، وما ربط أرسطو لها بقاعدة الوسطية إلا لغاية تمييزها عن بقية الفضائل الأخرى، حيث يقول "فليكن تعريف العدل وسائر الفضائل الأخلاقية على النحو الذي بيناه، إنه ينبغي علينا ان نختار الحد الأوسط، لا الإفراط ولا التفريط، وأن الحد الأوسط يطابق ما تقرره القاعدة المستقيمة" (ارسطو، ١٩٧٩، ٢٠٧)، بذلك تكون الفضائل استعدادات تجسدها بالقُدوة الحسنة، لأن القاعدة الصورية لا تكفي، بالمقابل يؤكد ابن باجة على كلام أرسطو ويضيف إليه احتمالية انقسام استعدادات التدبير إلى الصواب والخطأ حسب ما ورد بداية كتابه، والصواب والخطأ يقاس بمدى مطابقة فعل التدبير للفضيلة بوصفها الغاية الأخلاقية الحقيقية، فصواب التدبير هو نجاح تحالف ترتيب الأفعال مع بلوغ الفضيلة الأخلاقية فالغاية ليست موضوع تدبير، التدبير يتعلق بالوسائل المؤدية إلى الغاية الطيبة (الخوني، ١١).

كما التقيا في نقطة الوسط للمحسوسات، إن ما ذهب إليه أرسطو ذهب إليه ابن باجة من اشتراط الوسط، فالحواس تدرك مدركاتها عن طريق وسط، فقد انتهى أرسطو إلى أن إدراك كل شيء إنما يتم بمتوسط، وإن لم نلاحظه في اللمس والذوق، إذ أننا نعتقد في الحقيقة أننا نلمس المحسوسات نفسها، وأنه لا يوجد أي متوسط وبهذا خلص ابن باجة إلى ذات النقطة

السادس عشر - نقد تحليلي لفكر ابن باجة التربوي:

ويتناول عدة نقاط تحتوي جملة من آراء الباحثين في تدبير المتوحد، إضافة لنقاط من رأي الباحثة:

- بحسب سعاد الحكيم: عندما يشيع الفساد تصبح السعادة العامة مستحيلة، ولا يبقى مفتوحاً إلا درب سعادة المفرد، كما يصبح صواب التدبير العام مستعصياً، ولا يبقى مفتوحاً إلا درب صواب تدبير المفرد. هنا يبرز الحلّ الفلسفي الذي يقدمه ابن باجة للعاقل المتوحد في مدينة يعمها الجهل والفساد في العلم والعمل معاً، ويطرح الأسئلة التي تهدف إلى معرفة الكيفية التي يتدبر بها حتى ينال أفضل وجوداته، وإلى معرفة الكيفية التي ينال بها السعادة إذا لم تكن موجودة، أو كيف يزيل عن نفسه الأعراض التي تمنعه عن السعادة. ثم على هذين السؤالين سوف يبنى ابن باجة كتابه تدبير المتوحد: سؤال كيف يتدبر المتوحد، وسؤال كيف ينال المتوحد السعادة.

وللأسف، يقدم لنا ابن باجة في الصفحات اللاحقة كلها الأسس النظرية للتدبير، ولنيل السعادة دون أن يقدم لنا الكيفية العملية للوصول إلى ذلك. وبكلام آخر، يبرهن ابن باجة على ثنائية الإنسان، وأنه فاسد بطبيعته الهيولانية، وسرمدي روحاني بطبيعته العقلية، وأنه لا ينال السعادة إلا باتصال عقله الإنساني بالعقل الفعال، وأنه بهذا الاتصال يفارق المادة، ويصبح صورة روحية وجوهراً مفارقاً، يتنعم في لذة صرف وفرح وبهاء وسرور. وفي المقابل، لا يجيب ابن باجة على سؤال الكيفية الذي طرحه في بدايات الكتاب. وبالتالي لا نعرف الكيفية التي يحقق بها الإنسان الاتصال بالعقل الفعال، حتى يستقل عن المادة ويفارقها ليدخل في ملكوت سعادة عقلية فلسفية لا تخشى تضاداً ولا منازعة طبيعة. (الحكيم، ٢٠١٢، ٨)

لا يكاد ابن باجة يفتح باب الأمل بالسعادة حتى يعود ليغلقه بعبارة "لا يدخلها إلا الفلاسفة"، وفي هذا القول تحقير للقيم التي يحصلها المؤمن بالرضا والتسليم، حتى تنتزل عليه من السماء سكيناً تملأ جوانحه، سعادة تتصف بالثبات والعمق. ومن جانب آخر: غياب الشاهد أو الشريك؛ فالعادة أن تحتاج إلى آخر تشاركه إياها أو على الأقل إلى الآخر الشاهد عليها. وعندما جعل ابن باجة تحقيق السعادة في عالم مفارق فقد أفقد السعادة قيمة الشراكة والتشاطر. هذه الفردية في السعادة تتجلى برفض ابن باجة وجود أي مختلف في مقامه الأخير، ففي هذا المقام لا يوجد إلا واحد وإن تعدد الأشخاص فهم واحد؛ حتى الواصل الصوفي إلى السعادة القصوى يُقصيه ابن باجة ويجعل وصوله مظنوناً واتّصاله وهماً.

- من وجهة نظر الباحثة: إن العلم عند ابن باجة فردي يعطي سعادة فردية ويتجه المتعلم إلى الشعور بالذات المصاحبة لوحده أي أنه لم يجعل العلم وسيلة لحضارة الأمة، أو جعل له وظيفة معينة خاصة بالعمران، كما فعل ابن خلدون نقلاً عن شمس الدين، حيث جعله إحدى الصناعات التي لها غرض اقتصادي معيشي، وغرض فكري إنساني، وتنقسم الصناعات أيضاً: إلى ما يختص بأمر المعاش، ضروري أو غير ضروري.

- من وجهة نظر الباحثة: إن الواقعية كانت مذهب ابن باجة، فالمعرفة تتدرج في درجات عقلية تبدأ من الحس إلى التجرد المطلق مع إرفاقها بإمكانية وجود الكهانات والرؤيا الصادقة التي تأتي بإلهام خارجي، مع تحفظه على هذه الناحية أنها لا تأتي إلا لمن بلغ ذروة العقل، بالتالي تناول جميع أنواع المعرفة والمعتمدة أساساً على إشغال العقل، فلسفته الواقعية تقابلت مع المثالية التي كانت العامل المشترك في نظرياته السياسية والأخلاقية، وهذا يتوافق مع قول غلاب: فالبعض نظر لتدبير المتوحد على أنه نوع من المجتمعات الخيالية على غرار جمهورية أفلاطون والفارابي، كونه يضم مثلاً علياً وأهدافاً سامية يصعب تحقيقها في عالم الواقع

- بحسب زينب عفيفي: هناك من يرى ابن باجة ثورة اجتماعية في ميدان علم الاجتماع قصد من ورائه دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي، موضحاً تأثير البيئة على التنشئة الاجتماعية للأفراد وإبراز الفرد

المثالي بحيث لا يكون للمجتمع سلطان على تفكيره، ولا للعرف السائد سيطرة على عقله فيدرك أسمى الحقائق وأرفعها قدرا، وبالاتجاه المعاكس هناك من ينظر إليه كنوع من الصوفية الاجتماعية، يعيش الأفراد في مدينته وفقا للنواميس التي وضعها العقل المطلق، حيث ينصهر الفرد بالمجموع من أجل الوصول إلى غاية عليا، وهي الاتصال بالعقل الفعال (عفيفي، ٢٠٠٩، ٤٢٧)، ومن وجهة نظر الباحثة أنه بحسب آراء ابن باجة الاجتماعية، لم يكن مشروع تدبير المتوحد والمدينة الفاضلة فيه فكرة قبلية لمحاولة قلب نظام الحكم، إنما هي نموذج لإصلاح الأخلاق والعادات، وهذا الإصلاح يتجاوز نطاق المجتمع، حيث يحقق الوجود الإنساني الكامل لكل فرد من أفراد المجتمع، أو لكل متوحد من المتوحدين وبذلك يمكن لهم أن يؤلفوا مجتمعا فاضلا.

- وبحسب عفيفي: على صعيد الفكر، جعل العقل يسيطر على أفعال الإنسان واتخذ من طريق التأمل والفكر، وانعزل على المجتمع بقيوده العرضية، التي كثيرا ما تسودها الخرافات بحيث تسيطر على قواه وملكانته، وربما السبب هو اعتقاد ابن باجة أن الجمعية البشرية تغطي على الفرد، وتبطل مكانته النظرية وتعوقه عن الكمال، بوساطة ما تغمره فيه من رذائلها الكثيرة وأهوائها الجارفة (المرجع نفسه، ٢٠٠٩، ٤٢٩).
- وفي موضوع الاعتزال ترى الباحثة: أنه قد يهاجم ابن باجة في موضوع الاعتزال على أنه نفي الحياة الاجتماعية، وبالإطلاع على تدبير المتوحد لا يبدو هذا الأمر صحيح، حيث قال "ولكن آل العلوم يقلون في بعض السير ويكثر في بعض، حتى يبلغ في بعضها أن يعدموا. ولذلك يكون المتوحد واجبا عليه في بعض السير أن يعتزل عن الناس جملة ما أمكنه، فلا يلبسهم إلا في الأمور الضرورية، أو بقدر الضرورة، أو يهاجر إلى السير التي فيها العلوم، إن كانت موجودة، وليس هذا مناقضا لما قيل في العلم المدني بالطبع. وتبين في العلم المدني أن الاعتزال شر كله ولكن إنما هو بالذات وأما بالعرض فخير" (تدبير المتوحد، ١٩٩٤، ٨٠)، بشرح كلامه السابق، ينفي ابن باجة تهمة الاعتزال المطلق عن نفسه، ولكنه يطالب أن يكون النقيض مثمرا، بحيث تؤدي مصاحبته لأهل العلوم إلى اكتساب الخير، حتى لا يكتسب الشر من غيرهم.

- يبدو تدبير المتوحد كما يقول فتحي المسكيني: "إنما ههنا نحن نعثر على قرار فلسفي خطير أقدم عليه ابن باجة: إنه الكف عن التفكير بمنزلة الفيلسوف من زاوية إشكالية المدينة الفاضلة بخاصة، ومن ثمة الشروع في البحث في إمكانية الفحص عن معنى الوجود الذي هو من شأن الفيلسوف، لافي ضوء مدينة مأهولة بل في أفق المدن الموجودة" (المسكيني، ١٩٩٧، ٩٧)، وهنا يطرح ابن باجة واقعية مهمة أنه لا يلزم للإنسان أن يتوهم وجد مدينة خيالية يعيش فيها، بل يضع أسساً للعيش الصحيح والكريم داخل المدن المأهولة، بالتالي انطلقت الباحثة في الدراسة السابقة لتكشف ماهي خطة التربية التي وضعها ابن باجة ليعيش حياة كريمة وصحيحة

- نتائج الدراسة:

- تقوم التربية على أسس متعددة، الأول هو المعرفي، والثاني الأخلاقي، والأسس الاجتماعية والسياسية، وترتكز جميعها على العقل لذا هي متكاملة يحدد منهج تربية وحياة المتوحد، أكد ابن باجة على مركزية العقل، منذ الطفولة حيث النزوعية بالخيال إلى المتوسطة حيث الصنائع، وأخيرا النفس الناطقة حيث التعلم والتعليم لذا توسم التربية بالسمة العقلية عند ابن باجة.
- وضع ابن باجة نظرية في المعرفة، وقد تبع أرسطو في الواقعية، فالمعرفة عند ابن باجة تجريبية حسية أساسها العقل وليست منابع خارجية، حيث تنتقل من الحس إلى المحسوس، صاعدة إلى العقل عبر مراحل تتخلص عبرها من العلائق المادية.
- قسم المعرفة إلى قسمين حسية وعقلية، حيث تعتمد الحسية على أدوات الحس خارجيا، وهي الحواس الخمس، والقوى الداخلية حيث الذاكرة، والحس المشترك، والخيال وجعل المعرفة تنتج من تكامل هذه العناصر مع بعضها، ثم تصل هذه المعرفة الحسية إلى العقل، لتخضع للتجريد بعد استخدام العمليات العقلية العليا من منطق واستدلال وربط وتحليل، فهي إذن في مرحلة الإدراك العقلي.

- تدرك المعرفة العقلية المعاني المحسوسة، وتركب بعضها ببعض وتحكم بعضها ببعض، والتركيب هو التصور، والحكم هو التصديق، حيث تقوم النفس الناطقة (الأدراك العقلي)، بفعلين الأول: وجود المعاني مفردة والثاني تأليف معنيين من هذه المعاني في قضية ما، والأول التصور والثاني هو التصديق.
- يعتمد الوصول إلى المعرفة على قيم أبرزها: مصاحبة أهل العلوم، وتراكم المعارف ثم تطويرها ومحاولة الابتكار، ثم تمرير هذه المعرفة وعدم احتكارها، حتى تتولد الفضيحة بين الجميع.
- يرافق الحصول على العلم لذة تعتبر كمنحة لصاحبها، يحصل عليها المتعلم بعد الوصول، وبحسب هذه اللذات يتشوق الناس للعلم، فمنهم ما يسعى لكسب نوع واحد ولذته بأخذ شيء ما من هذا العلم، أما الثاني يطلب شيء أعلى من المنفعة، ربما اشباع العقل بالعلوم، والأخير حصل على لذة الوصول للعقل الفعال.
- قسم العلوم إلى أنواع: إلهي، إرادي حيث الفضائل والرذائل، الرياضي، المنطق، والعلم الطبيعي.
- يحلل ابن باجة أي شيء إلى عناصره الأولية لمحاولة معرفته، فكل شيء له أربعة علل: المادية والصورية والغائية والفاعلة حيث المحرك أو الصانع.
- الكمالات التي يجب أن يصل إليها المتعلم هي فضائل إما شكلية تلقائية يولد بها الإنسان أو فكرية مكتسبة وتقسم إلى نظرية أو عملية، وفي كل الأحوال تحتاج هذه الفضائل للمران والتعود بداية، ثم للتعلم والمحاكمات العقلية.
- تنحصر عملية التربية بالأفعال الاختيارية، حيث يكون الباعث فيها هو العقل وتقسّم إلى أعمال التلذذ المادي ويجب أن يتخلص المتعلم من آثارها الجانبية، وأفعال لا منفعة مادية منها بل محاولة الوصول إلى الكمال
- يصل المتعلم للسعادة القصوى عن طريق العلم والفلسفة حيث تتجرد الصور العقلية، والنادرون هم من يحصلون عليها حيث يصلون إلى درجة عالية من الإبصار.
- توصف التربية بوصف التدبير نفسه على أنها ترتيب أحوال الإنسان حتى ينال أفضل وجوداته بالتالي توجيه مجموعة القوى التي يتصف بها الإنسان للوصول إلى مرتبة الاتصال، وارتكاز هذه التربية هو العقل في كسب المعرفة، تعلم المهن، حتى الفضائل الأخلاقية تابعة للعقل

- تقوم التربية على مبادئ أهمها: التراكمية، الموضوعية، مراعاة الفروق الفردية، الحث على العمل، تكافؤ الفرص التعليمية، الحدثة والتجديد، التكيف، الشك العلمي
- يمكن للقاري لفلسفة ابن باجة تسجيل أهداف التربية كالتالي: المحافظة على الصحة البدنية كي تخدم العقل، الحرص على مصاحبة أهل العلوم، ارتقاء العلوم النظرية، عدم استعمال اللغز، الاهتمام بالإرادة والاختيار الحر، إعداد الشخص للعيش بمجتمع فاضل ، تأكيد وعي الذاتي للإنسان.
- تتحرك عملية التربية عند ابن باجة بدافعين الأول هو الخيال والثاني هو الفكر وبحسب اختيار المتعلم، تنتج أفعال كل منهما، ولكن يجب عليه اختيار محرك الفكر كي لا يقع في الخطأ.
- لا يكتسب العلم إلا بالتعليم الذي يحتاج الاستعداد الجسمي والنفسي، وإلى دافعية حيث تنتج من التشوق واللذة، أو اكتمال القوة الفكرية، أو التربية التطبيقية.
- غايات التربية تكمن في بلوغ التوازن بين الأساس الاجتماعي وهو الارتقاء بالمجتمع، والأساس الفردي وهو تحقيق سعادة المفرد، كما تعتبر السمعة الطيبة والذكر إحدى غايات التربية، وأخيرا بلوغ الكمالات الخلقية والسلوكية والفكرية.
- حيث تشكل الكمالات الخلقية والسلوكية مراحل التربية، وخواصها في كل مرحلة عمرية، بينما الكمالات الفكرية تأتي بعد نضوج القوة الناطقة، وحدد العلاقة بين هذه المراحل أنها متتالية، لا تداخل بينها، متكاملة.
- نوع ابن باجة المادة المتعلمة حيث شمل تقريبا كل مناحي الحياة، وربما يعزى ذلك لتنوع علومه.
- اعتمدت طرائق التربية عند ابن باجة على التعلم الذاتي، وكل الطرق المستنبطة إنما تعتمد على المتعلم بالدرجة الأولى، حيث يهتم بتكوين المدركات الحسية للوصول إلى المعقولات العقلية بتدرج
- اعتمد طريقة المناقشة للوصول إلى الصواب والخطأ، كما قال بالتربية الفردية ولم يتطرق لعمل المجموعات أو الفرق، ابتعد عن المحاكاة ووضع بدلها المحاكمة العقلية، كما قال بطرق البحث العلمي حيث الاستدلال والروية والاستنباط، وأكد على تحليل الموجودات إلى العلل ثم استخدام التركيب للوصول معاني جديدة، وأخيرا رفع من علم المنطق.

- ركز على المتعلم وخصائصه كونه محور عملية التربية، ومن أبرز خصائصه الاغتراب الفكري، قدرته على الاختيار، فاضل بالفضائل الشكلية، له عدة قوى أعلاها الناطقة
- لم يشر ابن باجة للمعلم كشخص أو لصفاته أو لوجوده، ربما بسبب تركيزه على التعلم الذاتي ووحدته العقلية، ولكن بشكل آخر لم يأت المتعلم إلى الحياة وهو عارف بكل شيء، إنما احتك بالمجتمع وناقش الآخرين، حتى استطاع الوصول للمعرفة، لذا فإن المعلم هنا مبهم متمثل في شخوص المدن الفاسدة الذي يعايشها المتعلم.
- التقويم: ارتكز على علاقة النتيجة بالغاية، إذا كانت النتيجة تمثل الغاية كان هذا الفعل صحيحاً، وبشكل آخر قال بالقياس في محمل شيء على شيء آخر فقد يجعل من البراهين صحيحة، أخيراً دراسة العرب بحيث يكتشف ذكاء المتعلم وفهمه، من خلال حركات الأعين ولطافة تحديقاتها.

مقترحات الدراسة:

- أثبتت الدراسة تنوع ابن باجة وغناه كفيلسوف إسلامي عاش في حقبة مليئة بالأحداث، وكان له أثر فيها لذا توصي الدراسة بدراسته كشخص، لإتاحة المجال لفهم أكبر لتلك الحقبة.
- أثبتت الدراسة وقوف ابن باجة في وجه الصوفية المنتشرة آنذاك ومحاولة تحليل الوقائع بطريقة عقلية، مما يثبت أهمية رأي ابن باجة وعلومه في تلك الحقبة وأثرها على التابعين لذا توصي الدراسة بالبحث حول ابن باجة ومكتشفاته عبر كل الأصعدة.
- توصلت الدراسة إلى أن ابن باجة أول من لاح بالاغتراب الفكري لدى المتوحد (المتعلم)، ودعاه لحل هذه المشكلة، ثم تبعه ابن طفيل وآخرون، لذا توصي الدراسة بتحليل أكبر لفهم الحثثيات التي أدت للاغتراب الفكري، والطرق المناسبة للتعامل معه
- توصي الدراسة بمناقشة المخرجات التربوية من تدبير المتوحد من كافة الجوانب ومحاولة استنباط معالم تنفيذية لعملية التربية.

- تقترح الدراسة الاهتمام بنظرية المعرفة بوصفها نظرية متكاملة عند ابن باجة، واتخاذ تحليل سير المعرفة في العقل في عين الاعتبار، وإجراء مقاربات بينه وبين الآخرين.
- توصي الدراسة بالمزيد من الدراسات والبحوث في الأصول التربوية الاندلسية

قائمة مراجع الدراسة

المصادر:

- ١- ابن باجة. (١٩٩٤). تدبير المتوحد. تونس: مجموعة سراس للنشر.
- ٢- ابن باجة. (١٩٩٢). النفوس. (تحقيق محمد صغير المعصومي، المحرر) بيروت: دار صادر.
- ٣- ابن باجة. (١٩٨٣). رسالة ارتياض في تصور القوة المتخيلة. (تحقيق جمال الدين العلوي، المحرر) بيروت: دار الثقافة.
- ٤- ابن باجة. (١٩٦٧). رسالة الكون والفساد، مجلة معهد الأبحاث الإسلامية . تحقيق محمد المعصومي. المجلد الثاني.
- ٥- ابن باجة. (١٩٤٣). رسالة اتصال الإنسان بالعقل الفعال . أسين بلاسيوس. مجلة الأندلس. المجلد الثامن
- ٦- ابن باجة. (١٩٤٠). رسالة النبات. ترجمها اسين بلاسيوس. مجلة الاندلس
- ٧- ابن باجة. (١٩٩٧). رسالة في المتحرك والنفوس النزوعية. حققها عبد الرحمن البدوي. دار الاندلس. بيروت
- ٨- ابن باجة . (١٩٦٨). رسالة الوداع . حققها ماجد فخري في مجموعة رسائل ابن باجة الإلهية. دار النهار. بيروت

المراجع:

- ١- ابن أبي أصيبعة. (١٨٨٢). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثاني الباب الثالث عشر. (امرؤ القيس بن الطحان، المحرر) المطبعة الوهيبية. وما تم ذكره عن سيرة ابن باجة متضمن في الصفحات (٦٢-٦٣-٦٤-٦٥) لذلك لم يتم ذكر الصفحات في كل مرة يتم الاقتباس منها
- ٢- ابن خلدون. (١٩٧٩). المقدمة. بيروت: دار الكاتب اللبناني.
- ٣- ابن طفيل. (١٩٥٩). حي بن يقظان. (أحمد أمين، المحرر) مصر: دار المعارف. وما تم ذكره على لسان ابن طفيل موجود على صفحة الغلاف الخلفية لكتابه حي بن يقظان.
- ٤- ابن طمّوس أبو الحجاج يوسف. (١٩١٦). المدخل إلى صناعة المنطق. (أسبن بلاسيوس، المحرر) مدريد: المطبعة الإبريقية.
- ٥- ابن خاقان. (١٩٦٤). قلائد العميان. القاهرة: مطبعة بولاق.
- ٦- ابن خلكان. (١٩٥٦). وفيات الأعيان. القاهرة.
- ٧- ابن سعيد، عبد الملك. (١٩٥٣). المغرب في حلي المغرب. (شوقي ضيف، المحرر) القاهرة.
- ٨- ابن الخطيب، لسان الدين محمد عبد الله. (١٩٥٥). الإحاطة في أخبار غرناطة. القاهرة: دارالمعارف.
- ٩- أرسطو. (١٩٢٤). علم الاخلاق إلى نيقوماحوس. (أحمد السيد، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للنشر.
- ١٠- أرسطو. (١٩٧٩). الأخلاق. (حققه عبد الرحمن بدوي، المحرر، و اسحاق بن حنين، المترجمون) الكويت: وكالة المطبوعات.

- ١١- البغدادي، اسماعيل. (١٩٥١). هدية العارفين. مجلد ٦. اسطنبول.
- ١٢- التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي. (١٩٧٣). ابن سبعين وفلسفته الصوفية. دار الكتاب اللبناني . بيروت
- ١٣- الحكيم، سعاد. (٢٠١٢). قيم السعادة بين ابن باجة وابن طفيل. التفاهم (٣٦، مجلد ١٠)، ١٤٩-١٢١.
- ١٤- الخوني، محسن. (بلا تاريخ). الفيلسوف والمدن غير الفاضلة من خلال ابن باجة. مطبعة تبيان.
- ١٥- الشيخاني، ندوى. (٢٠٠٣). الفكر التربوي في الاندلس. القاهرة: جامعة الأزهر رسالة ماجستير.
- ١٦- الشماس، عيسى (٢٠١٥). التربية والمجتمع. منشورات الهيئة العامة للكتاب . دمشق
- ١٧- الشماس، عيسى (٢٠٠٨). المجتمع المدني. مطبعة اتحاد الكتاب العرب . دمشق.
- ١٨- الصفدي. (١٩٤٩). الوفيات بالوفيات- الجزء الثاني. اسطنبول: مطبعة وزارة المعارف.
- ١٩- الطويل، توفيق. (١٩٦٠). الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها. الاسكندرية: دار المعارف.
- ٢٠- الطنطاوي، فراج الجالي. (٢٠١٥). المعرفة بين فلاسفة المشرق والمغرب. مصر: جامعة الأزهر رسالة ماجستير.
- ٢١- العبادي، عبد الله. (١٩٩٦). الفكر الاجتماعي عند ابن باجة. الرياض: جامعة الفهد الوطنية رسالة دكتوراة.
- ٢٢- العراقي، محمد عاطف. (١٩٧٢). مذاهب فلسفة الشرق. دار المعارف. مصر
- ٢٣- العياصرة، محمد عبد الكريم (٢٠٠٧). معالم النظرية التربوية في الإسلام. جامعة السلطان قابوس، عمان
- ٢٤- الفارابي. (١٩٦٤). السياسة والمدينة. (حقيقه فوزي نجار، المترجمون) بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- ٢٥- القفطي، جمال الدين. (١٩٠٥م). أخبار العلماء بأخبار الحكماء. القاهرة: مكتبة السعادة.

٢٦- المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد. (١٩٦٨). نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب. بيروت: دار

صادر

٢٧- المسكينى، فتحى. (١٩٩٧). فلسفة النوايت. بيروت. دار الطليعة.

٢٨- انخل بلانثيا. (١٩٥٥). تاريخ الفكر الاندلسى (المجلد الأولى). (حسين مؤنس، المترجمون) مصر:

النهضة المصرية.

٢٩- بيسار، محمد عبد الرحمن. (١٩٦٢). فى فلسفة ابن رشد الوجود والخلود. مصر: دار الكتاب العربى.

٣٠- بلعالم، عبد القادر. (٢٠٢٠). السكوت عن قضية النبوة فى فلسفة ابن باجة. الجزائر: مجلة الاداب فى

جامعة سطيف.

٣١- تدمري، عمر عبد السلام. (١٩٨٧). تاريخ الإسلام الذهبى. بيروت: دار الكتاب العربى.

٣٢- جمعة. محمد لطفي. (٢٠١٢). تاريخ فلاسفة الاسلام. القاهرة: مؤسسة هنداوي .

٣٣- جعيني، نعيم (٢٠٠٤). الفلسفة وتطبيقاتها التربوية . دار وائل . الأردن.

٣٤- دوهيم، بيار. (١٩٨٩). مصادر الفلسفة العربية. تونس: بيت الحكمة.

٣٥- دي بور. (١٩٥٧). تاريخ الفلسفة فى الاسلام (المجلد الرابعة). (عبد الهادي أبو ريده، المترجمون) لجنة

التأليف والترجمة.

٣٦- زرواق، أسية . (٢٠١٥). الإنسان فى فلسفة ابن باجة. الجزائر: جامعة بوضياف رسالة ماجستير.

٣٧- زيناتي، جورج. (٢٠٠٢). الفلسفة فى مسارها. بيروت: الاحوال والأزمنة للطباعة والنشر.

٣٨- زيناتي، جورج. (٢٠١٩). فلسفة ابن باجة وأثرها. بيروت: المركز العربى للابحاث والدراسات.

٣٩- زيادة، معن. (١٩٧٨). تحقيق تدبير المتوحد. بيروت: دار الفكر الاسلامي.

- ٤٠ - شمس الدين، عبد الأمير. (١٩٨٤). الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق. دار أقرأ. بيروت
- ٤١ - شريف، مصطفى. (١٩٩٠). الفكر التربوي الاسلامي. عمان: مجلة المعلم الطالب.
- ٤٢ - شلبي، أحمد. (١٩٦٥). التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. دار النهضة المصرية. مصر
- ٤٣ - عفيفي، زينب. (٢٠٠٩). ابن باجة وأراؤه الفلسفية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- ٤٤ - عبد العال، سامية. (٢٠٢١). مكانة العقل عند فلاسفة المغرب. اسبوط، مصر: جامعة الازهر قسم الدراسات الاسلامية.
- ٤٥ - عنان، عبد الله. (١٩٦٠). دولة الإسلام في الاندلس. دار الموسوعة المصرية. القاهرة
- ٤٦ - علي، سيد أمير. (١٩٦٨). روح الإسلام. (عمر الديراوي، المترجمون) بيروت.
- ٤٧ - عبد الرحيم، شعبان. (٢٠١٥). النفس عند ابن باجة. كلية الأدب/جامعة بنها (العدد ٤٠).
- ٤٨ - عرفات، مصطفى. (٢٠١٠). ظاهرة الاغتراب الفكري. موقع سوران.
- ٤٩ - عويضة، كامل محمد. (١٩٩٣). ابن باجة الفيلسوف الاندلسي الخلاق. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٥٠ - غلاب، محمد. (١٩٦٦). المعرفة عند مفكري العرب. القاهرة.
- ٥١ - فروخ، عمر. (١٩٤٥). ابن باجة والفلسفة المغربية. بيروت.
- ٥٢ - فخري، ماجد. (١٩٦٨). رسائل ابن باجة الإلهية. بيروت: دار النهار.
- ٥٣ - مصطفى، علي خليل. (١٩٩٢). ابن باجة وافكاره التربوية. بنها: ابحاث كلية التربية جامعة بنها.
- ٥٤ - مروفل، كلثوم. (٢٠١٩). تدبير السعادة في فكر ابن باجة. وهران، الجزائر: مجلة الدراسات الإنسانية.
- ٥٥ - مطر، أميرة (١٩٦٨). في فلسفة السياسة من أفلاطون إلى ماركس. دار النهضة. مصر.

٥٦- محمد، أحمد الحاج (٢٠٠٣). فلسفة التربية. دار المناهج. عمان . الأردن

٥٧- محمود، أنور (٢٠١٢)، دور التربية في التغيير الاجتماعي. مجلة العلوم الإسلامية. المجلد السادس.

العدد ١٢

٥٨- هونكة(زيغرد). (بلا تاريخ). شمس العرب تسطع على الغرب (المجلد الثانية). (فتروق بيضون وكمال

دسوقي، المترجمون) بيروت: منشورات المكتبة التجارية.

59- Charles Genequand, . la conduite de l'isole et deux autres epitres.(2020)

paris: edition critique du texte arabe. .

مراجع الانترنت:

١. صحيفة الرأي. تدبير المتوحد لفيلسوف السعادة ابن باجة. الأردن

تم النشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/٢٩، تم الدخول ٢٠٢١/٧/٢٢ الساعة ٧:٥٥

[HTTP://www.alrai.ibnbaja.22%71342%D8%A3%D3%A8%D7%A7%DT](http://www.alrai.ibnbaja.22%71342%D8%A3%D3%A8%D7%A7%DT)

٢. العبادي. كفاية . منهجية تحليل نص فلسفي. موقع موضوع

تم النشر بتاريخ ٢٠١٩/٢/١٤، ثم الدخول ٢٠٢٢/٦/١٥

[HTTP://mawdoo3.com/%d8%b7%d8%b3%d7%82%ad%d9%48%a8](http://mawdoo3.com/%d8%b7%d8%b3%d7%82%ad%d9%48%a8)

Abstract

The current study examined Ibn Bajja's educational thought and its educational applications, and based on what was explained in the literature chapter, relying on the author of Tadbeer Al-Autism, where the researcher posed the following problem:

What are the educational implications of Ibn Bajja's philosophy and what are its most important applications?

To answer this question, the descriptive analytical method was used. The study tool is content analysis (the autistic measure), Included five chapters, The first chapter is research methodology, The second chapter includes the first definition of Ibn Bajja and the political and scientific events in his life, The third chapter: which is the philosophical contents of Ibn Bajja, The fourth chapter includes the educational contents (foundations of education), finally the fifth chapter: the possible educational applications of Ibn Bajja from the researcher's point of view. The research is supplemented by intersections between Ibn Bajja and others, an analytical criticism, and the results and suggestions .

the study concluded: Ibn Bajja lived in an intellectual unity with himself and imposed on the successful person to live such unity, because the successful or autistic term is the birth of incomplete cities and therefore he is able to achieve perfection for them based on his perfection first, the dialectical relationship between them is described as a study Merovel, this intellectual unity produced Ibn Bajja's interest in the mind in the first place, so his name, according to historians, as the philosopher of reason is completely true.

The findings of the study were summarized through its axes (his life, his philosophy, his education) through the following points:

- **his life:** Ibn Bajja lived a mental unity with which he did not find anyone to share it with in a volatile life, between luxury and assuming ministries and the royal court on the one hand, and between exile and displacement on the other. even that Ibn Bajja dared to reveal the pillars of his own philosophy at a time when those engaged in

philosophy were being killed, and he is considered the first to study the books of Eastern philosophy that were brought in nearly a hundred years before him.

- **His Philosophy:** Ibn Bajjah's philosophy was summarized in the following points: - (existence): • Ibn Bajjah's philosophy was characterized by a dualistic view, whereby man has two eternal and mortal natures, and the universe has two spheres above and below the moon, and action has two poles of good and evil, even the soul is an essence and an image, and its perfection is both power and action. This analytical view was reflected in many aspects of his thought, thus Ibn Ajah reflected the dual view.

- The human soul is immortal and the body is mortal. As for its perfection, it is two perfections of power and action. What achieves education is the perfection of action, i.e. what the higher self requires, not the individual.

- Adopted the principle of movement in nature, consisting of artificial and natural bodies.

- He proved the progress of the world and declared it, and gave the argument of the movement and the reasons to prove his opinion.

(Knowledge): Adopting the realistic approach in knowledge, influenced by Aristotle, as he made sense the first source of it, and the bearers of knowledge are the monotheists, as he arranged people according to their knowledge to the masses and their intellects are corrupt, then the theoretical rank and their intellects become by, and finally the rank of the happy where the autistic reaches to see things And he derives his knowledge from the active intellect, where his knowledge moves from abundance to unity

. (The Values): • Ibn Bajjah did not believe in external beauty, but he detested the manifestations of luxury and pleasure without a rational reason, as he saw goodness in virtue, while happiness is associated with pleasure for him, on the condition that the goal is not pleasure, but rather it comes as a natural result of virtue.

- Ibn Baja's moral philosophy is based on love in the virtuous city, as there are no quarrels or diseases in it, and it does not need to be judged.
- Between political and moral law, Ibn Bajjah chose the moral option, so he did not interfere in politics or the systems of government, and on the other hand, he did not mention religion except in terms of true visions, just as he was completely silent on the issue of prophecy, and always relied on reason in his speech.

-Education according to him:

First: the foundations of education, which were summarized in the following points:

- Education is based on multiple foundations, the first is cognitive, the second is moral, and the third is the social and political basis, and they are all based on the mind, so they are integrated that determines the approach to the education and life of the autistic, as Ibn Baja emphasized the centrality of The mind, from childhood where the propensity is by imagination to the medium where the crafts are, and finally the speaking soul where the learning and teaching are.
- Ibn Bajjah developed a theory of knowledge, as it moves from the senses to the sensible, ascending to the mind through stages summarized through material relations. Divide knowledge into two parts, sensual and mental, where sensuality relies on sense tools externally, which are the five senses, and internal powers where memory, polytheistic sense, and imagination make knowledge result from the integration of these elements with each other, then this sensual knowledge reaches the mind, to be subjected to abstraction after The use of higher mental processes such as logic, inference, linking and analysis, as it is then in the stage of mental awareness.
- Rational knowledge comprehends the tangible meanings, superimposing one another and governing one another, and composition is perception, and judgment is ratification, where the speaking soul (mental perception) performs two actions, the first: the existence of individual meanings, and the second is the formation of two meanings of these meanings in a case, the first is perception and the second is validation.

- Access to knowledge depends on values, the most prominent of which are: accompanying people of science, accumulating knowledge and then developing it and trying to innovate, then passing this knowledge on and not monopolizing it, so that virtue is born among all. Acquisition of knowledge is accompanied by a pleasure that is considered as a gift to its owner, which the learner obtains after reaching, and according to these pleasures people crave for knowledge, some of them seek to gain one type and their pleasure by taking something from this knowledge, while the second seeks something higher than the benefit, perhaps saturating the mind with science, And the latter got the pleasure of accessing the effective mind.

- Division of sciences into types: divine, voluntary in terms of virtues and vices, mathematical, logic, and natural science.

- Ibn Baja analyzes anything into its primary elements in an attempt to know it, for everything has four causes: material, formal, final, and active in terms of the mover or maker.

- The perfections that the learner must reach are virtues, either formal and automatic with which a person is born or acquired intellectually and divided into theory or practice.

- The process of education is limited to voluntary actions, where the motive is the mind and it is divided into acts of material pleasure and the learner must get rid of its side effects, and actions that have no material benefit but an attempt to reach perfection • The learner reaches the ultimate happiness through science and philosophy where mental images are stripped, And the rare ones are the ones who get it when they reach a high degree of vision.

Second: Educational applications:

- Education is described by describing the measure itself as arranging human conditions so that he obtains the best of his qualities, thus directing the group of powers that characterize man to reach the level of communication, and the foundation

of this education is the mind in acquiring knowledge, learning professions, even moral virtues subordinate to the mind

- Education is based on principles, the most important of which are: cumulative, objective, taking into account individual differences, urging to work, equal educational opportunities, modernity and innovation, adaptation, scientific skepticism
- A reader of Ibn Bajjah's philosophy can record the goals of education as follows: maintaining physical health in order to serve the mind, diligence Accompanying people of science, advancing theoretical sciences, not using riddles, paying attention to will and free choice, preparing the person to live in a virtuous society, affirming the self-awareness of the person.
- The process of education is driven by Ibn Baja, the first is imagination and the second is thought, and according to the learner's choice, the actions of each of them are produced, but he must choose the engine of thought so as not to fall into error.
- Knowledge is not acquired except through education that requires physical and psychological readiness, and motivation that results from excitement and pleasure, completeness of intellectual power, or applied education.
- The objectives of education lie in achieving a balance between the social basis, which is the advancement of society, and the individual basis, which is the achievement of the happiness of the individual. A good reputation and mention is one of the objectives of education, and finally the attainment of moral, behavioral and intellectual perfection
- The moral and behavioral perfections constitute the stages of education, and their characteristics in each age stage, while the intellectual perfections come after the maturity of the speaking power, and he determined the relationship between these stages that they are consecutive, without overlapping, and integrated.
- Ibn Baja's type of learned material, as it included almost all aspects of life, and this may be due to the diversity of his sciences.

- Ibn Baja's methods of education relied on self-learning, and all the elicited methods depend on the learner in the first place, as he is concerned with the formation of sensory perceptions in order to reach the intellectual intelligibles gradually
- He adopted the method of discussion to reach right and wrong, as he said of individual education and did not address the work of groups or teams. He moved away from simulation and replaced it with rational judgment, as he said by the methods of scientific research where inference, deduction and deduction, and emphasized the analysis of existents to causes, then the use of composition to reach new meanings, and finally raised the science of logic.
- Focused on the learner and his characteristics being the focus of the education process, and among the most prominent characteristics of his intellectual alienation, his ability to choose, virtuous with formal virtues, has several powers above which are speaking
- Ibn Baja did not refer to the teacher as a person, his qualities or his existence, perhaps because of his focus on self-learning and his mental unity. But in another way, the learner did not come to life knowing everything, but came into contact with society and discussed with others, until he was able to reach knowledge. Therefore, the teacher here is vague, represented by the characters of the corrupt cities that the learner lives with.
- Evaluation: based on the relationship of the result with the goal, if the result represents the goal, then this action is correct, and in another way he said by analogy in the bearing of one thing over another thing, it may make the proofs true, finally, the insight of the Arabs so that the learner discovers the intelligence and understanding of it, through the movements of the eyes and the gentleness of their stares .
- It can be said that what distinguishes Ibn Bajjah's thought is his view of self-learning, and his connection to the success of the individual socially, meaning that a person does not retain knowledge on his own, but relies on himself by sharing it, and once he has acquired it, he will try to fix the corruption of cities with it.



Syrian Arab Republic

Damascus University

Faculty of Education

Department foundation of Education

The Educational Thought of Ibn Baja and It's Educational Application

A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree
of master in philosophy of education

By

Israa Yosef Almathyeb

Supervisor

D. Ibrahim Almasry

2021/2022